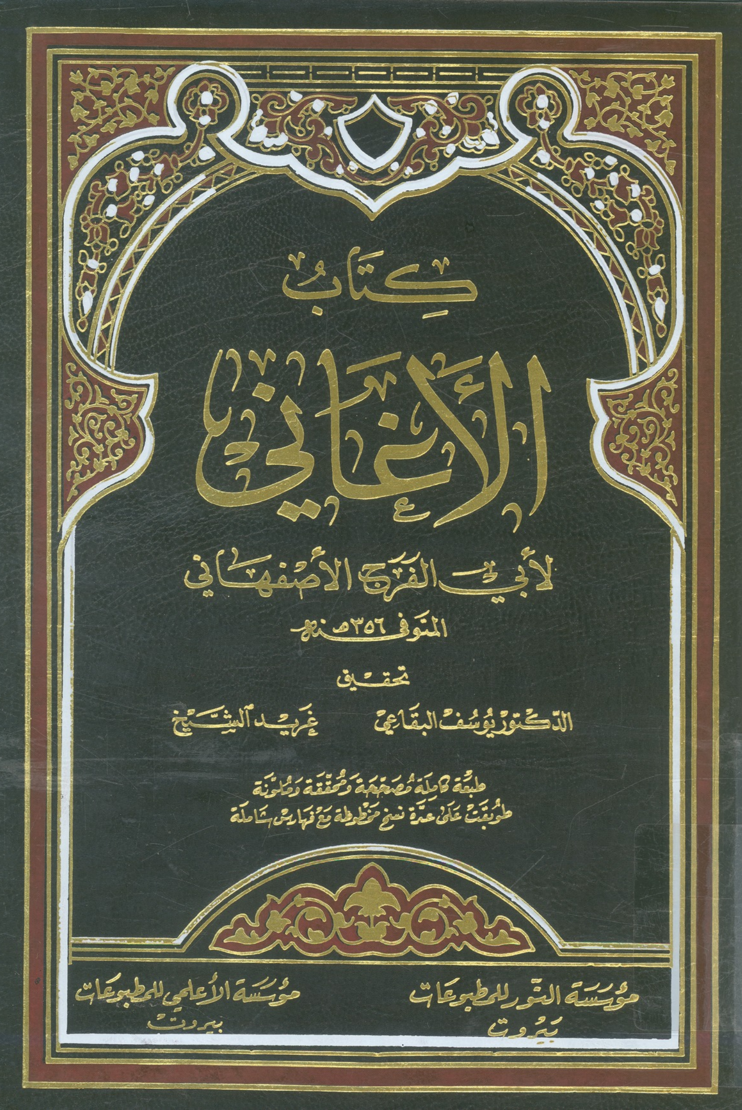
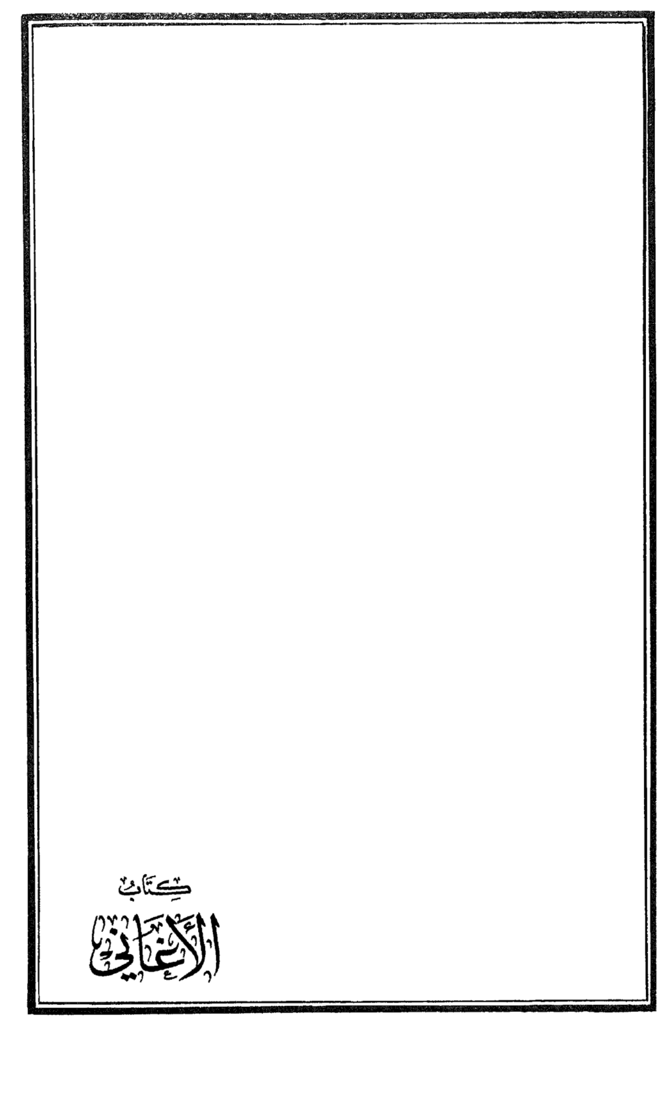
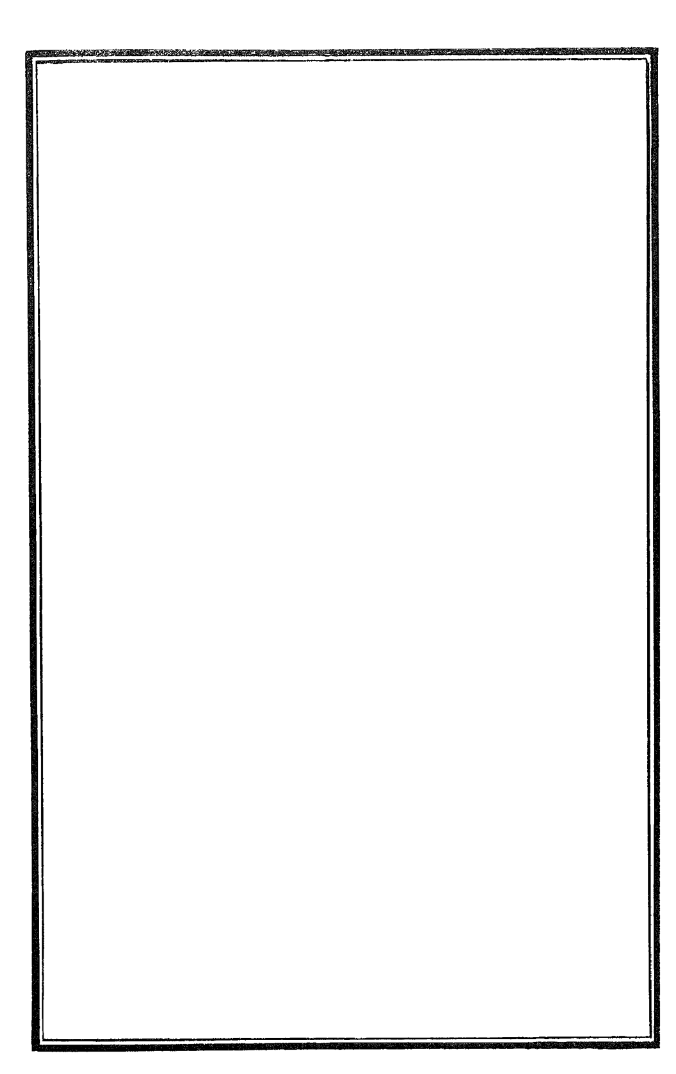

كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
المتوفى ٣٥٦ هـ
تحقيق
الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ
طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت


كتاب
الأغاني



كتاب

الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي　　غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء الرابع والعشرون

منشورات

مؤسسة الأعلى للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة -
ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

خبر عبد اللّه بن أبي العلاء

[اسمه وصنعته وأخذه عن إسحاق]

عبدُ اللَّهِ بنُ أبي العَلاءِ، رجلٌ من أهلِ سُرَّ مَن رأى، وكان يأخُذُ عن إسحاقَ وطبقتِه فبَرعَ، وله صَنْعةٌ يَسِيرةٌ جيِّدةٌ. وابنُه أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبي العلاءِ، أحدُ المُحْسِنين المتقدِّمين، أخذ عن مُخارِقٍ وعلُّويَةَ وطَبَقتِهما. وعُمِّرَ إلى آخرِ أيَّام المعتضِد، وكانت فيه عَرْبدةٌ.

وكان عبدُ اللَّه بن أبي العَلاءِ حَسَنَ الوجهِ والزِّيِّ، ظريفاً شَكِلاً[1].

حدَّثني ذَكاءُ وجهُ الرُّزَّة قال: قال لي ابنُ المكّيّ المُرْتَجِلُ: كان يُقَوِّمُ دابة عبدِ اللَّه بن أبي العلاءِ وثيابَه إذا ركب ألفَ دينارٍ.

قال: وقال لي ابنُ المكيّ: حَدَّثني أبي، قال: نظر أحمدُ بن يُوسُفَ الكاتبُ إلى عبد اللَّه بنِ أبي العلاءِ عندَ إسحاقَ، وهو يُطارِحُه، فأقام عندَ إسحاقَ، وسأَلَه احتبَاس عبدِ اللَّه عندَه، فأَمَره بذلك، فاعْتلَّ عليه. وقال: أُرِيدُ أن أُشَيِّعَ غازياً يَخرُجُ من جِيرانِنا، فقال له أحمدُ بن يُوسُفَ: [الكامل]

لا تَخرُجَنَّ مَعَ الغُزَاةِ مُشَيِّعاً ... إنَّ الغَزِيَّ يَرَاكَ أَفْضَلَ مَغْنَمِ
وَدَعِ الحَجِيجَ ولا تُشَيِّعْ وَفْدَهُمْ ... أَخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الحَجِيجِ المُحْرِمِ
مَا أَنْتَ إلاَّ غَادَةٌ مَمْكُورَةٌ ... لولا شَوارِبُكَ المُحِيطَةُ بِالفَمِ[2]

وقد رُوِيَ أنَّ هذا الشعْر لِسَعِيدِ بن حُمَيدٍ في عبدِ اللَّهِ بن أبي العلاءِ وهو الصَّحيح.

---

(١) الشَّكِل: ذو الغنج والدلال.

(٢) الغادة الممكورة: المرأة المستديرة الساقين الخدلاء.

فأقسمَ عليه إسْحاقُ أن يُقيمَ، فأقامَ.

وقال لي جعفرُ بن قُدامةَ، وقد تجاذبْنا هذا الخبرَ: حَدثني حَمّادُ بن إسحاقَ، عن أبِيه، أَنَّ العِشْرَةَ اتّصلتْ بينَ عبدِ اللّه وبينَ أحمدَ بن يوسفَ، وتَعشَّقَهُ وأنْفق عليه جُملةً منَ المالِ، حتَّى اشْتَهَرَ به، فعاتَبه محمدُ بن عبدِ المَلِك الزَّيات، في ذلك، فقال له: [السريع]

لاَ تَعْذُلَنِّي يا أَبَا جَعْفَرِ ... عَذْلُ الأَخِلاَّءِ مِنَ اللُّومِ(١)
إنَّ اسْتَهُ مُشْرَبَةٌ حُمْرَةً ... كَأَنَّها وَجْنَةُ مَكْظُومِ

وقد قيل: إنَّ هَذيْن البَيْتين لأحمدَ بنِ يوسُف في موسى بنِ عبد الملك.

وكان بعضُ الشعراءِ قد أُولِعَ بعبدِ اللّه بنِ أبي العلاء، يَهْجُوه ويذكرُ أَنَّ أباه أبا العلاءِ هو سالِم السَّقَّاءُ، وفيه يقول هذا الشعرَ: [الخفيف]

كُنْتُ في مَجْلسٍ أَنِيقٍ جَمِيلٍ ... فَأَتَانا ابنُ سالم مُخْتالا
فَتَغَنَّى صَوْتاً فَأَخْطأَ فيهِ ... وابْتَدَا ثانِياً فكانَ مُحَالا(٢)
وابْتَغَى خِلْعَةً على ذَاكَ مِنَّا ... فَخَلَعْنَا على قَفَاهُ النِّعَالا(٣)

وفيه يقول هذا الشاعرُ، أنشَدناه ابنُ عَمّارٍ وغيرُه: [الوافر]

إذا ابْنُ أبي العَلاَءِ أُقِيمَ عَنَّا ... فَأَهْلاً بِالمُجَالسِ والرَّحِيقِ(٤)
قَفَاهُ على أَكُفِّ الشَّرْبِ وَقْفٌ ... وَجِلْدَةُ وَجْهِهِ مَيْدَانُ رِيقِ(٥)

صوت

[المتقارب]

أَفَاطِمُ حُيِّيتِ بِالأَسْعُدِ ... مَتى عَهْدُنا بِكِ لا تَبْعُدِي
تَبَارَكَ ذو العَرْشِ، ماذا نَرَى ... مِنَ الحُسْنِ في جَانِبِ المَسْجِدِ
فَإِنْ شِئْتِ آلَيْتُ بينَ المَقَا ... مِ والرُّكْنِ والحَجَرِ الأَسْودِ

---

(١) اللُّوم: اللّوْم.
(٢) محال: أي غير مستقيم.
(٣) الخِلعَة: ما يُخلَع على المرء ويعطاه.
(٤) الرَّحيق: الخمر.
(٥) الشَّرْب: جماعة الشاربين.

أَأَنْسَاكِ ما دَام عَقْلِي مَعِي أَمُدُّ بِهِ أَمَدَ السَّرْمَدِ[1]

الشعر لأُمَيَّة بنِ أبي عائِذٍ، والغِناءُ لحكَم الوادِي، هَزَجٌ خَفِيفٌ، بإطلاق الوَتَر في مجرى الوُسْطَى، عن إسحاقَ. وفيه للأَبجر ثقيلٌ أوَّلٌ بالوُسْطَى، عن عمرٍو. وقال ابنُ المكِّي: فيه هزَجٌ ثقيلٌ بالبِنصر لِعُمر الوادِي. وفيه لفُلَيح لحنٌ من رواية بَذْل، ولم يذكر طريقته.

(١) السَّرْمَد: الدائم الذي لا يزول.

نسب أمية بن أبي عائذ وأخباره

[توفي نحو ٧٥ هـ/ نحو ٦٩٥ م]

[اسمه ونسبه ومدحه عبد العزيز بن مروان]

أُميّةُ بنُ أبي عائذٍ العَمْريُّ، أحدُ بني عمرو بن الحارثِ بن تميم بن سَعْد بن هُذَيْل. شاعرٌ إسلاميٌّ من شُعراءِ الدَّولةِ الأُمويّة. وهذا أكثرُ ما وجدتُه من نسبه في سائِر النُسَخِ. وكان أميّةُ أحد مَدّاحِي بني مروان؛ وله في عبدِ الملك وعبد العزيز ابنَيْ مروانَ قصائِدُ مشهورةٌ.

فذكر ابنُ الأعرابيّ وأبو عبيدةَ جميعاً أنه وَفَد إلى عبدِ العزيز إلى مصر، وقد امتدَحَه بقصيدته التي أَوَّلُها: [المتقارب]

أَلاَ إنَّ قَـلْـبِـي مَـعَ الـظَّـاعِـنِـيـنَـا ... حَـزِيـنٌ فـمَـنْ ذَا يُـعَـزِّي الـحَـزِيـنـا
فـيَـا لَـكِ مِـنْ رَوْعَـةٍ يَـوْمَ بَـانُـوا ... بِـمَـنْ كُـنْـتُ أَحـسَـبُ أَلاَّ يَـبِـيـنَـا[1]

في هَذَيْن البَيْتين للحُسَين بن مُحْرِزٍ خَفِيف ثَقِيل، عن الهِشَامِيّ.

وفي هذه القصيدة يقول:

إلـى سَـيِّـدِ الـنَّـاسِ عَـبْـدِ الـعَـزيـ ... ـزِ أَعْـمَـلْـتُ لِـلـسَّـيْـرِ حَـرْفـاً أَمُـونَـا[2]
صُـهَـابِـيَّـةً كَـعَـلاَةِ الـقُـيـو ... نِ مِنْ ضَرْبِ جَوهرِ مَا يُخْلِصُونا[3]

---

(١) الرَّوعة: الفزعة والحزن.

(٢) الحَرْف: الناقة الصلبة الضامرة. والأمون: الناقة الموثقة الخلق.

(٣) صهابيّة: نسبة إلى الصَّهَب والصهبة وهو اللون الذي يخالط بياضه حمرة. والعلاة: السندان. والقيون: جمع القين: الحدّاد.

إذَا أزْبَدَتْ مِنْ تَبَارِي المَطِيّ ... خِلْتَ بها خَبَلاً أو جُنُونا
تَؤُمُّ النَّوَاعِشَ والفَرْقَدَيْنِ ... تُنَصِّبُ لِلقَصْدِ منها الْجَبِينَا[1]
إلى مَعْدِنِ الخَيْرِ عَبْدِ العَزِيزِ ... تُبَلِّغُنا ظُلَّعاً قد حَفِينَا[2]
تَرَى الأُدْمَ والعِيسَ تحتَ المسُو ... حِ قد عُدْنَ مِنْ عَرَقِ الأيْنِ جُونَا[3]
تَسِيرُ بِمَدْحِيَ عَبْدَ العزِيـ ... ـزِ رُكْبَانُ مَكَّةَ والمُنْجِدُونا
مُحَبَّرَةٌ مِنْ صَرِيحِ الكَلا ... مِ لَيْسَ كَمَا لَفَّقَ المُحْدِثُونا
وكان امرأً سَيِّداً مَاجِداً ... يُصَفِّي العَتِيقَ وَيَنفي الهَجِينا[4]

قال: وطال مُقامُه عند عبدِ العزيز، وكان يأنَسُ به، ووصلَه صِلاتٍ سَنِيَّةً، فتشوَّق إلى الباديةِ وإلى أهلِه، فقال لعبدِ العزيز: [الطويل]

مَتَى رَاكِبٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وأَهْلُهُ ... بِمَكَّةَ مِنْ مِصْرَ العَشِيَّةَ رَاجِعُ
بَلَى إنَّها قَدْ تَقْطَعُ الخرْقَ ضُمَّرٌ ... تُبَارِي السُّرَى والمُعْسِفونَ الزَّعَازِعُ
متى ما تُجْزِهَا يابْنَ مروانَ تَعْتَرِفْ ... بِلادَ سُلَيْمَى وهي خَوْصَاءُ ظَالِعُ[5]
وبَاتَتْ تَؤُمُّ الدَّارَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... لِتَخْرُجَ واشْتَدَّتْ عليها المَصَارِعُ
فلمّا رَأَتْ ألاَّ خُرُوجَ وأنَّمَا ... لها مِنْ هَوَاها ما تُجِنُّ الأَضَالِعُ[6]
تَمَطَّتْ بِمَجْدُولٍ سِبَطْرٍ فطَالَعَتْ ... وماذا مِنَ اللَّوْحِ اليَمَانِي تُطَالِعُ!

فقال له عبدُ العزيز: اشتقتَ ـ واللَّهِ ـ إلى أهلِكَ يا أُميَّةُ، فقال: نعم ـ واللَّهِ ـ أيُّها الأميرُ، فوَصَله وأَذِن له.

وَممَّا يُغنَّى فيه من شعرِ أُمَيَّةَ:

صوت

[المتقارب]

تَمُرُّ كَجَنْدَلَةِ المَنْجَنِيـ ... ـقِ يُرْمَى بها السُّورُ يَوْمَ القِتَالِ[7]

(١) النواعش: يريد بنات نعش وهي سبعة كواكب. والفرقدان: نجمان يُهتدى بهما.
(٢) الظُّلَّع: جمع الظالع والظالعة: الناقة التي تعرج في مشيها لكثرة المشي والتعب.
(٣) الأيْن: التعب. والجون: من الأضداد وهو الأبيض والأسود.
(٤) يُصفّي: يتَّخذه صَفِيّاً.
(٥) الخوصاء: الضيقة العين الغائرتها.
(٦) تُجِنُّ الأضالع: تخفي.
(٧) الجندلة: الصخرة الفخمة.

فَمَاذا تُخَطْرِفُ من قُلَّةٍ ... ومِنْ حَدَبٍ وإكَام تَوَالِي[1]
ومِنْ سَيْرِها العَنَقُ المُسْبَطِرُّ ... والعَجْرَفِيَّةُ بَعْدَ الكلاَلِ[2]

الغناءُ لابن عائشة وقد ذُكر في أخباره مع غريبِه، وأحادِيثَ لابن عائشةَ في معناه.

صوت

[الطويل]

أَأُمَّ نُهَيْكٍ ارفَعِي الطَّرْفَ صَاعِداً ... ولا تَيْأَسِي أَنْ يُثرِيَ الدَّهْرَ بَائِسُ
سَيُغْنِيكِ سَيْرِي في البِلادِ ومَطْلَبِي ... وبَعْلُ الَّتِي لم تَحْظَ في الحَيِّ جَالِسُ
سَأَكْسِبُ مَالاً أو تَبِيتِنَّ لَيْلَةً ... بِصَدْرِكِ مِنْ وَجْدٍ عَلَيَّ وَسَاوِسُ
وَمَنْ يَطْلبِ المَالَ المُمَنَّعَ بِالقَنَا ... يَعِشْ مُثْرِياً أو يُودِ فيما يُمَارِسُ

الشعر لعبدِ اللَّه بن أبي مَعْقِل الأنصاريِّ. والغناء لسُلَيم، خفيفُ ثقيلٍ بالوُسْطَى، عن عمرٍو، وقد ذكر ابن المكّيّ أن فيه لإبراهيمَ لحناً من الهزَج بالوُسْطَى، وذكر الهشاميّ وحَبَشٌ أن فيه لإبراهيم ثاني ثقيلٍ، وذكر حَبَش أنه لإسحاقَ.

(١) تخطرفُ: توسّع خطوها. والقُلّة: رأس الجبل. والحَدب: المكان المرتفع.
(٢) العَنَق: ضرب من سير الإبل. والمُسْبَطِرّ: السريع. والكلال: التعب.

أخبار عبد اللّه بن أبي معقل ونسبه

[اسمه ونسبه]

هو عبدُ اللّهِ بنُ أبي مَعقِلِ بن نُهَيْك بن إسافِ بن عديٍّ بن زَيد بن جُشَم بن حارثةَ بن الحارِث بن الخَزْرَج بن عَمْرو - وهو النَّبيتُ - ابن مالك بن الأَوْسِ بن حارِثَة بن ثَعْلَبَة بن عمرِو بن عامرِ بن حارثةَ بنِ امرىء القَيْس بن ثَعْلَبَة بن مازِنِ بن الأَزْدِ بن الغَوْثِ بن نَبْتِ بن مالكِ بن زيد بن كهلانَ بن سَبَأ بن يَشجُبَ بن يَعْرُبَ بن قَحْطان. شاعر مُقِلٌّ حِجازيٌّ من شُعراءِ الدَّولة الأُمَويَّة. وكان يقالُ لأبيهِ: مُنهِب الوَرِق. وقيل: بل جَدُّه المُسَمَّى بذلك، لأنه كَسَب مالاً، فعجب أهلُ المدينةِ من كثْرتِهِ، فأباحَهُمْ إيَّاه فَنَهَبُوه.

أخبَرني الحَرميُّ بنُ أبي العَلاءِ قال: حدَّثني أبو بكر عبدُ اللّه بن جعفر بن مُصْعَب بن عبد اللّه الزُّبَيْريّ قال: حدَّثني جَدِّي مُصْعَب بن عبد اللّه، عن ابن القدَّاح أنَّه قال: هذان البيتانِ، يعني قولَه:

أَأُمَّ نُهَيْكٍ ارفعي الطَّرف صاعداً ....

والذي بعدَه لعبدِ اللّه بن أبي مَعْقِل بن نُهيك بن إساف، والناس يروونهما لجدِّه. وليس ذلك بصحيحٍ؛ هما لعبدِ اللّه.

وكان عَبَّادُ بن نُهَيْك بن إساف، عمُّه، أدرك النبيَّ ﷺ وصَحِبَه، وصلّى معهُ إلى القِبلَتَين، وصلّى معه الظهرَ، وصلّى معه في ركعتين منها إلى بيتِ المَقْدِسِ، وركْعَتَيْن إلى الكعبةِ. وأدرك النبيَّ ﷺ وهو شيخٌ كبيرٌ لا فضل فيه، فوضَعَ عنه الغَزْوَ.

وكان نُهيك بن إساف يُهاجي أبا الخَضرِ الأشْهليَّ في الجاهليَّة، وأشعارُهما موجودةٌ في أشعارِ الأنْصار.

[محسودٌ ليساره وسعة ماله]

أخبرني الحرميُّ بن أبي العلاءِ قال: حدَّثني عبدُ اللَّه بن جعفرٍ عن جدِّه مُصْعَب، عن ابن القدَّاح قال: كان ابنُ أبي مَعْقِل مَحْسُوداً في قومِه، يُجاهِرُونه بالعداوةِ ليساره وسعةِ مالِه، ويحسُدونه، وكان بنَى قصراً في بني حارثة، وسماه مُرْغَماً وقال له قائِلٌ: ما لَكَ ولِقومِكَ؟ فقال: ما لي إليهم ذَنْبٌ إلا أنِّي أثريت وكنتُ مُعدِماً، وبَنَيْتُ مُرغَماً، وأنكحتُ مَرْيَمَ ومَرَيْمَ - يعني ابنتَه مَرْيَم وبنت ابْنِه مريم -. فأَمَّا ابنتُه مريم فتزوَّجها حبيبُ بن الحكَم بن أبي العاصي بن أُمَية، وبنتُ ابنهِ مسكين بن عبدِ اللَّه بن أبي مَعْقِل - وهي مَرْيم - تزوَّجها محمد بن خالد بن الزُّبَيْرِ بن العَوَّام.

أخبرني الحرميُّ قال: حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّارٍ قال: حَدَّثني عمِّي مُصْعَبٌ قال: خَطَبَ محمدُ بن خالد بن الزُّبَير وحَبيبُ بن الحَكم بن أبي العاصي إلى عبد اللَّه بن أبي مَعْقِل ابنتَه مَرْيم، فَأَرْغَبه حبيبٌ في الصَّداقِ فزوَّجَه إيَّاها، ثم شَبَّت مريمُ بنتُ مِسكين بن عبد اللَّه بن أبي مَعْقِل، فبَرعت في الجمالِ. ولَقِيَ محمدَ بن خالد يوماً فقال له: يابن خالدٍ، إن تكن مريمُ قد فاتَتْك فقد يَفعتْ مريمُ بنتُ أخيها، وما هي بدونِها في الجمال، وقد آثرتُكَ بها. قال: فتزوَّجَها على عشرين ألفاً.

وقال ابن القَدَّاح: كان ابنُ أبي معقل كثيرَ الأسفارِ في طَلَبِ الرِّزْق، فلامَتْه امرأتُه أُمُّ نُهَيكٍ - وهي ابنةُ عمِّه - على ذَلك، وقد قَدِمَ من مصر، فلَم يَلْبَثْ أن قال لها: جَهِّزيني إلى الكوفة، إلى المُغيرةِ بن شُعْبَةَ، فإنَّه صديقي وقد ولِيَها، فجهَّزتْه ثم قالَتْ: لن تزالَ في أسفارِكَ هذه تَتَرَدَّدُ حتَّى تموتَ، فقال لها: أو أُثْرِيَ. ثم أنشأ يقول:

[الطويل]

أَأُمَّ نُهيْكٍ ارْفَعِي الطَّرْفَ صاعِداً ... ولا تيأسي أَنْ يُثْرِيَ الدَّهرَ بائِسُ

وهي قصيدةٌ فيها مِمّا يُغَنَّى فيه قولُه:

صوت

فلَوْلاَ ثَلاَثٌ هُنَّ مِنْ عِيشَةِ الفَتَى — وجَدِّكَ لم أَحْفِلْ متى قَامَ رَامِسُ[١]
فمِنْهُنَّ تَحْرِيكُ الكُمَيْتِ عِنَانَهُ — إذا ابْتَدَرَ النَّهْبَ البَعِيدَ الفَوَارِسُ[٢]
وَمِنْهُنَّ سَبْقُ العَاذِلاتِ بِشَرْبَةٍ — كَأَنَّ أَخَاها ـ وهو يَقْظَانُ ـ نَاعِسُ
ومنهنّ تَجْرِيدُ الأوَانِس كَالدُّمَى — إذا ابْتُزَّ عَنْ أَكْفَالِهِنَّ المَلابِسُ

الغناءُ في هذه الأبياتِ لمقاسة بن ناصِح، ثقيل أوّل بالبِنصر، وفيها لِلحُسَين بن مُحْرِز خفيفُ ثقيل من جامع أغانيه، وهو لحنٌ معروفٌ مشهورٌ.

[مصعب بن الزبير يندبه إلى غزوة زرنج]

قال ابن القدّاح: ثم قَدِمَ المدينةَ، فلم يزل مُقيماً بها حتى وليَ مُصعبُ بنُ الزُّبير العراقَ، فوفد إليه ابن أبي مَعْقِل، ولَقِيَهُ، فدخل إليه يوماً وهو يندُب الناسَ إلى غزوة زَرَنج[٣] ويقول: مَن لها؟ فوَثب عبد اللّه بن أبي معْقِل وقال: أنا لها، فقال له: اجْلسْ، ثم ندَبَ الناس، فانتَدبَ لها مرةً ثانيةً، فقال له مُصْعَبٌ: اجلس، ثم ندَبهم ثالثةً، فقال له عبدُ اللّه: أنا لها، فقال له: اجلس. فقال له: أَدْنني إليكَ حتّى أُكَلِّمَكَ، فأَدْناه، فقال: قد علمتُ أنَّه ما يمنعُكَ مِنِّي إلا أَنَّكَ تعرِفُني، ولو انتدَب إليها رجلٌ مِمَّن لا تعرفه لَبَعثته، فَلعلَّك تحسُدني أن أُصِيبَ خيراً أو أَسْتَشْهِد فأَسْتَرِيح من الدُّنيا وطلبِها. فأعجبَه قولُه وجزالتُه فولاَّه، فأصابَ في وجهِه ذلكَ مالاً كثيراً، وانصرفَ إلى المدينة، فقال لزوجته: ألم أُخْبِرْك في شعري أَنَّه:

[الطويل]

سَيُغْنِيكِ سَيْرِي في البِلادِ ومَطْلَبي — وبَعْلُ التي لم تَحْظَ في الحَيِّ جَالِس

فقالت: بلى واللّهِ، لقد أخبرتني وصدَق خبرُك.

قال: وفي هذه الغَزاةِ يقول ابنُ قيس الرقيّات:

---

(١) الرَّامس: الذي يدفن الميت.
(٢) الكميت من الخيل: ما كان في لونه حمرة مع السواد.
(٣) زرنج: اسم مدينة وهي قصبة سجستان (معجم البلدان ٣:١٣٨).

صوت

[الخفيف]

إنْ يَعِشْ مُصْعَبٌ فنَحْنُ بِخَيْرٍ قد أتانا مِنْ عَيْشِنَا ما نُرَجِّي
مَلِكٌ يُطْعِمُ الطَّعَامَ ويَسْقِي لَبَنَ البُخْتِ في عِسَاسِ الخَلَنْجِ[1]
جَلَبَ الخَيْلَ مِنْ تِهَامَةَ حَتَّى بَلَغَتْ خَيْلُه قُصُورَ زَرَنْجِ

صوت

[البسيط]

يَقْتُلْنَنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ ولاَ مكْنُونُهُ بَادِي
فهُنَّ يَنْبِذْنَ من قَوْلٍ يُصِبْنَ به مَوَاقِعَ الماءِ مِن ذِي الغُلَّةِ الصَّادِي

الشعر للقُطامِيّ، والغناء لإسحاق، خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى وفيه رمل مجهول.

(١) البُخْت: الإبل الخراسانية تُنتَج من بين عربية وفالج. والعِسَاس: جمع العُسّ: القدح الضخم. والخلنج: شجر تُتَّخذ من خشبه الأواني.

ذكر نسب القُطَامِيّ وأخباره

[توفي نحو ١٣٠ هـ/ ٧٤٧ م]

[اسمه ونسبه ولقبه]

القُطامِيّ لَقَبٌ غَلَب عليه، واسمُه عُمَيْر بن شُيَيم، وكان نصرانيّاً، وهو شاعر إسلاميٌّ مُقِلٌّ مُجِيدٌ.

أخبرني عمّي قال: حدَّثَنا الكرانيّ قال: حَدَّثنا العُمَرِيُّ، عن الهَيْثم بن عَدِيٍّ عن عبد اللَّه بن عياش، عن مُجالد، عن الشَّعبيّ قال: قال عبدُ الملِكِ بن مروان، وأنا حاضرٌ، للأخطلِ: يا أَخطلُ، أتُحِبُّ أنَّ لَكَ بشعرِك شعرَ شاعرٍ من العرب؟ قال: اللهمَّ لا، إلاّ شاعراً مِنَّا مُغْدَفَ القِناع[1]، خامِلَ الذِّكر، حديث السِّنّ، إن يكنْ في أحدٍ خيرٌ فسيكون فيه، ولودِدْتُ أنِّي سَبَقْتُه إلى قوله: [البسيط]

يَقْتُلْنَنا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ ... مَنْ يتَّقِينَ ولا مَكْنُونُهُ بَادِي

فهُنَّ يَنْبِذْنَ مِن قَوْلٍ يُصِبْنَ به ... مَواقِعَ المَاءِ من ذِي الغُلَّةِ الصَّادِي

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ، قال: حدَّثنا محمد بن صالح بن النَّطَّاح قال: القُطامِيُّ أوّلُ من لُقِّب صريعَ الغَوانِي بقوله: [الطويل]

صَرِيعِ غَوَانٍ رَاقَهُنَّ ورُقْنَهُ ... لَدُنْ شَبَّ حتى شَابَ سُودُ الذَّوائبِ[2]

قال أبو عمرو الشّيبانيّ: نَزَل القطاميُّ في بعضِ أَسْفارِهِ بامرأةٍ من مُحارِبِ

(١) مُغْدَف القناع: مُقَنَّع.

(٢) لَدُنْ: ظرف زمان بمعنى «منذ» مبني.

قيسٍ، فنسَبها فقالت: أنا من قوم يشتَوُون القَدَّ[١] من الجُوع، قال: ومَن هؤلاء وَيْحَكِ؟ قالت: مُحارِبٌ. ولم تَقْرِهِ، فبات عندها بأسوإ ليلةٍ، فقال فيها قصيدةً أوَّلُها: [الطويل]

نَـأَتْـكَ بِـلَـيْـلَـى نِـيَّـةٌ لـم تُـقَـارِبِ ... وما حُبُّ لَيْلَى مِنْ فُؤَادِي بِذَاهِبِ

يقولُ فيها:

ولا بُـدَّ أَنَّ الـضَّـيْـفَ يُـخْـبِـرُ مـا رَأَى ... مُـخَـبِّـرُ أَهْـلٍ أو مُـخَـبِّـرُ صَـاحِـبِ
سَـأُخْـبِـرُكَ الأَنْـبَـاءَ عَـنْ أُمِّ مَـنْـزِلٍ ... تَضَيَّفْتُها بيـن العُذَيْـبِ فراسِبِ[٢]
تَـلَـفَّـعْـتُ فـي طَـلٍّ وريـحٍ تَـلُـفُّـنـي ... وفـي طِرْمِساءَ غيـرِ ذاتِ كـواكـبِ[٣]
إلـى حَـيْـزَبـونٍ تُـوقِـدُ الـنَّـارَ بـعـدَما ... تَـلَـفَّـعَـتِ الظَّـلْـماءُ من كُلِّ جَانِبِ[٤]
تَـصَـلَّـى بـهـا بَـرْدَ الـعِـشَـاءِ ولـم تَـكُـنْ ... تَـخَـالُ وَمِـيـضَ الـنَّـارِ يَـبْـدُو لِـرَاكِـبِ
فـمـا رَاعَـهـا إلاَّ بُـغَـامُ مَـطِـيَّـةٍ ... تُريحُ بِمَحْسورٍ مِنَ الصَّوتِ لاغِبِ[٥]
تَـقـولُ وقـد قَـرَّبْـتُ كُـورِي ونَـاقَـتِـي ... إِلَـيْـكَ فَـلاَ تَـذْعَـرْ عَـلَـيَّ رَكـائِـبـي[٦]
فـلـمَّـا تَـنَـازَعْـنـا الـحَـدِيـثَ سَـأَلْـتُـهـا: ... مَنِ الحَيُّ؟ قالت: مَعْشَرٌ من مُحارِبِ
مِـنَ الـمُـشْـتَـوِيـنَ الـقَـدَّ مِـمَّـا تَـرَاهُـمُ ... جِياعاً وريفُ النَّاسِ ليس بِعَازِبِ[٧]
فـلـمَّـا بَـدَا حِـرْمَـانُـهـا الـضَّـيْـفَ لـم يَـكُـنْ ... عَـلَـيَّ مُـنَـاخُ الـسَّـوْءِ ضَـرْبَـةَ لاَزِبِ

[مكافأة عبد الواحد بن سليمان له لمدحه بشعره]

قال أبو عمرو بن العَلاَءِ: أول ما حَرَّكَ من القُطامِيّ ورفَع من ذِكرِه أنه قَدِم في خِلافةِ الوَليدِ بن عبد المَلِك دمشقَ ليمْدَحَه، فقيل له: إنّه بَخيلٌ لا يُعطي الشُّعراءَ. وقيل: بل قَدِمَها في خلافة عُمَر بن عبد العزيز، فقيل له: إن الشعر لا

(١) القَدّ: جلد ولد الشّاة عند ولادته، وهو يشوى ويؤكل في الجدب.
(٢) العُذَيب: اسم لعدة مواضع ومنها ماء بين القادسية والمغيثة (معجم البلدان ٤: ٩٢). وراسب: أرض ذكرت في شعر القطامي، (معجم البلدان ٣: ١٣).
(٣) الطَّلّ: المطر الخفيف الضعيف. والطِّرْمساء: الظلمة الشديدة.
(٤) الحيزبون: العجوز.
(٥) البُغَام: صوت الناقة والظبية وغيرها. واللاَّغب: المتعب أشدّ التعب.
(٦) الكُور: الرَّحْل.
(٧) العازب: البعيد.

يَنْفُقُ عند هذا ولا يُعطِي عليه شيئاً، وهذا عبدُ الواحد بن سُليمان بن عبد الملك فامتدِحْه، فمدَحَه بقصيدته التي أوّلها: [البسيط]

إنَّا مُحَيُّوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ وإنْ بَلِيتَ وإنْ طَالَتْ بِكَ الطِّيَلُ[١]

فقال له: كم أَمَّلْتَ من أميرِ المُؤمنين؟ قال: أَمَّلْتُ أن يُعطِيَنِي ثلاثين ناقةً. فقال: قد أمرتُ لكَ بخمسين ناقةً مُوقَرةً[٢] بُرّاً وتمراً وثياباً، ثم أَمَرَ بدفع ذلك إليه.

وفي أوَّل هذه القصيدة غناءٌ نسبته:

صوت

إنَّا مُحَيُّوكَ فَاسْلَمْ أَيُّها الطَّلَلُ وإنْ بَلِيتَ وإنْ طَالَتْ بِكَ الطِّيَلُ
يَمْشِينَ رَهْواً فلا الأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ ولا الصُّدُورُ على الأَعْجَازِ تَتَّكِلُ[٣]

الغناء لِسُليم، هزج بالبِنصر. وقيل: إنه لغيره.

أخبرني ابنُ عَمَّار قال: حدَّثنا محمد بن عَبَّاد قال: قال أبو عمرو الشَّيبانيّ: لو قال القُطامِيُّ بيتَه: [البسيط]

يَمْشِينَ رَهْواً فلا الأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ ولا الصُّدُورُ عَلَى الأعجازِ تَتَّكِلُ

في صفة النساء لكان أَشْعَرَ الناس.

ولو قال كُثَيِّرٌ: [الطويل]

فَقُلْتُ لها: يا عَزُّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إذا وُطِّنَتْ يَوْماً لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتِ

في مرثيّة أو صفةِ حَرْب لكان أشعر النَّاس.

وأخبرني أحمد بن جعفرٍ جَحْظة قال: حدَّثني مَيْمونُ بن هارون قال: حدَّثني رجلٌ كان يُديم الأسفارَ، قال: سافرتُ مَرّةً إلى الشَّام على طريق البَرِّ، فجعلتُ أتمثّل بقول القُطامِيِّ: [البسيط]

قد يُدْرِكُ المُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وقد يَكُونُ مع المُسْتَعجِلِ الزَّلَلُ

---

(١) الطِّيَل: الدّهر.
(٢) الموقَرَة: المحمَّلة حملاً ثقيلاً.
(٣) يمشينَ رَهْواً: برفق.

ومَعِي أعرابيٌّ قد استأجرتُ منه مَرْكَبي، فقال: ما زاد قائلُ هذا الشعرِ على أن ثَبّطَ النَّاسَ عن الحَزْم، فهلاَّ قال بعدَ بيته هذا: [البسيط]

وربَّما ضَرَّ بَعْضَ النَّاسِ بُطْؤُهُمُ وكَانَ خَيْراً لَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ عَجِلُوا

[سببُ أَسْرِهِ]

وكان السببُ في أسْر القطاميّ، على ما حَكاه مَن ذَكَرْنا، وذكر ابن الكلبيّ عن عُرَامِ بن حازمِ بن عطيَّة الكلبيّ قال:

أغار زُفَرُ بن الحارث على أهل المُصَيَّخ[1]، وبه جماعةٌ من الحاجّ وغيرِهم، وقد أصابَ أول النَّهارِ أهلَ ماءٍ يُقال له حَصْف، وفيه سَيِّدُ بني الجُلاحِ مَصاد بنُ المُغيرة بن أبي جَبلة، فأسره، فأتى به قَرْقيسيا[2]، ثم مَنَّ عليهِ، وقتَل عفيفَ بن حَسَّان بن حُصَيْن من بني الجُلاحِ، ثم مضى زُفَر إلى المصيّخ فاجتمع مَن بها إلى عُمَير بن حسّان بن عُمر بن جَبَلَة فامتَنَعُوا، فقال لهم زُفَرُ: إني لا أُريد دماءَكم، فأعْطُوا بأيديكم. فأبَوْا وقاتَلُوا فقُتِل منهم جماعةٌ كثيرةٌ، وقُتِلَ معهم رجُلانِ من تَغْلِبَ، يقال لأحدهما جَسَّاس، والآخر غَنِيّ، وهو أبو جَسَّاسٍ. وقد قالت له امرأتُه: يا أبا جَسَّاسٍ، هؤلاء قومُكَ فَأْتِهِم حين اجتمعُوا وامتنَعُوا، فقال: اليومَ نِزارِيٌّ وأمس كَلْبيٌّ! ما أنا بمُفارقهم، فقاتَل حتَّى قُتِل، فكانت القتلى يوم المُصيّخ من كَلْبٍ ثمانيةَ عشر رجلاً والتّغلبيَّيْن، وبَقِيَ الماءُ ليس فيه إلا النِّساءُ. فلمّا انصرفَ عنهُم زُفَرُ أراد النساءُ أن يجرُرْنَ القَتْلَى إلى بئرٍ يقالُ لها كَوْكَب. فلما أردْنَ أن يجرُرْنَ رجُلاً قالت وَلِيَّتُه من النِّساءِ: لا يكونُ فلانٌ تحت رجالِكُنَّ كُلِّهم، فأَتَتْ أُمُّ عميرِ بنِ حَسّان، وهي كَيِّسةُ بنتُ أُبيّ، فأَعْلَقت في رِجْلِه رداءَها، ثم قالت: اجسُر عُمَيْرُ فإنَّ أباكَ كان جَسُوراً، ثم ألقَتْ عليه التُّرابَ والحَطَب ليكونَ بينَهُ وبين أصحابِهِ شيءٌ. ثم جَعَلْنَ كلما ألقَيْن رجلاً أَلْقَيْن عليه التُّرابَ والحَطَب حتى وارتهم القليب. ولمّا بلغَ حُمَيدَ بن حُرَيْث بن بَحْدَلٍ ما لَقِيَ قومُهُ أقبل حتى أتى تَدْمُر ليجمع أصحابه، ولِيُغِيرَ عَلَى قيس. فلما وقعت الدِّماء نهض بنُو نُميرٍ، وهم يومَئِذٍ بِبطنِ الجبل، وهُو عَلَى مياهٍ لهم، إلى حُمَيد بن حُرَيْثٍ بن بَحْدَلٍ، حتى قدِمَ وراءَهُ يتهيَّأ لِلغارة، واجتمعت إليه كلبٌ، وقالوا له: إن كنت تُبْرئُنا ببراءَتِنا، وتعرف

(١) المُصَيَّخ: موضع بين حوران والقلت، أو هو ماء بالشام (معجم البلدان ٥: ١٤٤).

(٢) قرقيسيا: موضع على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق (معجم البلدان ٤: ٣٢٨).

جِوارنا أَقَمنا، وإن كنت تتخوّفُ علينا من قومِكَ شيئاً لَحِقْنا بقومنا، فقال: أَتُرِيدون أن تكونوا أَدِلاَّءَهُمْ حتى تَنجَلِيَ هذه الفِتْنَةُ؟ فاحتَبَسهُمْ فيها، وخليفتُه في تَدْمُر رجلٌ من كلبٍ يقال له: مَطَرَ بن عوص، وكان فاتِكاً، فأَراد حُمَيداً عَلَى قَتْلِهِم، فَأَبَى وكَرِهَ الدِّمَاءَ، فلمّا سار حُمَيْد، وقد عاد زُفَرُ أيضاً مُغِيراً، لِيَرُدَّه عمّا يُرِيدُه، فنَزل قَريةً له، وبلغَهُ مَسِيرُ زُفَر فاغْتاظ وأخذ في التَّعبِئة، فأَتاه مطرٌ وكان خرج معه مُشيِّعاً له انتِهازاً لدماءِ الَّذِين في يدِهِ من النُّمَيرِيِّين، فقال: ما أَصْنَعُ بهؤلاء الأسارى الَّذينَ في يَدِي وقد قُتِلَ أهل مُصَيَّخ؟ فقال وهو لا يَعْقِلُ من الوَجْدِ: اذهَبْ فاقتُلْهم. فخرج مطرٌ يَرْكُضُ إلى تَدْمُر، تخوُّفَ ألاَّ يبدو له[1]، فلمّا أتى تَدْمُر قتلَهُمْ، وانتبه حُمَيدٌ بعد ذلك بساعةٍ فقال: أينَ مطرٌ حتى أُوصِيَهُ؟ قالوا: انصَرَف، قال: أَدْرِكُوا عَدُوَّ اللَّه، فإنِّي أخافُ عَلَى مَن بيده من النُّمَيرِيِّينَ. وبعث فارساً يَرْكُضُ يمنعُ مَطراً عن قتلِهم، فأَتاه وقد قَتَل كُلَّ من كان في يدِهِ من الأَسْرَى إلاَّ رجُلَيْن - وكانوا سِتِّين رجُلاً - فلما بَلَّغَه الرَّسُولُ رسالةَ حُمَيْدٍ قال النُّمَيْرِيّان الباقيانِ: خلِّ عنا فقد أُمِرتَ بتخْلِيةِ سَبِيلِنا، فقال: أبعْد أهْل المصيَّخ! لا واللَّه لا تُخبِّرانِ عنهُمْ، ثم قتلَهما. فلمّا بلغ زُفَرَ قتلُ النُّمَيْرِيَّيْن بَسَط يدَه عَلَى كُلِّ مَن أدرك من كلْبٍ، واستحلَّ الدِّماءَ، وأَخَذ في وادٍ يقال له وادِي الجُيُوشِ، وقد انتشَرتْ به كلبٌ للصَّيْدِ، فلمْ يُدْرِك به أحداً إلاَّ قَتَلَهُ، فقَتَل أكثر من خَمْسِمائةٍ، ولم يلقه حُمَيْد، ثم انصرف إلى قرقيسياء.

وذكر بعضُ بني نُمَيرٍ أن زُفَر أغار على كلْبٍ يوم حَفِير ويوم المُصَيَّخ ويوم الفَرْس، فقَتل منهم أكثر من ألفِ رجُلٍ. قال: وأَغار عليهم زفرُ في يوم الإِكْليل فقتل منهم مَقْتَلةً عظِيمةً، واستاق نَعَماً كثيرةً.

وذكر عرّام قال: قتَل زُفَر يوم الإِكْليل جُبَيْر بن ثَعْلَبة من بني الجُلاح، وحَسَّان بن حُصَيْن من بني الجُلاح، ومحمّد بنَ طُفَيْل بن مُطَير بن أبي جَبَلة، وعمرو بن حسَّان بن عَوْف من بني الجلاح، ومحمد بن جَبلة بن عَوْف، أخوان لأمّ. وقالت امرأة من بني كلبٍ تَرْثيهِم: [السريع]

أَبَـعْـدَ مَـنْ دَلَّـيْـتِ فـي كَـوْكَـبٍ ... يـا نَـفْـسُ تَـرْجِـيـنَ ثَـوَاءَ الـرِّجَـالْ؟

---

(١) أي تخوّف أن يغيّر حميد رأيه في قتلهم.

[عمير بن الحباب يغير على كلب]

قال لقيط: أخبرني بعضُ بني نمير قال: أغار عُمَيرُ بن الحُباب على كلْبٍ فأصابَهُمْ يومَ الغُوَيْر ويَوم الهُبل ويوم كآبة.

فأمَّا يوم الغُوير فإنَّه أرسل رجُلاً من بني نُميْرٍ يقال له كُلَيب بن سَلَمة عيناً له، ليعْلم له عِلْمَ ابن بَحْدَلٍ، وكانت أُمُّ النمَيْرِي كلبيَّةً، فكانت تَتكلَّم بكلامِهم، فكان الحَسام بن سالم طريداً فيهم فنَذِروا به فقَتلُوه وأخذُوا فرسَهُ، فَلَقِيَ كُلَيبُ بن سَلمة رجُلاً من بني كلبٍ فعَرفه، فقال: مِنْ أينَ جئتَ؟ فقال: من عندِ الأميرِ حُمَيد بن حُرَيْث، قال: وأيْنَ تركتَهُ؟ قال: بمكان كذا وكذا، قال كليبٌ: كذبتَ! أنا أَحْدَثُ به عهداً منكَ، قال: فأين تركته أنتَ؟ قال: بغُوير الضبُع، قال: لكنِّي فارقته أَمسِ، فخرج النُّميريُّ يَسُوقُ الكلبيَّ إلى أصحابِهِ ـ قال: فواللَّهِ إنِّي لو أشاءُ أن أقتُلَه لقَتَلْتُه، أو آخذَه لأخذتُه ـ فخرجَ يَسُوقُه، حتَّى إذا نَظَر إلى القوم أنْكَرَهُمْ، فقال: واللَّهِ ما أرى هؤُلاء أصحابَنا. قال: ويَسْتدبرُه النُّميْريّ فيَطْعنُه عندَ ناغِض[1] كَتِفِه اليمنى، حتى أخرج السّنانَ من حَلَمة الثَّدْيِ، وأخطأ المقتَلَ، وحرَّكَ الكلبيُّ فرسَه مُوَلِّياً، فاتَّبَعتْه الخيلُ حتى يَدفع إلى ابن بَحْدلٍ فانهزم، فقتلوا من كلب مقتلة عظيمة، واتّبع عُمَيرٌ ابنَ بحدل فجعل يقولُ لفرسِهِ: [الرجز]

أقْــدِمْ صِــدَامُ إنَّــهُ ابْــنُ بَــحْــدَلْ[2]

لا تُــدْرِكِ الــخَــيْــلَ وَأَنْــتَ تَــذْأَلْ[3]

أَلاَ تَــمُــرّ مِــثْــلَ مَــرِّ الأَجْــدَلْ[4]

قال: فمضى حُمَيْدٌ حتى يَدفَع إلى الغُوَيرِ[5]، وقد كاد الرُّمْحُ ينالُه، فانطَلَقَ يُريدُ الباب، فطعَن عميرٌ البابَ وكسر رُمْحَه فيه، فلم يُفْلِتْ من تلك الخيلِ غيرُ حُمَيدٍ وشبلِ بن الخَيْتار. فلمَّا بلغ ذلك بِشرَ بنَ مروانَ قال لخالدِ بن يزيدَ بن

(١) الناغض: أصل العنق وهو فرع الكتف.
(٢) صِدَام: اسم فرس.
(٣) تدأل: من الدَّأل: وهو مشيٌ تتقارب فيه الخطوات من بعضها.
(٤) الأجدل: الصقر.
(٥) الغُوَير: ماء لكلب بين العراق والشام (معجم البلدان ٤: ٢٢٠).

معاوية: كيفَ تَرى خالِي طَرَدَ خالَكَ؟

وقال عُمَيْرٌ: [الطويل]

وَأَفْلَتَنَا رَكْضاً حُمَيْدُ بْن بَحْدلٍ ... على سَابِحٍ غَوْجِ اللَّبَانِ مُشابِرِ[(١)]

ونَحْنُ جَلَبْنَا الخَيْلَ قُبّاً شَوَازِباً ... دِقَاقَ الهَوَادِي دَامِيَاتِ الدَّوَابِرِ[(٢)]

إذا انْتَقَصَتْ مِنْ شَأْوِهِ الخَيْلُ خَلْفَهُ ... تَرَامَى بِهِ فَوْقَ الرِّمَاحِ الشَّوَاجِرِ[(٣)]

تُسَائِلُ عن حَيَّيْ رُفَيْدَةَ بَعْدَما ... قَضَتْ وَطَراً مِنْ عَبْدِ وُدٍّ وعَامِرِ

وقال شِبْل بن الخَيتار: [البسيط]

نَجَّى الحُسَامِيَّةَ الكَبْدَاءَ مُبْتَرِكٌ ... مِنْ جَرْيِهَا وحَثِيثُ الشَّدِّ مَذْعُورُ[(٤)]

مِنْ بَعْدِ ما الْتَثَقَ السِّرْبَالَ طَعْنَتُهُ ... كَأَنَّهُ بِنَجِيعِ الوَرْسِ مَمْكُورُ[(٥)]

وَلَّى حُمَيْدٌ ولم يَنْظُرْ فَوَارِسَهُ ... قَبْلَ التَّقِرَّةِ والمَغْرُورُ مَغْرُورُ[(٦)]

فقد جَزِعْتُ غَدَاةَ الرَّوْعِ إذ لَقِحَتْ ... أَبْطَالُ قَيْسٍ عَلَيها البَيْضُ مَشْجُورُ

يَهْدِي أَوَائِلَها سَمْحٌ خَلائِقُهُ ... مَاضِي العِنَانِ على الأَعْدَاءِ مَنْصُورُ

يَخْرُجْنَ مِنْ بَرَضِ الإكْلِيلِ طَالِعةً ... كَأَنَّهنَّ جَرَادُ الحَرَّةِ الزُّورُ[(٧)]

وذكر زِيادُ بن يزيد بن عُمَيرِ بن الحُباب، عن أشياخ قومِه، قال: أغار عميرُ بن الحُباب على كلْبٍ، فلَقِيَ جمعاً لهم بالإكْليل في سِتّمائة أو سَبْعِمائة، فقتل منهم فأكْثَرَ، فقالت هند الجُلاحِيَّةُ تُحرِّضُ كَلْباً: [الوافر]

أَلاَ هَلْ ثَائِرٌ بِدِمَاءِ قَوْمٍ ... أَصَابَهُمُ عُمَيْرُ بنُ الحُبَابِ!

وهَلْ في عَامِرٍ يَوْماً نَكِيرٌ ... وحَيَّيْ عَبْدِ وُدٍّ أو جَنَابِ!

فَإِنْ لم يَثْأَرُوا مَنْ قد أَصَابُوا ... فكَانُوا أَعْبُداً لِبَنِي كِلاَبِ

أَبَعْدَ بَنِي الجُلاَحِ ومَنْ تَرَكْتُمْ ... بِجَانِبِ كَوْكَبٍ تَحْتَ التُّرَابِ

---

(١) غوج اللبان: واسع جلدة الصدر.

(٢) القُبّ: جمع الأقبّ: الضامر البطن. والشوازب: جمع الشّازب: الضامر. والهوادي: جمع الهادي: العنق.

(٣) الشواجر: المتداخلة.

(٤) الكبداء: مؤنّث الأكبد: هو الضخم الوسط البطيء السير. والمبترك: المسرع في عدوه.

(٥) التثق: ابتلّ. وممكور: مصبوغ بالمكر: هو الطين الأحمر الذي يُصبغ به.

(٦) التقِرّة: السكون.

(٧) الإكليل: اسم موضع ذكره ياقوت في (معجم البلدان ١: ٢٤٠).

تَطِيبُ لِغَائِرٍ مِنْكُمْ حَيَاةٌ ... أَلاَ لا عَيْشَ لِلحَيِّ المُصَابِ

فاجتمعوا فقاتلهم عُمَيْرٌ، وأصاب فيهم، ثم أغار فلقِيَ جمعاً منهم بالجوْفِ[١] فقتلهم، ثم أغار عليهم بالسَّماوةِ[٢] فقتل منهم مَقْتَلَةً عظيمة، فقال عُميرٌ: [الوافر]

أَلاَ يَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي الجُلاحِ ... سُقِيتِ الغَيْثَ مِنْ قُلَلِ السَّحَابِ[٣]

أَلَمَّا تُخْبِرِي عَنَّا بِأَنَّا ... نَرُدُّ الكَبْشَ أعْضَبَ في تَبَابِ[٤]

أَلاَ يَا هِنْدُ لو عَايَنْتِ يَوْماً ... لِقَوْمِكِ لامْتَنَعْتِ مِنَ الشَّرَابِ

غَدَاةَ نَدُوسُهُمْ بِالخَيْلِ حَتَّى ... أَبَادَ القَتْلُ حَيَّ بَنِي جَنَابِ

ولو عَطَفَتْ مُوَاسَاةٌ حُمَيْداً ... لَغُودِرَ شِلْوُهُ جَزَرَ الذِّئَابِ[٥]

وذكر زيادُ بن يزيد بن عُميرِ بن الحُباب، عن أشياخِ قومه، قال: خرج عُميرٌ فأغار على قومه أيضاً يومَ الغُوَيْر، فلمَّا دنا من الغُوَيْرِ وصار بين حُمَيد ودِمَشْقَ دعا رجلاً من بني نُميْرٍ، وقال له: سِر الآن حتى تأتي حُمَيْدَ بن بَحْدَلٍ، فقُل له: أَجِبْ، فإن قال: مَن؟ فقل: صاحِب عَقْدٍ خرج قَبل ذلك بيومَيْنِ من دِمَشْقَ، فإن جاءَ معك فلا تَهِجْه حتى تأتيني به، فنكونَ نحن الذين نَلِي منه ما نُرِيدُ أن نَلِيَ، فإنَّه إن رَكِب الحُسامِيَّة لم يُدْرك. فأتاه النميريُّ فقال: أَجِبْ، فقال: وَمَنْ؟ قال: فلانَ بن فلانٍ صاحِبَ العَقْدِ. قال: فركِب ابنُ بحْدَل الحُسامية. ثم خرج يَسيرُ في أثَرِ النّميْرِيِّ، حتى طَلَع النميريُّ على عُميرٍ، فقال النميريُّ في نفسِه: أَقتُلُه أنا أحبُّ إلَيَّ من أن يَقْتُلَه عمَيرٌ لقَتْلِه الحُسامَ بنَ سالم، فعطف عليه، وولَّى حُميْدٌ، واتَّبَعهُ عميْرٌ وأصحابه، وتَرَكَ العَسكَر، وأمرهُم عميرٌ أن يميلُوا إلى القوم، فذلك حيثُ يقول لفرسِهِ:

أَقْدِمْ صِدَامُ إنَّه ابنُ بَحْدَلْ

فاستباح عسكر ابن بحدل وانصرف.

ثم أغار عليهم يومَ دهمان كما ذكر عَوْنُ بن حارثة بنِ عديّ بنِ جَبَلة أحد

(١) الجوف: اسم يطلق على عدة مواضع ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ٢: ١٨٨).
(٢) السّماوة: موضع بين الكوفة والشام أو هو ماء لكلب (معجم البلدان ٣: ٢٤٥).
(٣) القُلَل: جمع قُلّة: أعلى كلّ شيء.
(٤) الأعضب: المكسور القرن من الغنم ونحوها. والتّباب: الهلاك أو الخسران.
(٥) الشِّلْوُ: العضو من أعضاء اللحم.

بني زُهَيْرٍ عن أبيه، قال: أغارَ عُمَيْرٌ على كلْبٍ، فأخذ الأموالَ، وقتَلَ الرِّجالَ، وبلغ ابنَ بحدلٍ مَخْرجُه من الجزيرةِ، فجمَع له، ثم خَرج يُعارضُه، حتى إذا دنا مِنهم بعث العينَ يأخُذُ لهم أثَر القوم، فأتاهُ العَيْنُ فأخبره أنَّ عميْراً قد أتى دُهمانَ فاستَباح فيهم، ثم خَلّف عسكره وخَرج هو في طَلبِ قوم قد سمع بهم، فقال حميدٌ لأصحابه: تهيَّأوا للبَيَاتِ، وليكن شِعارُكم: «نحن عِبادُ ٱللَّهِ حقًّا حقًّا». فبيَّتَهُم فقتَل فيهم فأوْجَعَ. وانقَلَب عُميرٌ حين أصْبَح، إلى عَسْكره، حتى إذا أشرف على عَسْكرِه رأى ما أنكرهُ من كَثْرةِ السَّوادِ، فقال لأصحابِه: إني أرى شيئاً ما أعرِفُه، وما هو بالذي خَلْفَنا، فلما رآهم ابنُ بَحْدلٍ قال لأصحابِهِ: احملوا عليهم، فقتل من الفريقين جميعاً، فقال ابن مِخْلاة: [الطويل]

لَقَدْ طَارَ في الآفَاقِ أنَّ ابْنَ بَحْدَلٍ ... حُمَيْداً شَفَى كَلْباً فَقَرَّتْ عُيونُها

وقال مُنْذِر بن حسّان: [الوافر]

وَبَادِيَةِ الجَوَاعِرِ مِنْ نُمَيْرٍ ... تُنَادِي وَهْيَ سَافِرَةُ النِّقَابِ
تُنَادِي بِالجَزِيرَةِ: يَا لَقَيْسٍ ... وَقَيْسٌ بِئْسَ فِتْيَانُ الضِّرَابِ
قَتَلْنَا مِنْهُمُ مِائَتَيْنِ صَبْراً ... وَأَلْفاً بِالتِّلاَعِ وِبِالرَّوَابِي[1]
وَأَفْلَتَنَا هَجِينُ بَنِي سُلَيمٍ ... يُفَدِّي المُهْرَ مِنْ حُبِّ الإِيَابِ
فَلولا اللَّهُ وَالمُهْرُ المُفَدَّى ... لَغُودِرَ وَهْوَ غِرْبَالُ الإِهَابِ

ثم سار عُمَيرٌ، وجَمع لهم أكثر ممَّا كان تجمَّع، فأغار عليهم، فَقتل منهم مَقْتَلةً، واستاق الغنائمَ وسَبَى. فلمَّا سَمِعت كلبٌ بإيقاعِهِ تحمَّلتْ من منازِلها هاربةً منه، فلم يَبْقَ منهم أحدٌ في موضع يَقْدِر عُميرٌ على الغارةِ عليه إلاَّ أن يخُوضَ إليهم غَيْرَهم من الأحياء، ويخلِّفَ مدائِنَ الشَّامِ خلْفَ ظَهْرِه، وصاروا جَميعاً إلى الغُوَيْر، فقال عُميْرٌ في ذلك: [الرجز]

بَشِّرْ بَنِي القَيْنِ بِطَعْنٍ شَرْجِ ... يُشْبِعُ أَوْلاَدَ الضِّبَاعِ العُرْجِ[2]
مَا زَالَ إِمْرَارِي لَهُمْ ونَسْجِي ... وَعُقْبَتي لِلكُورِ بَعْدَ السَّرْجِ[3]

---

(١) الصَّبْر: أن يُنصَبَ الإنسان للقتل. والتِّلاع: جمع التَّلْعَة، من الأضداد: ما ارتفع من الأرض، وما انهبط منها وانحدر.
(٢) شرج: شديد.
(٣) الكور: الرَّحْل.

حَتَّى اتَّقَوْنِي بِالظُّهُورِ الفُلْج هل أَجْزِيَنْ يَوْماً بِيَوْمِ المَرْجِ
ويومِ دُهْمَانَ ويومِ هَزج

وقال رجلٌ من نُمَيْرٍ: [الوافر]

أَخَذْتُ نِسَاءَ عَبْدِ اللَّهِ قَهْراً ومَا أَغْفَيْتُ نِسْوَةَ آلِ كَلْبِ
صَبَحْنَاهُمْ بِخَيْلٍ مُقْرَبَاتٍ وَطَعْنٍ لا كِفَاءَ له وضَرْبِ[1]
يُبَكِّينَ ابنَ عَمْرٍو وهو تَسْفِي عليهِ الرِّيحُ تُرْباً بَعْدَ تُرْبِ
وسَعْدٌ قد دَنَا منه حِمَامٌ بِأَسْمَرَ مِنْ رِمَاحِ الخَطِّ صُلْبِ
وَقد قَالَتْ أُمَامَةُ إذ رَأَتْنِي: بُلِيتُ وَما لُقِيتُ لِقَاءَ صَحْبِ
وَقد فَقَدَتْ مُعَانَقَتِي زَمَاناً وَشَدَّ المِعْصَمَيْنِ فُوَيْقَ حَقْبِ[2]
لقد بُدِّلْتَ بَعْدِي وَجْهَ سَوْءٍ وَآثَاراً بِجِلْدِكَ يابْنَ كَعْبِ
فَقُلْتُ لها كَذلِكَ مَنْ يُلاقِي عِتاقَ الخَيْلِ تَحْملُ كُلَّ صَعْبِ

وقال المُجير بن أَسْلم القُشَيْرِيّ: [الخفيف]

أَصْبَحَتْ أُمُّ مَعْمَرٍ عَذَلَتْنِي في رُكُوبِي إلى مُنَادِي الصَّبَاحِ
فَدَعِينِي أُفِيدُ قَوْمَكِ مَجْداً تَنْدُبِينِي به لَدَى الأَنْوَاحِ
كُلَّ حَيٍّ أَذَقْتُ نُعْمَى وَبُؤْسَى بِبَنِي عَامِرِ الطِّوَالِ الرِّمَاحِ
وصَدَمْنَا كَلْباً فَبَيْنَ قَتِيلٍ أو سَلِيبٍ مُشَرَّدٍ مِنْ جِرَاحِ
وَأَتَوْنَا بِكُلِّ أَجْرَدَ صَافٍ ورِجَالٍ مُعَدَّةٍ وسِلاحِ

وقال أيضاً: [الوافر]

أَبْلِغْ عَامِراً عَنِّي رَسُولاً وَأَبْلغْ إنْ عَرَضْتَ بَنِي جَنَابِ
هَلُمَّ إلى جِيَادٍ مُضْمَرَاتٍ وَبِيضٍ لا تُفَلُّ مِنَ الضِّرَابِ
وسُمْرٍ في المَهَزَّةِ ذَاتِ لِينٍ نُقِيمُ بِهِنَّ مِنْ صَعَرِ الرِّقَابِ
إذا حَشَدَتْ سُلَيْمٌ حَوْلَ بَيْتِي وَعَامِرُهَا المُرَكَّبُ في النِّصَابِ

---

(١) المقرَبات: جمع المقرَبَة: الفرس التي تُقرَّب وتكرَم.
(٢) الحَقْب: ما تشدّه المرأة على وسطها وتعلّق به الحلي.

فَـمَـنْ هَـذا يُـقَـارِبُ فَـخْـرَ قَـومِـي وَمَـنْ هـذا الَّـذي يَـرْجُـو اغْـتِـصَـابِـي؟

وقال زُفَرُ بن الحارث: [الكامل]

يا كَلْبُ قد كَلِبَ الزَّمَانُ عَلَيْكُمْ وَأَصَابَكُمْ مِنِّي عَذَابٌ مُرْسَلُ[1]
أَيَـهُـولُـنَـا يـا كَـلْـبُ أَصْـدَقُ شِـدَّةٍ يَـوْمَ الـلِّـقَـاءِ أَمِ الـهُـوَيْـلُ الأَوَّلُ
إِنَّ الـسَّـمَـاوَةَ لا سَـمَـاوَةَ فَـالْـحَـقِـي بِـالـغَـوْرِ فـالأَفْـحَـاصِ بِـئْـسَ الـمَـوْئِـلُ
فَـجَـنُـوب عَـكَّـا فَـالـسَّـواحِـلِ إِنَّـهَـا أَرْضٌ تَـذُوبُ بـهـا الـلِّـقَـاحُ وتُـهْـزَلُ[2]
أَرْضُ الـمَـذَلَّـةِ حَـيْـثُ عَـقَّـتْ أُمُّـكُـمْ وَأَبُـوكُـمُ أَوْ حَـيْـثُ مُـزِّعَ بَـحْـدَلُ[3]

وقال عُمير بن الحُباب: [الوافر]

وَرَدْنَ عـلـى الـغُـوَيْـرِ غُـوَيْـرِ كَـلْـبٍ كَـأَنَّ عُـيُـونَـهَـا قُـلُـبُ انْـتِـزاحِ
أَقَـرَّ الـعَـيْـنَ مَـصْـرَعُ عَـبْـدِ وُدٍّ ومَـا لاَقَـتْ سَـرَاةُ بَـنِـي الـجُـلاَحِ
وقَـائِـمَـةٍ تُـنَـادِي يـا لَـكَـلْـبٍ وكَـلْـبٌ بِـئْـسَ فِـتْـيَـانُ الـصَّـبَـاحِ

وقالَ عُمَيْر أيضاً: [الطويل]

وكَلْبٌ تَرَكْنَا جَمْعَهُمْ بينَ هَارِبٍ حِذَارَ الـمَـنَـايـا أَوْ قَـتـيـلٍ مُـجَـدَّلِ
وأَفْـلَـتَـنَـا لـمَّـا الْـتَـقَـينـا بـعـاقِـدٍ على سَابِحٍ عِنْدَ الجراءِ ابنُ بحْدلِ
وَأُقْـسِـمُ لـو لاقَـيْـتُـهُ لَـعَـلَـوْتُـهُ بِأَبْيَضَ قَطَّاعِ الضَّرِيبةِ مِقْصَلِ[4]

وقال عُمير أيضاً: [الطويل]

وكَـلْـبـاً تَـرَكْـنَـاهُـمْ فُـلُـولاً أَذِلَّـةً أَدَرْنَـا عَـلَـيْـهِـمْ مِـثْـلَ رَاغِـيَـةِ الـبَـكْـرِ

وقال جهمٌ القُشَيريُّ: [السريع]

يَـا كَـلْـبُ مَـهْـلاً عَـنْ بَـنِـي عَـامِـرٍ فـلـيـسَ فِـيـهـا الـجَـدُّ بِـالـعَـاثِـرِ
وَلَّـى حُـمَـيْـدٌ وَهْـو فـي كُـرْبَـةٍ عـلـى طَـوِيـلٍ مَـتْـنُـهُ ضَـامِـرِ
بِـالأُمِّ يَـفْـدِيـهـا وَقـد شَـمَّـرَتْ كَـالـلَّـبْـوةِ الـمَـمْـطُـولَـةِ الـكَـاسِـرِ

(١) كلب الزمان عليكم: أصابكم بالشدائد.
(٢) اللِّقاح: جمع اللقوح واللقحة: ذات اللَّبن من النوق.
(٣) مزِّع: قُطِّعَ.
(٤) الضَّريبة: ما يُضْرَبُ بالسيف.

هَـلاَّ صَـبَـرْتُـم لِـلْـقَـنَـا سَـاعَـةً وَلـم تَـكُـنْ بِـالـمَـاجِـدِ الـصَّـابِـرِ؟

وَقال عُمَيرٌ: [الطويل]

وَأَفْلَتَنَا رَكْضاً حُمَيْدُ بنُ بَحْدَلٍ على سَابِحٍ غَـوْجِ الـلَّـبَـانِ مُـثَـابِـرِ
إذا انْتَقَصَتْ مِنْ شَأْوِهِ الخَيْلُ خَلْفَهُ تَـرَامَـى بـه فَـوْقَ الـرِّمَـاحِ الـشَّـوَاجِـرِ
لَـدُنْ غـدوةٍ حَـتَّـى نَـزَلْـنَـا عَـشِـيَّـةً يَـمُـرُّ كَـمِـرِّيـخِ الـغُـلاَمِ الـمُـخَـاطِـرِ

وَقال عُمَيرٌ: [الكامل]

يـا كَـلْـبُ لـم تَـتْـرُكْ لَـكُـمْ أَرْمَـاحُـنَـا بِـلِـوَى الـسَّـمَـاوَةِ فَـالـغُـوَيْـرِ مَـرَادَا
يا كَلْبُ أَحْرَمْنَا السَّمَاوَةَ فَانْظُرِي غَـيْـرَ الـسَّـمَـاوةِ فـي الـبـلادِ بِـلادَا
ولقد صَكَكْنَا بِالفَوَارِسِ جَمْعَكُمْ وَعَـدِيـدَكُـمْ يـا كَـلْـبُ حَـتَّـى بَـادَا
ولـقـد سَـبَـقْـتُ بِـوَقْـعَـةٍ تـرَكَـتْـكُـمُ يـا كَـلْـبُ بِـالـحَـرْبِ الـعَـوَانِ بِـعَـادَا(١)

وقال زُفر بن الحارث: [الطويل]

جَـزَى الـلَّـهُ خَـيْـراً كُـلَّـمـا ذَرَّ شَـارِقٌ سَعِيداً وَلاَقَتْهُ التَّحِيَّةُ والرُّحْبُ(٢)
وحَـلْـحَـلَـةُ الـمِـغْـوارُ لِـلَّـهِ جَـدُّهُ فلو لم يَنَلْهُ القَتْلُ بَادَتْ إذنْ كَلْبُ(٣)
بَـنِـي عَـبْـدِ وُدٍّ لا نُـطَـالِـبُ ثَـأْرَنـا مِنَ النَّاسِ بِالسُّلْطَانِ إنْ شَبَّتِ الحَرْبُ
ولـكـنَّ بِـيضَ الـهِـنْـدِ تُـسْـعِـرُ نَـارَنـا إذا مَا خَبَتْ نَارُ الأَعَادِي فما تَخْبُو
أَبَـادَتْـكُـمُ فُـرْسَـانُ قَـيْـسٍ فَـمَـا لَـكُـمْ عَدِيدٌ إذا عُدَّ الحَصَى لا ولا عَقْبُ(٤)
بِـأَيْـدِيـهِـمُ بِـيـضٌ رِقَـاقٌ كَـأَنَّـهـا إذا مَا انْتَضَوْها في أَكُفِّهِمُ الشُّهْبُ
فَـسُـبُّـوهُـمُ إنْ أَنْـتُـمُ لـم تُـطَـالِـبُـوا بِثَأْرِكُمْ قد يَنْفَعُ الطَّالِبَ السَّبُّ
ومـا امْـتَـنَـعَ الأَقْـوَامُ عَـنَّـا بِـنَـأْيِـهِـمْ سَوَاءٌ علينا النَّأْيُ في الحَرْبِ والقُرْبُ

وقال عُمير: [الطويل]

شَفَيْتُ الغَلِيلَ مِنْ قُضَاعَةَ عَنْوَةً فَـظَـلَّ لَـهـا يَـوْمٌ أَغَـرُّ مُـحَـجَّـلُ(٥)
جَـزَيْـنَـاهُـمُ بِـالـمَـرْجِ يَـوْمـاً مُـشَـهَّـراً فَـلاقَـوْا صَـبَـاحـاً ذا وَبَـالٍ وقُـتِّـلُـوا

(١) الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد أُخرى.
(٢) ذرّ شارق: طلع.
(٣) حلحله: حرّكه.
(٤) العَقْب: الذّريّة.
(٥) اليوم الأغرّ: الحَسَن. واليوم المحجّل: المشهور.

فلم يَبْقَ إلاَّ هَارِبٌ مِنْ سُيُوفِنا وإلاَّ قَتِيلٌ في مَكَرٍّ مُجَدَّلُ[١]

وقال ابنُ الصَّفَّارِ المحاربيّ: [الكامل]

عَظُمَتْ مُصِيبةُ تَغْلِبَ ابْنَةِ وَائِلٍ حَتَّى رَأَتْ كَلْبٌ مُصِيبَتَها سُوَى
شَمَتُوا وَكَانَ اللَّهُ قد أَخْزَاهُمُ وتُرِيدُ كَلْبٌ أَنْ يَكُونَ لها أُسَا[٢]
وَبِكُمْ بَدَأْنا يَالَ كَلْبٍ قَتْلَهُمْ وَلَعَلَّنَا يَوْماً نَعُودُ لَكُم عَسَى
أَخْنَتْ على كَلْبٍ صُدُورُ رِمَاحِنا ما بَيْنَ أَقْبِلَةِ الغُوَيْرِ إلى سُوَا[٣]
وعَرَكْنَ بَهْرَاءَ بن عَمْرٍو عَرْكَةً شَفَتِ الغَلِيلَ ومَسَّهُمْ مِنَّا أَذَى

وقال الرَّاعي: [الطويل]

مَتَى نَفْتَرِشْ يَوْماً عُلَيْماً بِغَارةٍ يكونوا كَعَوْصٍ أَو أَذَلَّ وأَضْرَعَا[٤]
وَحَيَّ الجُلاَحِ قد تَرَكْنَا بِدَارِهِمْ سَوَاعِدَ مُلْقَاةً وهَاماً مُصَرَّعا[٥]
ونحنُ جَدَعْنَا أَنْفَ كَلْبٍ ولم نَدَعْ لِبَهْرَاءَ في ذِكْرٍ مِنَ النَّاسِ مَسْمَعا
قَتَلْنَا لَوَ انَّ القَتْلَ يَشْفِي صُدُورَنا بِتَدْمُرَ أَلْفاً مِنْ قُضَاعَةَ أَقْرَعا[٦]

وقال زُفَر بن الحارث ـ وذكر أبو عُبَيدة أنها لعقِيل بن عُلَّفَة: [الطويل]

أَقَرَّ العُيونَ أَنَّ رَهْطَ ابْنِ بَحْدَلٍ أُذِيقُوا هَوَاناً بِالَّذِي كان قُدِّما
صَبَحْنَاهُمُ البِيضَ الرِّقَاقَ ظُبَاتُها بِجَانِبِ خَبْتٍ والوَشِيجَ المُقَوَّما[٧]
وجَرْدَاءَ مَلَّتْها الغُزَاةُ فَكُلُّها تَرَى قَلِقاً تحتَ الرِّحَالَةِ أَهْضَما
بِكُلِّ فَتًى لم تَأْبُرِ النَّخْلَ أُمُّهُ ولم يُدْعَ يَوْماً لِلغَرَائِرِ مِعْكَما

وهذه الحروب التي جرت ببنات قَيْن[٨]. فلمّا أَلَحَّ عميرٌ بالغارات على كلب

(١) المَكَرّ: موضع الكرّ في القتال.
(٢) أُسَا: جمع أسوة.
(٣) سُوا: اسم ماء لبهراء من ناحية اليمامة (معجم البلدان ٣: ٢٧١).
(٤) نفترش: نُصِيب. وعوص: اسم قبيلة من كلب.
(٥) الهام: الرؤوس.
(٦) ألف أقرع: أي تامّة.
(٧) الظُّبَات: جمع الظُّبَة: حَدّ السيف. والخبت: ما اطمأنّ واتّسع من الأرض. وهو علم لعدة أماكن (معجم البلدان).
(٨) بنات قين: ماء لفزارة كانت به وقعة في زمان عبد الملك بن مروان (معجم البلدان ٤: ٤٢٤).

رحَلت حتى نزلت غَوْريّ[١] الشام، فلمّا صارت كلب بالموضِع الذي صارت قيس، انصرفت قيس في بعضِ ما كانت تنصرف من غَزْوِ كلب، وهم مع عمير، فنزلوا بِثْني من أثناءِ الفُرات بين منازل بني تَغلب، وفي بني تَغْلب امرأَةٌ من تمِيم يقال لها أُمّ دُوَيل ناكحةٌ في بني مالك بن جُشمَ بن بكرٍ، وكان دُوَيْل من فرسان بني تَغْلب، وكانت لها أعنزٌ بمَجْنبة، فأخذوا من أعْنزِها، أخذها غلامٌ من بني الحَرِيش، فشكَوْا ذلك إلى عُميرٍ فلم يُشْكِهم، وقال: مَعَرَّة الجُنْد. فلمّا رأى أصحابُه أنه لم يَقْدَعْهم وثَبوا على بَقِيَّة أعنُزها فأخذُوها وأكلُوها، فلمَّا أتاها دُوَيل أخبرتْه بما لَقِيت، فجمَع جمعاً ثم سار فأغار على بني الحريش، فلقِي جماعةً منهم فقاتلُوه، فخرج رجلٌ من بني الحريش ـ زعمتْ تغلبُ أنَّه مات بعد ذلك ـ وأخذ ذَوْداً[٢] لامرأةٍ من بني الحريش يقال لها أمُّ الهيثم، فبلَغ الأخطل الوقعة، فلم يَدْرِ ما هي، وقال وهو برَاذَان[٣]: [الطويل]

أَتَـانِي ودُونِـي الـزَّابِيَـانِ كِـلاَهُـمـا ... ودِجْـلَـةُ أَنْـبَـاءٌ أَمَـرُّ مِـنَ الـصَّـبْـرِ[٤]

أَتَـانِـي بِـأَنَّ ابْـنَـيْ نِـزَارٍ تَـهَـادَيَـا ... وتَـغْـلِـب أَوْلَـى بِـالـوَفَـاءِ وبِـالـغَـدْرِ

فلمّا تبيّنَ الخبرَ قال: [الطويل]

وجَـاءُوا بِـجَـمْـعٍ نَـاصِـرِي أُمِّ هَـيْـثَـمٍ ... فَـمَـا رَجَـعُـوا مِـنْ ذَوْدِهَـا بِـبَـعِـيـرِ

فلمَّا بلغ ذلِكَ قيساً أغارتْ عَلَى بني تَغْلب بإزاء الخابُور[٥]، فقتلوا منهم ثلاثَة نَفَرٍ، واستاقُوا خمسةً وثلاثين بعيراً، فخرجت جماعة من تغلب، فأتوا زُفَر بن الحارث وذكروا له القرابةَ والجِوارَ، وهم بقرقيسيا[٦]، وقالوا: ائتنا برحالنا ورُدَّ علينا نَعمنا، فقال: أما النّعمُ فنرُدُّها عليكم، أو ما قدرنا لكم عليه، ونكمل لكم نعمكم من نَعَمِنا إن لم نصبها كلَّها، ونَدِي[٧] لكم القَتْلَى، قالوا له: فدع لنا

(١) غوريّ الشام: الأرض المنخفضة فيها.

(٢) الذَّوْد: القطيع من الإبل من الثلاث إلى التسع أو العشر أو الخمس عشرة.

(٣) راذان: منطقة بسواد بغداد تشتمل على قرى كثيرة (معجم البلدان ٣: ١٢).

(٤) الزابيان: نهران بناحية الفرات (معجم البلدان ٣: ١٢٥).

(٥) الخابور: اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة (معجم البلدان ٢: ٣٣٤).

(٦) قرقيسيا: بلد على نهر الخابور (معجم البلدان ٤: ٣٢٨).

(٧) نَدِي: ندفع الدِّية.

قَرَيات[1] الخابور، ورَحِّلْ قيساً عنها، فإنَّ هذه الحروب لن تُطْفأ ما داموا مُجاورينا، فأبى ذلك زفرُ، وأبوا هم أن يرضَوْا إلاَّ بذلك، فناشَدَهم اللَّهَ وألحَّ عليهم، فقال له رجلٌ من النَّمِر كان معهم: واللَّهِ ما يَسُرُّني أنَّه وَقاني حربَ قيس كلبٌ أبقعُ تركتُه في غنمي اليومَ. وألحَّ عليهم زفرُ يطلب إليهم ويُناشِدهم، فأبَوْا فقال عميْرٌ: لا عليكَ، لا تُكْثر، فواللَّهِ إنِّي لأرى عُيونَ قَوْمٍ ما يُريدون إلا محاربتك! فانصرفوا من عندِه، ثم جمَعُوا جمعاً، وأغاروا عَلَى ما قَرُب من قَرْقيسِيا من قُرَى القَيْسِيَّة، فلقيهم عُميرُ بن الحُباب، فكان النّميريُّ الذي تَكلَّم عند زفر أولَ قتيل، وهَزَم التغلبِيّين، فأعظم ذلك الحيّان جميعاً قيسٌ وتغلِبُ، وكرهوا الحربَ وشماتة العدُوّ.

فذكر سليمانُ بن عبد اللَّه بن الأَصَمِّ أنّ إياس بن الخَرَّازِ، أحدَ بني عُتَيْبَة بن سعد بن زُهَير، وكان شريفاً من عيونِ تغلِبَ، دخل قَرْقيسيا لينظُرَ ويُناظِر زفَر فيما كان بينهم، فَشَدَّ عليه يزيدُ بن بحزن القرشيُّ فقتَله، فتذمَّم زفرُ من ذلك، وكان كريماً مجمِّعاً لا يُحب الفرقَة، فأرسل إلى الأمير ابنِ قَرْشة بن عَمرو بن رِبْعيّ بن زُفَر بن عُتَيْبة بن بعْج بن عُتَيْبة بن سعد بن زُهير بن جُشم بن الأرْقم بن بكر بن حَبيب بن عمرو بن غُنْم بن تَغْلب، فقال له: هل لك أن تَسُود بني نزار فتقبلَ مني الدِّيةَ عن ابن عمِّك؟ فأجابه إلى ذلك. وكان قَرْشة من أشراف بني تغلب، فَتَلاَفَى زفر ما بين الحيَّيْن، وأصلح بينهم، وفي الصّدورِ ما فيها، فوفَد عمير عَلَى المُصْعَبِ بن الزبَيْر، فأعلمه أنه قد أَوْلَج قضاعة بمدائِنِ الشام، وأنه لم يبقَ إلا حيٌّ من ربيعةَ أكثرُهم نصارى، فسأله أن يولِّيَه عليهم، فقال: اكتب إلى زُفر، فإن هو أراد ذلك وإلاَّ وَلَّاك. فلمَّا قَدِم على زُفر ذكر له ذلك فَشقَّ عليه ذلك، وكَرِه أن يَلِيَهُم عميرٌ فيحِيف بهم ويكون ذلك داعيةً إلى منافرتِه، فَوَجَّه إليهم قوماً، وأمَرَهُمْ أن يَرْفُقُوا بهم، فأتَوْا أَخْلاطاً من بني تغلِبَ من مشارقِ الخابُورِ فأعْلَمُوهم الذي وُجِّهُوا به، فأبَوْا عليهم، فانصَرفُوا إلى زُفر، فردَّهم وأعلمَهم أنَّ المصعب كتب إليه بذلك، ولا يجدُ بُدّاً من أخذِ ذلك منهم أو محارَبتِهم، فَقَتَلُوا بعضَ الرُّسُل.

وذكر ابنُ الأَصمّ، أنّ زُفَرَ لمَّا أتاه ذلك اشتَدَّ عليه، وكره استفْسادَ بني تغلب،

(١) قريات: جمع قرية.

فصار إليهم عُميرُ بن الحُباب فلقِيَهم قريباً من ماكِسِين[١] على شاطِىء الخابُور، بَينَه وبين قَرْقِيسِيا مسيرةُ يوم، فأعظم فيها القتل.

[أسر القطاميّ وفكُّ أسره]

وذكر زيادُ بن يزيدَ بن عُمَير بن الحُباب، أن القتل اسْتَحَرَّ بِبَني عَتّاب بن سَعْد، والنَّمِر، وفيهم أخلاطُ تَغْلِب، ولكنَّ هؤلاءِ معظمُ الناس، فقتَلوهم بها قتلاً شديداً، وكان زفرُ بن يزيد أخو الحارث بن جُشَم له عشرون ذكراً لصُلْبِهِ، وأُصِيب يومئذٍ أكثرُهم، وأُسِر القُطامِيُّ الشاعِرُ وأُخِذَت إبلُه، فأصاب عميرٌ وأصحابُه شيئاً كثيراً من النّعَم، ورئيس تَغْلب يومئذٍ عبد اللَّه بن شُرَيح بن مُرّة بن عبد اللَّه بن عَمْرو بن كلثُوم بن مالِك بن عَتَّاب بن سعد بن زهير بن جُشَم، فقُتِلَ، وقُتِلَ أخوه، وَقُتِلَ مُجَاشِعُ بن الأَجْلح، وعمرو بن معاويةَ من بني خالدِ بن كعب بن زُهير، وعبدُ الحارث بن عبد المسيح الأوسيُّ، وسَعْدان بن عَبدِ يَسُوعَ بن حربٍ، وسعد وُدّ بن أَوْس من بني جُشَم بن زُهَير، وجعل عُمَيرٌ يصِيحُ بهم: وَيْلَكُمْ لا تَسْتَبْقُوا أَحَداً، ونادى رجلٌ من بني قُشَيْر يقال له النَّدَّار: أنا جارٌ لِكُلِّ حاملٍ أتتني، فهي آمِنَةٌ، فأتته الحَبالَى، فبَلَغَنِي أنَّ المرأة كانت تشُدُّ على بطنها الجَفْنَة من تحتِ ثَوْبِها تَشْبيهاً بالحُبْلَى بما جَعَل لَهُنَّ. فلمَّا اجتمعْنَ له بَقَر بطونَهُنَّ فأفظَع ذلك زُفر وأصحابه، ولام زفرُ عُميراً فيمن بُقِرَ من النِّساءِ، فقال ما فعلتُه ولا أمرتُ به، فقال: في ذلك الصقّارُ المحارِبيُّ: [الوافر]

بَقَرْنا مِنْكُمُ أَلْفَيْ بَقِيرٍ ... فَلَمْ نَتْرُكْ لِحَامِلَةٍ جَنِينَا

وقال الأَخطلُ يذكر ذلك: [الوافر]

فَلَيْتَ الخَيْلَ قَدْ وَطِئَتْ قُشَيْراً ... سَنَابِكُها وَقد سَطَعَ الغُبَارُ[٢]

فنجْزِيهِمْ بِبَغْيِهِمُ عَلَيْنَا ... بَنِي لُبْنَى بما فَعَلَ الغُدَارُ

وقال الصّفّار:

---

(١) ماكسين: بلد بالخابور (معجم البلدان ٥: ٤٣).

(٢) السنابك: جمع السُّنْبُك: طرف الحافر.

[الطويل]

تَمَنَّيْتُ بِالخَابُورِ قَيْساً فَصَادَفَتْ ... مَنَايَا لأَسْبَابٍ وِفَاقٍ على قَدْرِ

وقال جَرير: [البسيط]

نُبِّئْتُ أَنَّكَ بِالخَابُورِ مُمْتَنِعٌ ... ثُمّ انْفَرَجْتَ انْفِرَاجاً بَعْدَ إِقْرَارِ

فقال زُفرُ بنُ الحارث يُعاتِبُ عُمَيراً بما كان منه في الخابُور: [الوافر]

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي عُمَيْراً ... رِسَالَةَ عَاتِبٍ وَعَلَيْكَ زَارِي
أَتَتْرُكُ حَيَّ ذِي كَلَعٍ وَكَلْبٍ ... وتَجْعَلُ حَدَّ نَابِكَ في نِزَارِ
كَمُعْتَمِدٍ على إِحْدَى يَدَيْهِ ... فخَانَتْهُ بِوَهْيٍ وانْكِسَارِ

ولمَّا أُسِرَ القُطامِيُّ أتى زفَر بقرقيسِيا فخلَّى سَبيله، وردَّ عليه مائة ناقةٍ، كما ذكر أدهمُ بن عِمران العَبْديّ، فقال القطاميُّ يمدحه: [الوافر]

قِفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ضُبَاعَا ... ولا يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكِ الوَدَاعَا
قِفِي فَادِي أَسِيرَكِ إِنَّ قَوْمِي ... وَقَوْمَكِ لا أَرَى لَهُم اجْتِمَاعَا
أَلم يَحْزُنْكِ أَنَّ حِبَالَ قَيْسٍ ... وَتَغْلِبَ قد تَبَايَنَتِ انْقِطَاعا
فصارا ما تُغِبُّهُمَا أُمُورٌ ... تَزِيدُ سَنَا حَرِيقَتِها ارْتِفَاعا[1]
كَمَا العَظْمُ الكَسِيرُ يُهَاضُ حَتَّى ... يَبِتَّ وإِنَّما بَدَأَ انْصِدَاعا[2]
فأصبحَ سَيْلُ ذَلِكَ قد تَرَقَّى ... إِلى مَنْ كَانَ مَنْزِلُهُ يَفَاعَا
فلا تَبْعَدْ دِمَاءُ ابْنَيْ نِزَارٍ ... ولا تَقْرَرْ عُيونُكِ يَا قُضَاعَا
وَمَنْ يَكُنِ اسْتَلامَ إلى ثَوِيٍّ ... فقد أَحْسَنْتَ يا زُفَرُ المَتَاعا[3]
أَكُفْراً بَعْدَ رَدِّ المَوْتِ عَنِّي ... وَبَعْدَ عَطَائِكَ المائَةَ الرِّتَاعا[4]
فلو بِيَدَيْ سِوَاكَ غَدَاةَ زَلَّتْ ... بِيَ القَدَمَانِ لم أَرْجُ اطِّلاَعا
إِذَنْ لَهَلَكْتُ لو كَانَتْ صِغَارٌ ... مِنَ الأَخْلاقِ تُبْتَدَعُ ابْتِداعا
فَلَم أَرَ مُنْعِمِينَ أَقَلَّ مَنّاً ... وَأَكْرَمَ عِنْدَما اصْطُنِعُوا اصْطِنَاعا

(١) تُغِبُّهم: أي تأتي يوماً وتغيب يوماً.
(٢) يهاض: يُكسَر بعد الجبور.
(٣) الثَّوِيّ: الضيف.
(٤) الرِّتاع: التي ترعى كيف شاءت في خصب وسعة.

مِنَ البِيضِ الوُجُوهِ بَنِي نُفَيْلٍ أَبَتْ أَخْلاقُهُمْ إلاَّ اتِّسَاعا
بَنِي القَرْمِ الَّذي عَلِمَتْ مَعَدٌّ تَفَضَّلَ قَوْمِها سِعَةً وبَاعَا

وقال أيضاً: [الرجز]

يا زفرُ بنَ الحَارِثِ ابن الأكْرَمِ قد كُنْتَ في الحَرْبِ قَدِيمَ المُقْدَمِ
إذْ أحْجَمَ القَوْمُ وَلَمَّا تُحْجِمِ إنَّكَ وابْنَيْكَ حَفِظْتُمْ مَحْرَمِي
وحَقَنَ اللَّهُ بِكَفَّيْكَ دَمِي مِنْ بَعْدِ مَا جَفَّ لِسَانِي وفَمِي
أَنْقَذْتني مِنْ بطلٍ مُعَمَّمِ والخَيْلُ تَحْتَ العَارِضِ المُسَوَّمِ
وَتَغْلِبُ يَدْعُونَ: يا لَلأَرْقَمِ

وقال أيضاً: [الرجز]

يا نَاقُ خُبِّي خَبَباً زِوَرَّا وَقَلِّبي مَنْسِمَكِ المُغْبَرَّا[1]
وعَارِضِي اللَّيْلَ إذا ما اخْضَرَّا سَوفَ تُلاقِينَ جَوَاداً حُرَّا[2]
سَيِّدَ قَيْسٍ زُفَرَ الأغَرَّا ذَاكَ الَّذِي بَايَعَ ثُمَّ بَرَّا
وَنَقَضَ الأَقْوَامُ وَاسْتَمَرَّا قد نَفَعَ اللَّهُ بِهِ وضَرَّا
وكانَ في الحَرْبِ شِهَاباً مُرَّا

وقال أيضاً: [الرجز]

كَأَنَّ في المَرْكَبِ حِينَ رَاحَا بَدْراً يَزِيدُ البَصَرَ انْفِضَاحَا
ذَا بَلَجٍ سَاوَاكَ أَنَّى امْتَاحَا وَقَرَّ عَيْناً ورَجَا الرَّبَاحَا
أَلاَ تَرَى ما غَشِيَ الأرْكَاحَا وَغَشِيَ الخَابُورَ وَالأمْلاَحَا[3]
يُصَفِّقُونَ بِالأَكُفِّ الرَّاحَا

وقال فيه أيضاً هذه القصيدةَ التي فيها الغناءُ المذكورُ بذكر أخبارِ القُطاميّ:

[البسيط]

ما اعْتَادَ حُبُّ سُلَيْمَى حِينَ مُعْتَادِ ولا تَقَضَّى بَوَاقِي دَيْنِها الطَادِي

(١) الخَبَب: ضرب من السير سريع. والزِّوَرّ: السير الشديد.

(٢) اخضرّ: اسودّ.

(٣) الأركاح: الأفنية. والأملاح: اسم موضع ذكره ياقوت في (معجم البلدان ١: ٢٥٥).

بَيْضَاءُ مَحْطُوطَةُ المَتْنَيْنِ بَهْكَنَةٌ ... رَيَّا الرَّوَادِفِ لم تُمْغِلْ بِأَولادِ[1]
ما لِلْكَوَاعِبِ وَدَّعْنَ الحَيَاةَ كَمَا ... وَدَّعْنَنِي واتَّخَذْنَ الشَّيْبَ مِيعَادِي
أَبْصارُهُنَّ إلى الشُّبَّانِ مَائِلَةٌ ... وَقَدْ أَرَاهُنَّ عَنِّي غَيْرَ صُدَّادِ
إذْ بَاطِلِي لم تَقَشَّعْ جَاهِلِيَّتُهُ ... عَنِّي ولم يَتْرُكِ الخُلاَّنُ تَقْوَادِي
كَنِيَّةِ الحَيِّ مِنْ ذِي القَيْضَةِ احْتَمَلوا ... مُسْتَحْقِبِينَ فُؤَاداً مَا لَهُ فَادِي[2]
بَانُوا وَكَانُوا حَيَاتِي في اجْتِمَاعِهِمُ ... وفي تَفَرُّقِهِمْ قَتْلي وإقْصَادِي[3]
يَقْتُلْنَنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ ... مَنْ يَتَّقِينَ ولا مَكْنُونُهُ بَادِي
فَهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْنَ بِهِ ... مَوَاقِعَ المَاءِ مِنْ ذِي الغُلَّةِ الصَّادِي[4]

يقول فيها في مدح زُفَر بن الحارثِ:

مَنْ مُبْلِغٌ زُفَرَ القَيْسِيَّ مِدْحَتَهُ ... مِنَ القُطَامِيِّ قَوْلاً غيرَ إفْنَادِ[5]
إنِّي وإنْ كَانَ قَوْمِي لَيْسَ بَيْنَهُمُ ... وَبَيْنَ قَوْمِكَ إلاَّ ضَرْبَةُ الهَادِي
مُثْنٍ عَلَيْكَ بِمَا اسْتَبْقَيْتَ مَعْرِفَتِي ... وَقَدْ تَعَرَّضَ مِنِّي مَقْتَلٌ بَادِي
فَلَنْ أُثِيبَكَ بِالنَّعْمَاءِ مَشْتَمَةً ... ولَنْ أُبَدِّلَ إحْسَاناً بِإفْسَادِ
فإنْ هَجَوْتُكَ مَا تَمَّتْ مُكَارَمَتِي ... وإنْ مَدَحْتُ فقد أَحْسَنْتَ إصْفَادِي[6]
ومَا نَسِيتُ مَقَامَ الوَرْدِ تَحْبِسُهُ ... بيني وبينَ حَفِيفِ الغَابةِ الغَادي
لولا كَتَائِبُ مِنْ عَمْرٍو تَصُولُ بها ... أُرْدِيتُ يا خَيْرَ مَنْ يَنْدُو له النَّادِي
إذْ لا تَرَى العَيْنُ إلا كُلَّ سَلْهَبَةٍ ... وسَابحٍ مِثْلَ سِيدِ الرَّدْهَةِ العَادِي[7]
إذِ الفَوَارِسُ مِنْ قَيْسٍ بِشِكَّتِهِمْ ... حَوْلي شُهُودٌ ومَا قَوْمِي بِشُهَّادِي[8]
إذْ يَعْتَرِيكَ رِجَالٌ يَسْأَلُونَ دَمِي ... وَلَوْ أَطَعْتَهُمُ أَبْكَيْتَ عُوَّادِي
فَقَدْ عَصَيْتَهُمُ والحَرْبُ مُقْبِلَةٌ ... لا بَلْ قَدَحْتَ زِنَاداً غَيْرَ صَلاَّدِ[9]

---

(١) محطوطة المَتنينِ: ممدودتهما. والبهكنة: غَضّة الشباب. والممغِلة من النساء: التي تلد كل سنة وتحمل قبل فطام ابنها.
(٢) استحقب: حمل.
(٣) الإقصاد: إصابة المقتل في الإنسان.
(٤) الغُلّة: العطش.
(٥) الفَنَد: الباطل.
(٦) إصفادي: إعطائي.
(٧) السَّلهبة: الفرس الطويلة. السِّيد: الذئب. والرَّدْهة: الأكَمة.
(٨) الشِّكّة: السلاح بكامله.
(٩) الصَّلاد: الذي لا تخرج منه نار.

والـصِّـيـدُ آلُ نُـفَـيْـلٍ خَـيْـرُ قَـوْمِـهِـمُ ... عِـنْـدَ الـشِّـتَـاءِ إذا مـا ضُـنَّ بِـالـزَّادِ[1]
الـمَـانِـعُـونَ غَـدَاةَ الـرَّوْعِ جَـارَهُـمُ ... بِـالـمَـشْـرَفِـيَّـةِ مـن مَـاضٍ ومُـنْـآدِ[2]
أَيَّـامَ قَـومِـي مَـكَـانِـي مُـنْـصِـبٌ لَـهُـمُ ... ولا يَـظُـنُّـونَ إلاَّ أَنَّـنِـي رَادِي
فـانْـتَـاشَـنِـي لَـكَ مِـنْ غَـمَّـاءَ مُـظْـلِـمَـةٍ ... حَـبْـلٌ تَـضَـمَّـنَ إصْـدَارِي وإيـرَادِي
ولا كَـرَدِّكَ مَـالـي بَـعْـدَمـا كَـرَبَـتْ ... تُـبْـدِي الـشَّـمَـاتَـةَ أَعْـدَائِـي وحُـسَّـادِي
فَـإِنْ قَـدَرْتُ عَـلَـى خَـيْـرٍ جَـزَيْـتُ بـه ... والـلَّـهُ يَـجْـعَـلُ أَقْـوَامـاً بِـمِـرْصَـادِ

قال ابنُ سلاَّم: فلما سمع زفرُ هذا قال: لا أقْدرَكَ اللَّهُ على ذلك.

وقال أيضاً: [الوافر]

أَلاَ مَـنْ مُـبْـلِـغٌ زُفَـرَ بْـنَ عَـمْـرٍو ... وَخَـيْـرُ الـقَـوْلِ مـا نَـطَـقَ الـحَـكِـيـمُ
أَبِـيٌّ مـا يُـقَـادُ الـدَّهْـرَ قَـسْـراً ... ولا لِـهَـوَى الـمـصـرِّفِ يَـسْـتَـقِـيـمُ
أَنُـوفٌ حِـيـنَ يَـغْـضَـبُ مُـسْـتَـعِـزٌّ ... جَـنُـوحٌ يَـسْـتَـبِـدُّ بـه الـعَـزِيـمُ[3]
فَـمَـا آلُ الـحُـبَـابِ إلـى نُـفَـيْـلٍ ... إذا عُـدَّ الـمُـمَـهَّـلُ والـقَـدِيـمُ[4]
كَـأَنَّ أَبَـا الـحُـبَـابِ إلـى نُـفَـيْـلٍ ... حِـمَـارٌ عَـضَّـهُ فَـرَسٌ عَـذُومُ[5]
بَـنَـى لـكَ عَـامِـرٌ وبَـنُـو كِـلاَبٍ ... أَرُومـاً مَـا يُـوَازِيـهِ أُرُومُ[6]

[القطامي أحسن من يبدأ القصيد]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحظة، قال: حدَّثني علي بن يحيى المنجِّم، قال: سمعت مَن لا أُحصي من الرُّواة يقُولون: أحسنُ الناسِ ابتداءَ قصيدٍ في الجاهليَّة امرؤ القيس، حيثُ يقولُ:

أَلاَ عِـمْ صَـبـاحـاً أَيُّـهـا الـطَّـلَـلُ الـبَـالِـي..

وحيث يقول:

قِـفَـا نَـبْـكِ مـن ذِكْـرَى حَـبِـيـبٍ ومَـنْـزِلِ..

(١) الصِّيد: جمع الأصيد: السيد العزيز في قومه.
(٢) المنآد: المعوَجّ.
(٣) العزيم: العزيمة.
(٤) المُمَهَّل: المتروك.
(٥) العَذُوم: الذي يعضّ.
(٦) الأروم: الأصل.

وفي الإسلاميين القطاميُّ، حيث يقول:

إنَّـا مُـحـيُّـوكَ فَـاسْـلَـمْ أَيُّـهـا الـطَّـلَـلُ

وفي المحدثين بَشّارٌ، حيث يقول: [الطويل]

أَبَـى طَـلَـلٌ بِـالـجَـزْعِ أَنْ يَـتَـكَـلَّـمَـا ... وَمَـاذا عـلـيـه لَـوْ أَجَـابَ مُـتَـيَّـمـا؟[1]

وَبِـالـفُـرْعِ آثَـارٌ لِـهِـنْـدٍ وبِـالـلِّـوَى ... مَـلاَعِـبُ مـا يُـعْـرَفْـنَ إلاَّ تَـوَهُّـمـا[2]

نسختُ مِنْ كتاب أحمد بن الحارث الخرَّاز ـ ولم أسمعه من أحدٍ، وهو خبرٌ فيه طولٌ اقتصرتُ منه على ما فيه من خَبر القُطَامِيّ ـ قال أحمد بن الحارث الخَرّاز: حدَّثني المدائنيّ، عن عبد الملك بن مُسلم، قال: قال عبدُ الملك بن مَرْوان للأخطل، وعنده عامِرٌ الشَّعبي: أتحبّ أن لك قِيَاضاً[3] بِشِعرك شعرَ أحدٍ من العَرب أم تحبّ أنك قلته؟ قال: لا والله يا أميرَ المؤمنين، إلا أنِّي وَدِدتُ أني كنتُ قلتُ أبياتاً قالها رجل منَّا مُغدَفُ القِنَاع، قليلُ السَّماع، قصِيرُ الذِّراع، قال: وما قال؟ فأنشد قول القُطَاميّ: [البسيط]

إنَّـا مُـحَـيُّـوكَ فَـاسْـلَـمْ أَيُّـهَـا الـطَّـلَـلُ ... وَإِنْ بَـلِـيـتَ وإنْ طَـالَـتْ بِـكَ الـطِّـيَـلُ

لَـيْـسَ الـجَـدِيـدُ بـه تَـبْـقَـى بَـشَـاشَـتُـهُ ... إلاَّ قَـلِـيـلاً ولا ذُو خُـلَّـةٍ يَـصِـلُ

والـعَـيْـشُ لا عَـيْـشَ إلاَّ مَـا تَـقَـرُّ بِـهِ ... عَـيْـنٌ ولا حـالَ إلاَّ سَـوْفَ تَـنْـتَـقِـلُ

إنْ تَرْجِعِي مِنْ أبي عثمانَ مُنْجِحَةً ... فقد يَهُونُ على المُسْتَنْجِحِ العَمَلُ

والـنَّـاسُ مَـنْ يَـلْـقَ خَـيْـراً قَـائِـلُـونَ لـه ... مـا يَـشْـتَـهِـي وَلأُمِّ الـمُـخْـطِـىءِ الـهَـبَـلُ

قـد يُـدْرِكُ الـمُـتَـأَنِّـي بَـعْـضَ حَـاجَـتِـهِ ... وقـد يَـكُـونُ مَـعَ الـمُـسْـتَـعْـجِـلِ الزَّلَـلُ

حتى أتى على آخرها.

قال الشّعْبيُّ: فقلتُ له: قد قال القُطاميُّ أفضلَ من هذا، قال: وما قال؟ قلت: قال: [الكامل]

---

(١) الجَزْع: منعطف الوادي. والمُتيَّم: المُغْرَم.

(٢) الفُرْع: قرية من نواحي المدينة (معجم البلدان ٤: ٢٥٢).

(٣) القياض: المقايضة.

طَرَقَتْ جَنُوبُ رِحَالَنا مِنْ مَطْرَقِ ... مَا كُنْتُ أَحْسِبُهَا قَرِيبَ المُعْنَقِ[١]
قَطَعَتْ إِلَيْكَ بِمِثْلِ جِيدِ جَدَايَةٍ ... حَسَنٍ مُعَلَّقُ تُومَتَيْهِ مُطَوَّقِ[٢]
ومُصَرَّعِينَ مِنَ الكَلاَلِ كَأَنَّمَا ... بَكَروا الغَبُوقَ مِنَ الرَّحِيقِ المُعْتِقِ
مُتَوَسِّدِينَ ذِرَاعَ كُلِّ شِمِلَّةٍ ... ومُفَرِّجٍ عَرِقِ المَقَذِّ مُنَوَّقِ[٣]
وَجَثَتْ على رُكَبٍ تَهُدُّ بها الصَّفَا ... وَعَلى كَلاكِلَ كَالنَّقِيلِ المُطْرَقِ[٤]
وإذا سَمِعْنَ إلى هَمَاهِمِ رُفْقَةٍ ... ومِنَ النُّجُوم غَوَابِرٌ لم تَخْفِقِ
جَعَلَتْ تُمِيلُ خُدُودَها آذَانُهَا ... طَرَباً بِهِنَّ إلى حُدَاءِ السُّوَّقِ
كَالمُنْصِتَاتِ إلى الزَّمِيرِ سَمِعْنَهُ ... مِنْ رَائِعٍ لِقُلُوبِهِنَّ مُشَوِّقِ
فإذا نَظَرْنَ إلى الطَّرِيقِ رَأَيْنَهُ ... لَهِقاً كَشَاكِلَةِ الحِصَانِ الأَبْلَقِ[٥]
وإذا تَخَلَّفَ بَعْدَهُنَّ لِحَاجَةٍ ... حَادٍ يُشَسِّعُ نَعْلَهُ لم يَلْحَقِ
وَإذا يُصِيبُكَ - والحَوَادِثُ جَمَّةٌ - ... حَدَثٌ حَدَاكَ إلى أَخِيكَ الأَوْثَقِ
لَيْتَ الهُمُومَ عَنِ الفُؤَادِ تَفَرَّجَتْ ... وَخَلاَ التَّكَلُّم لِلِّسانِ المُطْلَقِ

قال: فقال عبدُ الملك بن مروانَ: ثَكِلَتِ القطاميَّ أُمُّه، هذا واللَّهِ الشِّعرُ! قال: فالتفتَ إليَّ الأخطلُ فقال لي: يا شَعْبِيُّ، إن لكَ فنوناً في الأحاديث، وإنما لنا فنٌّ واحدٌ، فإنْ رأيتَ ألاَّ تحملني على أكتافِ قوْمِكَ فأدَعهم حَرْبَى[٦] فقلت: وكرامةً، لا أعرِضُ لك في شِعر أبداً، فأَقِلْني هذه المرَّة.

ثم التفتُّ إلى عبد الملك بن مروان، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، أسألُكَ أن تستغفرَ لي الأخطل، فإني لا أُعاودُ ما يَكره، فضَحِك عبدُ الملك بن مروان وقال: يا أخطلُ إن الشَّعبيَّ في جواري، فقال: يا أميرَ المؤمنين، قد بدأْته بالتحذير، وإذا ترك ما نكره لم نَعرض له إلا بِما يُحبّ. فقال عبد الملك بن مروان للأخطل: فعليَّ ألاَّ يعْرِضَ لك إلا بما تحبُّ أبداً، فقال له الأخطلُ: أَنت تتكفَّل بذلك يا أمير المؤمنين؟ قال عبدُ الملك بن مروان: أنا أكفُل به، إن شاء الله تعالى.

---

(١) المُعْنَق: الإعناق، وهو السير السريع.
(٢) الجِيد: المثل والنظير. والجَدَاية: الغزالة. والتُّومة: حبة كاللؤلؤة تُصنع من الفضة.
(٣) الشِّمِلَّة: الناقة الخفيفة. والمَقَذّ: ما بين الأذنين من خلف. والمُنَوَّق: المُذَلَّل.
(٤) الصَّفا: جمع الصَّفَاة: الصخرة العريضة الملساء. والكلاكل: جمع الكلكل: الصدر. والنقيل، مفردها النقيلة: رقعة النعل. والمُطْرَق: الذي وُضِع بعضه فوق بعض.
(٥) اللَّهِق: الأبيض. وشاكلة الحصان: خاصرته.
(٦) الحَرْبَى: جمع الحَرِب: الشديد الغضب.

صوت

[البسيط]

يَابْنَ الَّذين سَما كِسْرَى لِجَمْعِهِمُ فَجَلَّلُوا وَجْهَهُ قَاراً بِذِي قَارِ[1]
دَوَّخْ خُرَاسَانَ بِالجُرْدِ العِتَاقِ وَبالْبِيضِ الرِّقَاقِ بِأَيْدِي كُلِّ مِسْعَارِ[2]

الشِّعر لأبي نجدة ـ واسمه لُجيم بن سعد ـ شاعِرٌ من بني عِجْلٍ.

أخبرني بذلك جماعةٌ من أهلهِ. وكان أبو نجدةَ هذا مع أحمد بن عبد العزيز بن دُلَف بن أبي دُلفٍ، منقَطعاً إليه.

والغناء لِكُنيز دبَّة، ولحنه فيه خفيفٌ بالبنْصر، ابتداؤه نشيد.

وكان سَببُ قوله هذا الشعر أنَّ قائداً من قُوَّاد أحمد بن عبد العزيز الْتجأ إلى عمرو بن اللَّيث، وهو يومئذٍ بخُراسانَ، فغَمَّ ذلك أحمدَ وأقْلقه، فدخل عليه أبو نجدة، فأنْشده هذين البيتين، وبعدهما: [البسيط]

يا مَنْ تَيَمَّمَ عَمْراً يَسْتَجِيرُ به أَمَا سَمِعْتَ بِبَيْتٍ فيهِ سَيَّارِ
المُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ

فَسُرَّ أحمد بذلك، وسُرِّيَ عنه، وأمر لأبي نجدة بجائزةٍ، وَخلعَ عليه وحمله، وغَنَّى فيه كُنيزٌ لحنه هذا، وهو لحنٌ حسنٌ مشهورٌ في عصرنا هذا، فأمر لكنيز أيضاً بجائزةٍ، وخلع عليه وحمله.

سمعْتُ أبا عليٍّ محمدَ بن المَرْزبان يُحدِّثُ أبي ـ رحمه الله ـ بهذا على سبيل المذاكرة، وكانت بيننا وبين آل المَرْزُبان مودَّةٌ قديمةٌ وصِهرٌ.

---

(١) ذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من مكة (معجم البلدان ٤ : ٢٩٤).

(٢) الجُرْد: جمع الأجرد: هو الفرس القصير الشعر. والمِسْعار: مُوقِد الحرب وهو الشجاع.

خبر وقعة ذي قار
التي فُخِرَ بها في هذا الشعر

أخبرنا بخبرها عليُّ بن سليمانَ الأخفش، عن السّكريّ، عن محمد بن حبيب، عن ابن الكلبيّ، عن خِراش بن إسماعيل. وأضفتُ إلى ذلك رواية الأثْرَم عن أبي عُبيدةَ، وعن هشامٍ أيضاً، عن أبيه، قالوا:

كان من حديث ذي قار أنّ كِسْرَى أبْرَويز بن هُرْمُز لَمّا غَضِبَ على النعمانِ ابن المنذر أتى النُّعمانُ هانىءَ بن مَسعود بن عامر بن عمرو بن ربيعة بن ذُهْل بن شَيبانَ، فاستودَعه مالَه وأهلَه وَوَلَده، وَألفَ شِكَّةٍ، ويقال أربعة آلاف شِكَّة ـ قال ابنُ الأعرابيّ: والشِّكَّةُ: السّلاحُ كلُّه ـ ووضع وضائعَ عند أحياء من العرب، ثم هَربَ وأتى طَيِّئاً لصهره فيهم. وكانت عنده فَرعةُ بنتُ سعيد بن حارثةَ بن لأْمٍ، وَزينبُ بنتُ أوس بن حارثة، فأبوْا أن يُدخلُوه جَبَلهم، وَأَتَتْهُ بنو رواحة بن ربيعةَ بن عبْس، فقالوا له: أبيتَ اللَّعْنَ، أَقِمْ عندنا، فإنَّا مانِعوكَ مِمَّا نَمنعُ منه أنفسنا، فقال: ما أُحِبُّ أن تَهلِكوا بسببي، فَجُزِيتُمْ خيراً.

ثم خرج حتى وضع يدَه في يدِ كسرى، فحبسه بِساباط[1]، ويقال بخَانقين[2] ـ وقد مضى خبرُه مشروحاً في أخبار عديّ بن زيد ـ قالوا: فلمَّا هَلكَ النعمانُ جعلتْ بكرُ بن وَائلٍ تُغيرُ على السَّوادِ، فوفد قيس بنُ مسْعودِ بن قيس بن خالد ذي الجدَّيْن، بن عبدِ اللّه بن عمرٍو إلى كسْرى، فسأله أن يجعل له أُكُلاً وَطُعْمةً، على

(١) ساباط: موضع معروف بالمدائن. (معجم البلدان ٣:١٦٦).

(٢) خانقين بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد (معجم البلدان ٢: ٣٤٠).

أن يضمنَ له على بكر بن وَائلٍ ألاَّ يدخلوا السّوادَ ولا يُفسُدوا فيه، فأقطَعه الأُبُلّة[١] وما والاها. وقال: هل تكْفيكَ وتكفي أعْرابَ قومِك؟.. وكانتْ له حُجْرة فيها مائةٌ من الإبل للأضياف، إذا نُحِرَتْ ناقةٌ رُدَّتْ مكانها ناقةٌ أُخرى وإيّاه عَنى الشَّماخُ بقوله: [البسيط]

فَادْفَعْ بِأَلْبَانِها عَنْكُمْ كَمَا دَفَعَتْ عَنْهُمْ لِقَاحُ بَنِي قَيْسِ بْنِ مَسْعُودِ

قال: فكان يأتيه مَنْ أتاه منهم فيُعطيه جُلَّة تمر وكِرْباسةً[٢]، حتى قَدِمَ الحارثُ بن وَعلة بن مجالد بن يَثربيٍّ بن الدَّيَّان بن الحارث بن مالك بن شيبان بن ذُهْل بن ثعلبة، والمكسِّر بن حنظلةَ بن حُيَيّ بن ثعلبة بن سيّار بن حُيَيّ بن حاطبة بن الأسعد بن جَذِيمة بن سَعْد بن عجل بن لُجَيم، فأعطاهما جُلَّتَيْ تَمْرٍ وكِرْباسَتَيْن، فغَضِبَا وَأَبَيا أنْ يَقْبلا ذلك منه، فخَرَجا واسْتَغويا ناساً من بكر بن وائل، ثم أغارا على السّواد، فأغار الحارثُ على أسافل رُودمَيسَان وهي من جِرْد[٣]، وَأغار المكسِّر على الأنبار، فلَقِيَهُ رجل من العِباديِّين من أهلِ الحيرة، قد نُتِجَتْ بعضُ نُوقهم، فحملوا الحُوار[٤] على ناقةٍ، وَصرّوا[٥] الإبل. فقال العِباديُّ: لقد صَبَّحَ الأنبَارَ شَرٌّ، جَمَلٌ يحملُ جَمَلاً، وجملٌ بُرَّتُهُ[٦] عودٌ، فجعلوا يَضحكُون من جهله بالإبل.

قال: وأغار بُجيرُ بن عائذ بن سُوَيد العجليّ، ومعهُ مَفْرُوق بن عمرو الشَّيبانيّ على القَادِسيّةِ وطِيرناباذ[٧]، وما والاهما، وكلّهم ملأ يَديْهِ غنيمةً. فأما مَفْرُوقٌ وأصحَابه فوقع فيهم الطّاعونُ فموَّتَ منهم خمسةَ نفرٍ مع مَن مَوّت من أصحابهم، فدُفِنُوا بالدُّجَيل[٨]، وهو رِحلة من العُذيب يسيرةٌ، فقال مَفروقٌ: [الطويل]

أَتَانِي بِأَنْبَاطِ السَّوَادِ يَسُوقُهُمْ إِلَيَّ وَأَوْدَتْ رَجْلَتِي وَفَوَارِسِي

(١) الأُبُلّة: بلدة على شاطىء دجلة وهي أقدم من البصرة (معجم البلدان ١: ٧٧).
(٢) الجُلَّة: القُفَّة الكبيرة. والكِرْباسة: لفظة فارسية ومعناها الثوب.
(٣) جِرْد: اسم بلدة بنواحي بَيهق كانت قديماً قصبة الكورة (معجم البلدان ٢: ١٢٤).
(٤) الحُوَار: ولد الناقة.
(٥) صَرُّوا الإبلَ: شدّوا عليها الصرار: وهو خيط يُشدُّ على ضرع الناقة لئلاّ يرضعها ولدها.
(٦) البُرَة: حلقة توضع في أنف البعير.
(٧) طير ناباذ: موضع بين الكوفة والقادسية (معجم البلدان ٤: ٥٤).
(٨) دُجَيْل: اسم يُطلق على نهرين أحدهما يخرج من أعلى بغداد، والآخر: نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك أحد ملوك الفرس (معجم البلدان ٢: ٤٤٣).

فلمَّا بَلَغ ذلك كِسرَى اشتدَّ حَنَقُه على بكرِ بن وائِلٍ، وبلغه أن حَلْقَةَ[١] النُّعْمانِ ووَلَدَه وأهله عندَهُم، فأرسلَ كِسْرَى إلى قيسِ بن مَسْعودٍ، وهو بالأُبُلَّة فقال: غَرَرْتني من قومِكَ، وزعمتَ أنَّكَ تكفِينِيهِم، وأَمَر به فحُبِس بساباطَ، وأخذ كسرى في تعبئةِ الجيوشِ إليهم، فقال قيسُ بن مسعود، وهو محبوسٌ، من أبيات: [الوافر]

أَلاَ أَبْـلِـغْ بَـنِـي ذُهْـلٍ رَسُـولاً ... فَـمَـنْ هـذا يَـكُـونُ لَـكُـمْ مَـكَـانِـي

أَيَـأْكُـلُـهـا ابْـنُ وَعْـلَـةَ فـي ظَـلِـيـفٍ ... وَيَـأْمَـنُ هَـيْـثَـمٌ وابْـنَـا سِـنَـانِ؟[٢]

وَيَـأْمَـنُ فِـيـكُـمُ الـذُّهْـلِـيُّ بَـعْـدِي ... وَقَـدْ وَسَـمُـوكُـمْ سِـمَـةَ الـبَـيَـانِ

أَلاَ مَـنْ مُـبْـلِـغٌ قَـوْمِـي ومَـنْ ذَا ... يُـبَـلِّـغُ عَـنْ أَسِـيـرٍ فـي الإِوَانِ

- يعني الإيوان -

تَـطَـاوَلَ لَـيْـلُـهُ وَأَصَـابَ حُـزْنـاً ... ولا يَـرْجُـو الـفِـكَـاكَ مَـعَ الـمِـنَـانِ

يعني بالهَيْثم وابني سِنان: الهيثَمَ بن جَرِير بن يساف بن ثَعْلبة بن سَدوس بن ذُهْل بن ثَعْلبة، وأبو عِلباءَ بن الهيثم.

وقال قيس بن مسعود يُنذِرُ قومَه: [الطويل]

أَلاَ لَـيْـتَـنِـي أَرْشُـو سِـلاَحِـي وَبَـغْـلَـتِـي ... لِـمَـنْ يُـخْـبِـرُ الأَنْـبَـاءَ بَـكْـرَ بْـنَ وَائِـلِ

ويروى: لمن يُعلم الأنباءَ

فَـأُوصِـيـهِـمُ بِـاللَّـهِ والـصُّـلْـحِ بَـيْـنَـهُـمْ ... لِـيَـنْـصَـأَ مَـعْـرُوفٌ وَيُـزْجَـرَ جَـاهِـلُ[٣]

وَصَاةَ امْرِئٍ لو كَانَ فِيكُمْ أَعَانَكُم ... عـلـى الـدَّهْـرِ، والأَيَّـامُ فـيـهـا الـغَـوَائِـلُ

فَـإِيَّـاكُـمْ والـطَّـفَّ لا تَـقْـرَبُـنَّـهُ ... ولا الـبَـحْـرَ إِنَّ الـمَـاءَ لِـلْـبَـحْـرِ وَاصِـلُ[٤]

ولا أَحْـبِـسَـنْـكُـمْ عَـنْ بُـغَـا الـخَـيْـرِ إِنَّـنِـي ... سَـقَـطْـتُ عَـلَـى ضِـرْغَـامَـةٍ فَـهْـوَ آكِـلُ

رواه ابن الأعرابيّ فقال:

.... إِنَّ الـمـاءَ لِـلْـقَـوْدِ وَاصِـلُ[٥]

(١) الحلقة: الدروع والسلاح.
(٢) ذهب ظليفاً: أي بغير حقّ.
(٣) ينصأ: يرفع.
(٤) الطف: ساحل البحر.
(٥) القَوْد: فسّره المرزباني: لا تدنوا منه فتقاد إليكم الخيل.

أي إنه مُعِينٌ لهم، يقُود الخَيل إليكم.

قال: وقال قيسٌ أيضاً يُنْذِرُهم: [الطويل]

تَمَنَّاكَ مِنْ لَيْلَى مَعَ اللَّيْلِ خَائِلُ ... وذِكْرٌ لها في القَلْبِ ليس يُزَايِلُ
أُحِبُّكِ حُبَّ الخَمْرِ ما كَانَ حُبُّهَا ... إلَيَّ وكُلٌّ في فُؤادِيَ دَاخِلُ
ألا لَيْتَنِي أرْشُو سِلاَحِي وبَغْلَتِي ... فيُخْبِرَ قَوْمِي اليَوْمَ مَا أَنَا قَائِلُ
فَإِنَّا ثَوَيْنَا في شُعُوبٍ وإنَّهُمْ ... غَزَتْهُمْ جُنودٌ جَمَّةٌ وقَبَائِلُ
وإنَّ جُنُودَ العُجْمِ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ ... فَيَا فَلَجِي يَا قَوْمُ إنْ لم تُقَاتِلُوا[1]

قال: فلمّا وضح لكسرَى واستبانَ أنَّ مال النُّعمانِ وحلْقَتَه وولَدَه عند ابن مَسْعود بعث إليه كسرى رَجُلاً يُخْبره أنَّه قال له: إن النعمانَ إنما كان عامِلي، وقد استودَعَك مالَه وأهلَه والحلقةَ، فابْعث بها إليَّ ولا تكلِّفْنِي أن أبعثَ إليك ولا إلى قومِكَ بالجنودِ، تَقْتُلُ المقاتِلَة وتَسْبي الذُّرِّيَّة. فَبَعث إليه هانىءٌ: إنَّ الذي بلغَكَ باطلٌ، وما عِندي قليلٌ ولا كثيرٌ، وإن يكن الأمرُ كما قِيل فإنما أنا أحدُ رجُلَيْن: إما رجلٌ استُودِعَ أمانةً، فهو حقيقٌ أن يردّها على مَنْ اسْتودَعه إيَّاها، ولن يُسَلِّم الحُرُّ أمانته، أَو رجلٌ مكذوبٌ عليه، فليس ينبغي للملِكِ أن يأخذه بقَول عَدوٍّ أو حاسدٍ.

قال: وكانت الأعاجمُ قوماً لهم حِلمٌ، قد سَمِعُوا ببعضِ عِلم العرب، وعَرفُوا أنَّ هذا الأمر كائنٌ فيهم. فلمّا وَرَدَ عَليه كِتابُ هانىء بهذا حملته الشَّفَقَةُ أن يكونَ ذلك قد اقتربَ، فأَقْبل حتى قطع الفُراتَ، فنزل غَمْر بني مُقاتل، وقد أَحْنَقَهُ ما صنعتْ بكرُ بن وائل في السَّوادِ ومَنْعُ هانىءٍ إيَّاه ما مَنَعَهُ.

[استشارة كسرى لإياس بن قبيصة]

قال: ودعا كِسرَى إياسَ بنَ قبيصَةَ الطائيَّ، وكان عاملهُ عَلَى عَيْن التَّمْر[2] وما والاها إلى الحِيرة، وكان كسرى قد أطعمه ثلاثين قريةً عَلَى شاطىء الفرات، فأَتاه في صَنائِعِه من العَربِ الذين كانُوا بالحِيرةِ، فاستشارَهُ في الغارةِ عَلَى بكرِ بن وائلٍ، وقال: ماذا تَرى؟ وكم ترى أن نُغْزِيَهم مِن الناسِ؟ فقال له إياسٌ: إن المِلكَ لا يَصْلُح أن يَعْصِيَه أحدٌ من رَعِيته، وإن تطِعني لم تُعلم أحداً لأيِّ شيءٍ عبرتَ

(١) الفَلَج: هو داء الفالج.

(٢) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة (معجم البلدان ٤: ١٧٦).

وقطعت الفُراتَ، فيرَوْا أنَّ شيئاً من أمر العرب قد كَرَبك، ولكن تَرجعُ وتُضْرِبُ عنهم، وتَبعث عليهم العُيونَ حتى ترى غِرَّةً[١] منهم ثم ترسِل حَلْبة[٢] من العَجم فيها بعضُ القبائِل التي تَلِيهم، فيُوقِعُون بهم وقعةَ الدَّهرِ، ويأْتونك بِطلِبَتِكَ. فقال له كِسرى: أنتَ رجلٌ من العَرَبِ، وبكرُ بن وائل أخْوالك - وكانت أمُّ إياسٍ أُمامةُ بنتُ مَسْعودٍ، أختَ هانىء بن مَسْعود - فأنت تَتَعَصَّبُ لهم، ولا تألُوهُم نُصحاً. فقال إياسٌ: رأْيُ الملك أفضلُ. فقامَ إليه عمرو بن عديٍّ بن زيدٍ العِبادِيُّ - وكان كاتبَه وتُرجُمانَه بالعربية، في أُمورِ العَرَبِ - فقال له: أقِمْ أيُّها الملكُ، وابْعث إليهم بالجنُودِ يَكْفُوكَ. فقامَ إليه النُّعمانُ بن زُرْعةَ بن هَرَميٍّ، من ولد السَّفَّاح التَّغْلبيِّ، فقال: أيُّها الملِكُ، إنَّ هذا الحيَّ من بكرِ بن وائلٍ إذا قاظوا[٣] بذي قارٍ تهافَتُوا تهافُتَ الجرادِ في النَّارِ. فَعقد للنُّعمانِ بن زُرْعةَ على تغلِبَ والنَّمِرِ، وعَقَد لخالدِ بن يزيد البهرانيِّ على قُضاعةَ وإيادٍ، وعَقَد لإياسِ بن قَبِيصة على جميع العَرَب، وَمَعه كتيبتاه الشَّهْباءُ والدَّوْسَرُ، فكانت العربُ ثلاثةَ آلافٍ. وعقد للهامُرْزِ على ألْفٍ من الأَساوِرةِ[٤]، وعقد لخُنابِرين على ألْفٍ، وبعث معهم باللَّطِيمةِ، وهي عِيرٌ كانت تَخْرُج من العراقِ، فيها البَزّ والعِطْر والألْطافُ[٥]، تُوصَلُ إلى باذامَ عامِله باليمن، وقال: إذا فَرَغْتُم من عَدُوِّكم فسِيروا بها إلى اليَمن، وأمر عمرو بن عديٍّ أن يَسِيرَ بها، وكانت العربُ تخفِرهم وتُجِيرُهُم حتى تبلغَ اللَّطيمةُ اليمنَ. وعَهِدَ كسرى إليهم إذا شارفُوا بلاد بَكْرِ بن وائلٍ وَدَنَوا مِنها أن يَبْعَثُوا إليهم النُّعمانَ بن زُرعةَ، فإن أَتَوْكُم بالحلْقة ومائةِ غلامٍ منهم يكونون رَهْناً بما أَحدث سُفَهاؤهُم، فاقبَلُوا مِنهم، وإلاَّ فقاتِلوهم. وكان كِسرى قد أوقع قبلَ ذلك ببني تميم، يومَ الصَّفْقةِ، فالعَرَبُ وَجِلةٌ خائِفة منه. وكانت حُرَقةُ بنتُ حَسَّانَ بنِ النُّعمانِ بن المُنْذِرِ يومئذٍ في بني سِنانٍ، هَكَذا في هذه الرِّواية.

---

(١) الغِرَّة: الغفلة.

(٢) الحَلْبَة: الجماعة من الخيل.

(٣) قاظوا: أقاموا بالمكان في الصيف.

(٤) الأساورة: جمع أسوار: الفارس المقاتل من جنود الفرس.

(٥) البَزّ: ثياب من قطن أو كتان. والألطاف: الهدايا.

وقال ابنُ الكَلبيِّ: حُرَقةُ بنت النُّعمانِ، وهي هندُ، والْحُرَقة لقب، وهذا هو الصحيح. فقالَتْ تُنْذِرُهُم: [الوافر]

أَلاَ أَبْـلِـغْ بَـنِـي بَـكْـرٍ رَسُـولاً ... فَـقَـدْ جَـدَّ الـنَّـفِـيـرُ بِـعَـنْـقَـفِـيـرِ (١)

فَـلَـيْـتَ الـجَـيْـشَ كُـلَّـهُـمُ فِـداكُـمْ ... وَنَـفْـسِـيَ والـسَّـرِيـرَ وذا الـسَّـرِيـرِ (٢)

كَـأَنِّـي حِـيـنَ جَـدَّ بِـهِـمْ إِلـيـكُـمْ ... مُـعَـلَّـقَـةُ الـذَّوَائِـبِ بِـالـعَـبُـورِ (٣)

فـلـو أَنِّـي أَطَـقْـتُ لِـذَاكَ دَفْـعـاً ... إِذَنْ لَـدَفَـعْـتُـهُ بِـدَمِـي وَزِيـرِي (٤)

فلمّا بَلَغ بكر بن وائلٍ الخبرُ سار هانىء بنُ مسعودٍ حتى انتهى إلى ذي قارٍ، فنزل به، وأقبل النعمانُ بن زُرْعةَ، وكانت أمُّه قِلْطِفَ بنت النُّعمان بن معديكرب التَّغْلَبِيِّ، وأمّها الشَّقِيقة بنتُ الحارث الوصَّاف العِجْلِيِّ، حتى نزلَ على ابن أخْتِه مُرَّةَ بنِ عمرو بن عَبْدِ اللَّهِ بن مُعاويةَ بن عبد اللَّه بن قيس بن سَعْدِ بن عِجْل، فحمِد اللَّه النُّعمانُ وأثنى عليه ثم قال: إنَّكم أخْوالِي وأحَدُ طَرفَيَّ، وإنَّ الرائِدَ لاَ يكْذِبُ أهْلَه، وقد أتاكُم ما لا قِبَل لكم به من أحرار فارسَ، وفُرسانِ العربِ، والكتيبتانِ: الشَّهباءُ والدَّوْسَرُ، وإن في هَذا الشَّرِّ خِياراً. وَلأَنْ يَفْتَدِيَ بعضُكم بعضاً خيرٌ من أن تُصطَلَمُوا(٥)، فانظُروا هذه الحلْقةَ فادفَعُوها وادْفَعُوا رهناً من أبنائِكُم إليه بما أحدث سُفهاؤُكم. فقال له القومُ: ننظرُ في أمرِنا. وبَعَثُوا إلى من يَلِيهِمْ من بكر بن وائلٍ، وبَرزوا ببَطْحاءِ ذي قارٍ بين الجَلْهتَيْن.

قال الأثرم: جَلْهة الوادِي: ما استقبَلَكَ منه واتّسع لك، وقال ابنُ الأعرابيِّ: جَلْهةُ الوادِي: مُقَدَّمُه، مثل جَلْهة الرأسِ إذا ذَهَب شعره، يقال: رأس أَجْلَهُ.

قال: وكان مرداسُ بن أبي عامر السُّلَميّ مُجاوِراً فيهم يومئذٍ، فلمّا رأى

(١) العنقفير: الداهية من دواهي الزمان.

(٢) السرير: هنا المُلك والنعمة.

(٣) الذوائب: جمع ذؤابة: شعر مقدّم الرأس. والعَبور أو الشعرى العبور: كوكب نَيِّر يكون في الجوزاء، وسمّيت عبوراً لعبورها المجرة.

(٤) الزِّير: الوتر الدقيق، والمراد هنا أوتار القلب أو العروق.

(٥) تُصطَلَموا: تُستأصلوا.

الجيوشَ قد أقبلتْ إليهم حَمَل عِيالَه فخرج عنهم، وأنشأ يقولُ يحرّضُهم بقوله:

[البسيط]

أَبْـلِـغْ سَـرَاةَ بَـنِـي بَـكْـرٍ مُـغَـلْـغَـلـةً ... إِنّـي أَخَـافُ عَـلَـيـهـم سُـرْبَـةَ الـدَّارِ[١]

إِنّـي أَرَى الـمَـلِـكَ الـهَـامُـرْزَ مُـنْـصَـلِـتاً ... يُـزْجِـي جِـيـاداً ورَكْـبـاً غـيـرَ أَبْـرَارِ[٢]

لا تَـلْـقُـطُ الـبَـعَـرَ الْـحَـوْلِـيَّ نِـسْـوَتُـهُـمْ ... لِـلـجَـائِـزِيـنَ عَـلَـى أَعْـطَـانِ ذِي قَـارِ[٣]

فَـإِنْ أَبَـيْـتُـمْ فَـإِنِّـي رَافِـعٌ ظُـعُـنِـي ... ومُـنْـشِـبٌ في جِـبَـالِ الـلُّـوبِ أَظْـفَـاري[٤]

وجَـاعِـلٌ بَـيْـنَـنَـا وِرْداً غَـوَارِبُـهُ ... تَـرْمِـي إذا مَـا رَبَـا الـوَادِي بِـتَـيَّـارِ

ربا: ارتَفَع وطال، وقوله: ورداً غواربُه: أراد البحرَ.

[رأي أبي الفرج في حكاية مرداس]

قال علي بن الحسين الأصفهانيّ: هذه الحكَايةُ عندِي في أمر مِرداسِ بن أبي عامرٍ خطأ؛ لأن وَقعَةَ ذِي قار كانت بعد هجرةِ النبيِّ ﷺ وكانت بين بَدْرٍ وأُحُد ومِرداسُ بنُ أبي عامرٍ، وحَربُ بن أُميَّة أَبُو أَبِي سُفيان ماتا في وقت واحدٍ، كانا مَرَّا بالقُرَيَّة[٥]، وهي غَيْضة مُلْتفَّةُ الشَّجَر، فأَحْرقا شَجَرها، لِيتَّخذاها مَزرَعَةً، فكانت تخرجُ من الغَيْضَة حَيَّاتٌ بِيضٌ فتطِيرُ حتى تَغيبَ، ومات حربٌ ومرداسٌ بعَقِبِ ذلك، فتحدَّث قومُهما أنَّ الجِنّ قَتَلتهما لإِحْراقِهما منازِلَهمْ من الغَيْضَةِ، وذلك قبل مَبْعَث النبيِّ ﷺ بحينٍ. ثم كانت بين أبي سُفيانَ وبين العبّاسِ بن مِرداس مُنازَعةٌ في هذه القَرية، ولهما في ذلك خبرٌ ليس هذا مَوْضعَه. وأظنُّ أنَّ هذه الأبياتَ للعبَّاسِ بن مرداس بن أبي عامرٍ.

رجع الحديث إلى سياقته في حديث ذي قار.

قال: وجعلتْ بكرُ بنُ وائل حين بَعَثُوا إلى مَنْ حَولَهمْ من قبائلِ بكرٍ لا تُرْفعُ لهم جَماعةٌ إلاَّ قالوا: سَيِّدُنا في هذه. فرُفِعَتْ لهم جماعةٌ، فقالوا: سيِّدُنا في هذه،

---

(١) المغلغلة: الرسالة التي تتغلغل في البلاد. والسُّرْبة: السرعة في قضاء الأمر، وسُربة الدار: الهجوم المتوقَّع القريب.

(٢) مُنصلتاً: مسرعاً.

(٣) الأعطان: جمع العطن: مبرك الإبل حول الحوض.

(٤) جبال اللُّوب: اسم موضع ذُكِرَ في (معجم ما استعجم ص ٥٠٣).

(٥) القريّة: موضع باليمامة لبني سدوس (معجم البلدان ٤: ٣٤١).

فلمَّا دَنَوا إذا هم بعبدِ عمرو بن بِشْر بن مَرْثَد، فقالُوا: لا، ثم رُفِعَتْ لهُم أُخْرى، فقالُوا: في هذه سَيِّدُنا، فإذا هو جَبَلَةُ بن باعث بن صَرِيم اليَشْكُرِيّ، فقالوا: لا، فرُفِعَتْ أُخْرى، فقالُوا: في هذه سيّدُنا، فإذا هو الحارثُ بن وَعْلَة بن مُجالِدٍ الذُّهْليّ فقالوا: لا، ثم رُفِعت لهم أُخرى، فقالوا: في هذه سيّدُنا، فإذا فيها الحارثُ بن ربيعةَ بن عُثمان التيميُّ، من تيم اللّه، فقالوا: لا، ثم رفعت لهم أُخرى أكبر ممَّا كان يَجِيء، فقالوا: لقد جاءَ سيّدُنا، فإذا رجلٌ أصلَعُ الشعر، عظيمُ البَطْنِ، مُشْرَبٌ حُمرةً، فإذا هو حَنْظلةُ بن ثعلبةَ بن سَيَّار بن حُيَيّ بن حاطِبة بن الأَسْعد بن جَذِيمة بن سَعد بن عِجل، فقالوا: يا أبا مَعْدان، قد طال انتِظارُنا، وقد كرِهْنا أن نقطع أمراً دُونَك، وهذا ابن أُختِك النعمانُ بن زُرعةَ قد جاءَنا، والرائِدُ لا يَكذِبُ أهلَه، قال: فما الذي أجمعَ عليه رأيكم، واتَّفَق عليه مَلَؤُكم؟ قالوا: قال: إن اللَّخْي أَهْوَنُ من الوَهْي[1] وإنَّ في الشرِّ خِياراً، وَلأَنْ يَقْتديَ بعضكم بعضاً خيرٌ من أن تُصْطَلَموا جميعاً. قال حنظلةُ: فَقَبّح اللّهُ هذا رأياً، لا تَجرُّ أحرارُ فارس غُرَلَها[2] ببطحاءِ ذي قارٍ وأنا أسمعُ الصوت.

ثم أَمَرَ بِقُبَّتِهِ فضُرِبَتْ بِوَادِي ذِي قارٍ، ثم نَزَل ونزلَ الناسُ فأَطَافُوا بِهِ، ثم قال لهانيء بن مَسْعود: يا أبا أُمامةَ، إن ذمَّتَكم ذمَّتُنا عامَّةً، وإنّه لن يُوصَلَ إليك حتى تَفْنَى أرواحُنا، فأخرِجْ هذه الحلْقَة ففرِّقْها بين قومِكَ، فإن تَظْفر فستُرَدُّ عليكَ، وإن تهلِكْ فأهونُ مَفْقودٍ. فأمر بها فأُخرِجَتْ، ففرقها بينَهُم، ثم قال حنظلةُ للنعمانِ: لولا أنَّكَ رسولٌ لما أُبتَ إلى قومِكَ سالماً. فرَجع النعمانُ إلى أصحابِهِ فأخبرهم بما ردَّ عليه القَومُ، فباتُوا ليلتَهُمْ مُسْتعدِّين للقتال، وباتَتْ بكرُ بن وائلٍ يتأَهَّبون للحرب. فلمَّا أصْبحُوا أقبلت الأعاجمُ نحوَهمْ، وأمر حنظلةُ بِالظُّعُنِ جميعاً فوقفها خلفَ النَّاسِ، ثم قال: يا معشرَ بكرِ بن وائل، قاتِلوا عن ظُعُنِكم أو دَعُوا. فأقبلتِ الأعاجمُ يَسِيرونَ على تعبئةٍ، فلمَّا رأَتْهُم بنُو قَيْس بن ثعلبةَ انصَرَفُوا فلَحِقُوا بالحيّ فاستخَفَوْا فيه، فسُمِّيَ: «حَيّ بني قيس بن ثعلبة» قال: وهو على موضع خَفِيّ فلم يشهدُوا ذلك اليومَ.

وكان ربيعةُ بنُ غزالة السَّكونيّ. ثم التُّجِيبيُّ، يومئذٍ هو وقومُهُ نُزولاً في بني

(١) اللَّخي: العطاء. والوهي الضعف.
(٢) الغُرلة مفردها: الغُرلَة: القلفة.

شيْبانَ، فقال: يا بني شيبانَ، أما لو أنِّي كنتُ منكم لأشرتُ عليكم برأيٍ مثلِ عُروةِ العِكْم[١]، فقالوا: فأنت واللّه من أوسطنا، فأشِرْ علينا. فقال: لا تُسْتَهْدَفُوا لهذه الأعاجم فتُهْلِكَكُم بِنُشَّابها[٢]، ولكن تَكَرْدَسُوا لهم كراديس[٣]، فيشدّ عليهم كُردوسٌ، فإذا أقبلوا عليه شدَّ الآخرُ، فقالوا: فإنَّكَ قد رأيتَ رأياً، ففعلوا.

فلمَّا الْتَقَى الزَّحفانِ، وتقارَبَ القوْمُ قام حَنْظلةُ بن ثعلبة فقال: يا معشرَ بكْرِ بنِ وائل، إنَّ النُّشَّاب الذي مع الأعاجم يعرِفُكم، فإذا أرْسَلوه لم يُخْطِئكم، فعاجلوهم باللِّقاءِ وابدأوهم بالشِّدَّة.

ثم قام هانئُ بنُ مسعودٍ فقال: يا قومُ، مَهلِك مَعْذُور خيرٌ من نجاء معرور[٤] وإن الحذَر لا يَدْفع القَدَرَ، وإن الصَّبر من أسْباب الظَّفر، المنيَّةُ ولا الدَّنيّةُ، واستقبالُ الموْت خيرٌ من استِدْباره، والطّعنُ في الثَّغر خيرٌ وأكرمُ من الطَّعن في الدُّبُر، يا قوم، جِدُّوا فما من الموت بُدٌّ، فتحٌ لو كان له رجالٌ، أسمعُ صوتاً ولا أرى قوماً، يا آلَ بكرٍ، شُدُّوا واستعدُّوا، وإلاَّ تشدُّوا تُرَدُّوا.

ثمّ قام شَرِيك بن عمرو بن شراحيل بن مُرَّة بن همَّام فقال: يا قوم، إنما تهابُونهم أنكم ترونْهمْ عند الحِفاظ أكثرَ منكم، وكذلك أنْتم في أعينهم، فعليكم بالصَّبر، فإنّ الأَسِنَّةَ تُرْدِي الأَعِنَّة، يا آلَ بكرٍ قُدُماً قُدُما.

ثم قام عمرو بن جَبَلَة بن باعث بن صَرِيم اليَشكُريُّ فقال: [الرجز]

يـا قَـوْم لاَ تَـغْـرُرْكُـمُ هَـذِي الـخِـرَقْ ... وَلاَ وَمِيضُ البَيْضِ في الشَّمْسِ بَرَقْ[٥]
مَنْ لـم يُقَـاتِـلْ مِـنْـكُـمُ هَـذِي الـعُـنُـقْ ... فـجَـنِّـبُـوهُ الـرَّاحَ واسْـقُـوه الـمَـرَقْ[٦]

ثم قام حنظلةُ بن ثعْلبة إلى وَضِين راحلةِ امرأتهِ فقطَعَهُ، ثم تتبّع الظُّعُنَ يقْطعُ وُضُنَهنَّ لئلا يَفِرَّ عنهنَّ الرجال، فسُمِّيَ يومئذٍ: «مُقطِّع الوَضين».

وَالوَضِين: بِطانُ الناقةِ.

---

(١) العِكْم: أحد العدلين يوضع على جانبي الهودج. ومثل عروة العِكم: يراد به الدِّقَّة والإحكام كما يشدّ العكم من العروة.
(٢) النُّشّاب: جمع النشّابة: النّبل.
(٣) تكردسوا: تجمّعوا. والكراديس: الجماعة من الخيل.
(٤) النجاء: السرعة في الفرار. والمعرور: الذي يجلب العار والسُبَّة.
(٥) البَيض: جمع بيضة: الخوذة من آلات الحرب تستخدم لوقاية الرأس.
(٦) يقال: هم عُنُقٌ إليك: أي مائلون إليك ومنتظروك.

قالوا: وكانت بنو عِجل في الميمَنةِ بإزاءِ خُنابِرين، وكانت بنُو شَيبان في الميسرةِ بإزاءِ كتيبة الهامُرْز، وكانت أفناءُ[1] بكر بن وائلٍ في القَلب، فخرج أُسوارٌ من الأعاجم مُسَوَّرٌ[2]، في أُذنيه دُرَّتان، من كتيبة الهامُرْز يتحدَّى الناسَ للبِراز، فنادى في بني شيبان فلم يبرُز له أحدٌ حتى إذا دنا من بني يَشْكُرَ بَرَز له يزيدُ بن حارثةَ أخو بني ثعلبةَ بن عمرو فشدّ عليه بالرُّمح، فطعنه فدقَّ صُلْبَهُ، وأخذ حِلْيته وسلاحَه، فذلك قولُ سُوَيْدِ بن أبي كاهل يفتخرُ: [الطويل]

وَمِنَّا يَزِيدُ إذْ تَحَدَّى جُمُوعَكُمْ   فلم تَقْرَبُوهُ، المَرْزُبانُ المُشَهَّرُ[3]
وبارَزَهُ مِنَّا غُلامٌ بِصَارِمٍ   حُسَامٍ إذا لاَقَى الضَّرِيبَةَ يَبْتُرُ[4]

ثم إن القوْمَ اقتتلوا صدرَ نهارهم أشدَّ قتالٍ رآهُ النّاسُ، إلى أن زالت الشمس، فشدّ الحوْفزانُ ـ واسمه الحارث بن شَرِيك ـ على الهامُرْزِ فقتَلهُ، وَقتلَتْ بنو عجلٍ خُنابِرين، وضرب اللّهُ وُجوهَ الفُرْسِ فانهزَمُوا، وتَبِعتْهم بكرُ بن وائلٍ، فلَحِقَ مَرْثَدُ بنُ الحارث بن ثوْر بن حرْملة بن علقمة بن عمرو بن سَدُوس، النعمانَ بنَ زُرعةَ، فأهْوى له طعناً، فسبقَهُ النُّعمانُ بصدرِ فرسِهِ فأفْلتَهُ، فقال مَرْثدٌ في ذلك:

[الطويل]

وَخَيْلٍ تَبَارَى لِلطِّعَانِ شَهِدْتُها   فَأَغْرَقْتُ فيها الرُّمْحَ والجَمْعُ مُحْجِمُ
وأَفْلَتَنِي النُّعْمَانُ قَابَ رِمَاحِنا   وفَوْقَ قَطَاةِ المُهْرِ أزْرقُ لَهْذَمُ[5]

قال: ولَحِقَ أسودُ بن بُجَير بن عائذ بن شَرِيك العجْليّ النعمانَ بن زُرعةَ، فقال له: يا نُعمانُ، هَلمّ إليَّ، فأنا خير آسرٍ لك، وخَيرٌ لَكَ من العَطش. قال: ومَنْ أنْتَ؟ قال: الأسودُ بن بُجيرٍ، فوضع يدَهُ في يدِه، فجزّ ناصيتَه، وخَلّى سبيله، وحَمَلهُ الأسودُ على فَرَسٍ له، وقال لهُ: انجُ على هذه، فإنها أجودُ من فَرَسكَ، وجاء الأسودُ بنُ بُجير على فرس النُّعمانِ بن زُرعة وقُتِلَ خالد بن يزيدَ البهرانيُّ، قتله الأسودُ بن شَرِيك بن عمرو، وقُتل يومئذٍ عمرو بن عديّ بن زَيْدٍ العباديُّ

(١) الأفناء: الأخلاط من قبائل شتّى.
(٢) الأُسوار: القائد. والمُسَوَّر: اللابس الإسورة لتميّزه.
(٣) المرزبان: الفارس الشجاع المقدّم.
(٤) الصارم: السيف القاطع. والضّريبة: المضروب بالسيف.
(٥) قطاة المهر: عجزه. والسيف اللّهذم: القاطع.

الشاعر، فقالت أمُّه تَرْثِيهِ: [الرمل]

وَيْحَ عَمْرِو بْنِ عَدِيٍّ مِنْ رَجُلْ ... حَانَ يَوْماً بَعْدَمَا قِيلَ كَمِلْ
كَانَ لا يَغْقِلُ حَتَّى مَا إذا ... جَاءَ يَوْمٌ يَأْكُلُ النَّاسَ عَقَلْ
أَيُّهُمْ دَلاَّكَ عَمْرٌو لِلرَّدَى ... وقَدِيماً حَيَّنَ المَرْءَ الأَجَلْ
لَيْتَ نُعْمَانَ عَلَيْنا مَلِكٌ ... وَبُنَيَّ لِيَ حَيٌّ لم يَزَلْ
قد تَنَظَّرْنَا لِغَادٍ أَوْبَةً ... كَانَ لو أَغْنَى عَنِ المَرْءِ الأَمَلْ
بَانَ مِنْهُ عَضُدٌ عَنْ سَاعِدٍ ... بُؤْسَ لِلدَّهْرِ وبُؤْسَى لِلرَّجُلْ

قال: وأفلتَ إياسُ بن قَبِيصَةَ على فرس له، كانت عند رجلٍ من بني تيْم اللَّه، يقال له أبو ثَوْر، فلما أرادَ إياسٌ أن يَغْزُوهم أرسلَ إليه أبو ثورٍ بها، فنهاهُ أصحابه أن يفعلَ، فقال: وَاللَّهِ ما في فرسِ إياسٍ ما يُعِزُّ رجلاً ولا يُذِلُّه، وما كنتُ لأقطعَ رحِمَه فيها، فقال إياس: [الطويل]

غَذَاهَا أَبُو ثَوْرٍ فلمّا رَأَيْتُها ... دَخِيسَ دَوَاءٍ لا أُضِيعَ غِذَاؤُها[1]
فأَعْدَدْتُها كُفْئاً لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ... إذا أَقْبَلَتْ بَكْرٌ تُجَرُّ رِشَاؤُها

قال: وأتْبعَتْهم بكْرُ بن وائل يقتلونهم بقيَّةَ يومهم وليلتهم، حتى أصبحوا من الغدِ، وقد شَارفُوا السّوادَ ودخلوه، فذكروا أنّ مائةً من بكر بن وائل، وسَبْعين منْ عِجْل، وثلاثينَ مِن أفناءِ بكر بن وائلٍ، أصبَحُوا وقد دَخلوا السّوادَ في طَلبِ القومِ، فلم يُفلِت منهم كبيرُ أحدٍ وأقبلتْ بكرُ بنُ وائلٍ على الغنَائم فقسَّموها بينهم، وقسَّموا تلك اللَّطائمَ[2] بين نِسائهم، فذلك قولُ الدّيانُ بنِ جَندل: [البسيط]

إن كُنْتِ سَاقِيَةً يَوْماً على كَرَمٍ ... فَاسْقِي فَوَارِسَ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانا
وَاسْقِي فَوَارِسَ حَامَوْا عَنْ دِيَارِهِمُ ... وَاعْلِي مَفَارِقَهُمْ مِسْكاً وَرَيْحَانَا

قال: فكانَ أوّلَ من انصرَف إلى كسرى بالهزيمةِ إياسُ بن قَبِيصةَ وكان لا يأتيه أحدٌ بهزِيمةِ جيشٍ إلاّ نَزعَ كتفيه، فلمَّا أتاهُ إياسٌ سَأله عن الخبرِ، فقال: هَزمْنا بكرَ بن وائلٍ، فأتيناكَ بنسائهم، فأعجَب ذلك كسْرَى وأمر له بكُسوة. وإنَّ إياساً استأذنَه عند ذلك، فقال: إنّ أخي مريضٌ بعين التّمر، فأردتُ أن آتِيَهُ، وإنَّما أرادَ أن يتنحَّى عنه، فأذنَ له كسرى، فترك فَرسَه الحمامة وهي التي كانت عند أبي ثورٍ

---

(١) الدّخيس: اللحم المكتنز الصلب.

(٢) اللَّطائم: جمع اللطيمة: العير تحمل الطِّيب.

بالحيرةِ، ورَكِبَ نجيبةً فلحق بأخيه، ثم أتَى كِسْرى رَجلٌ من أهْل الحِيرة وهو بِالخورْنَق[١]، فسأل: هلْ دخَلَ على الملكِ أحدٌ؟ فقالوا: نعَمْ، إياسٌ، فقال: ثَكِلَتْ إياساً أمُّه! وظَنَّ أنهُ قد حدَّثه بالخبر، فدَخلَ عليه فحدَّثه بهزيمةِ القوْم وقتلِهِمْ، فأمَر بِهِ فنُزعتْ كتِفاه.

[الرسولﷺ يشيد بنصر العرب في وقعة ذي قار]

قال: وكانت وقعة ذي قار بعد وقعةِ بدْرٍ بأشهرٍ، ورسولُ اللَّهﷺ بالمدينة، فلمَّا بَلغهُ ذلك قال: «**هذا يومٌ انتَصَفتْ فيه العَربُ من العجم، وبي نُصِروا**».

قال ابنُ الكلبيّ: وأخْبرني أَبي، عن أبي صَالح، عن ابن عبَّاسٍ، قال: ذُكِرَتْ وَقْعةُ ذي قارٍ عند النبيّﷺ فقال: «**ذلك يومٌ انتصفَت فيه العربُ من العجَم وبِي نُصِرُوا**».

ورُوِيَ أن النبيّﷺ مُثّلت له الوَقعةُ وهو بالمدينة، فرَفع يديه فدعا لبني شيبَان، أو لجماعةِ ربيعةَ بالنَّصرِ، ولم يَزَلْ يدعو لهم حتى أُرِيَ هزيمةَ الفُرْسِ.

ورُوِيَ أنّه قال: «**إِيها بني ربيعةَ، اللَّهُمَّ انصر بني ربيعة**» فهم إلى الآنَ إذا حارَبُوا دَعوا بشِعَار النبيّﷺ ودعوتِه لهم، وقال قائلهم: «**يا رسول اللّه وَعْدَك**»، فإذا دَعوْا بذلك نُصِرُوا.

[ما قيل من الشعر بعد النصر]

وقال أبو كلبة التّيميُّ يفخر بيوم ذي قارٍ: [البسيط]

لــولا فَــوَارِسُ لا مِــيــلٌ وَلا عُــزُلٌ ... مِـنَ اللَّـهَـازِمِ ما قِـظْـتُـم بِـذِي قَـارِ[٢]

مـا زِلْـتُ مُـفْـتَـرِسـاً أَجْـسَـادَ أَفْـتِـيَـةٍ ... تُـثِـيـرُ أَعْـطَـافَـهـا مِـنْـهَـا بِـآثَـارِ

إِنَّ الـفَـوَارِسَ مِـنْ عِـجْـلٍ هُـمُ أَنِـفُـوا ... مِنْ أَنْ يُخَلُّوا لِكِسْرى عَرْصَةَ الدَّارِ[٣]

لاَقَـوْا فَـوَارِسَ مِـنْ عِـجْـلٍ بِـشِـكَّـتِـهَـا ... لَـيْـسُـوا إذا قَـلَّـصَـتْ حَـرْبٌ بِـأَغْـمَـارِ[٤]

---

(١) الخورنق: موضع بالكوفة، وقصر بظهر الحيرة (معجم البلدان ٢:٤٠١).

(٢) الميل: الجبناء.

(٣) عرصة الدار: ساحتها.

(٤) الشّكّة: السلاح عامّة.

قد أَحْسَنَتْ ذُهْلُ شَيْبَانٍ وما عَدَلَتْ ... فِي يَوْمِ ذِي قَارَ فُرْسَانُ ابْنِ سَيَّارِ
هُمُ الَّذِينَ أَتَوْهُمْ عَنْ شَمَائِلِهِمْ ... كَمَا تَلَبَّسَ وُرَّادٌ بِصُدَّارِ

فأجابهُ الأعشى فقال: [البسيط]

أَبْلِغْ أَبَا كَلْبَةَ التَّيْمِيَّ مَأْلُكَةً ... فَأَنْتَ مِنْ مَعْشَرٍ - واللَّهِ - أَشْرَارِ
شَيْبَانُ تَدْفَعُ عَنْكَ الحَرْبَ آوِنَةً ... وَأَنْتَ تَنْبَحُ نَبْحَ الكَلْبِ فِي الغَارِ

وقال بُكَيْرٌ الأَصَمُّ: [الكامل]

إِنْ كُنْتِ سَاقِيَةَ المُدَامَةِ أَهْلَهَا ... فَاسْقِي عَلى كَرَمٍ بَنِي هَمَّامِ
وَأَبَا رَبِيعَةَ كُلَّهَا ومُحَلَّماً ... سَبَقُوا بِأَنْجَدِ غَايَةِ الأَيَّامِ
زَحَفُوا بِجَمْعٍ لا تُرَى أَقْطَارُهُ ... لَقِحَتْ بِهِ حَرْبٌ لِغَيْرِ تَمَامِ(١)
عَرَبٌ ثَلاَثَةُ آلُفٍ وَكَتِيبَةٌ ... أَلْفَانِ عُجْمٌ مِنْ بَنِي الفَدَّامِ
ضَرَبُوا بَنِي الأَحْرَارِ يَوْمَ لَقُوهُمُ ... بِالمَشْرِفِيِّ على شُؤُونِ الهَامِ
وَغَدَا ابْنُ مَسْعُودٍ فَأَوْقَعَ وَقْعَةً ... ذَهَبَتْ لَهُمْ فِي مُعْرِقٍ وَشَآمِ

وقال الأعشى: [الطويل]

فِدًى لِبَنِي ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي ... وَرَاكِبُهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ وَقَلَّتِ
هُمُ ضَرَبُوا بِالحِنْوِ حِنْوِ قُرَاقِرِ ... مُقَدِّمَةَ الهَامُرْزِ حَتَّى تَوَلَّتِ(٢)

وَقال بعْضُ شعراءِ ربيعةَ في يوم ذِي قار: [الطويل]

أَلاَ مَنْ لِلَيْلٍ لاَ تَغُورُ كَوَاكِبُهْ ... وَهَمٌّ سَرَى بينَ الجَوانِحِ جَانِبُهْ
أَلاَ هَلْ أَتَاهَا أَنَّ جَيْشاً عَرَمْرَماً ... بِأَسْفَلِ ذِي قَارٍ أُبِيدَتْ كَتَائِبُهْ
فَمَا حَلْقَةُ النُّعْمَانِ يَوْمَ طَلَبْتَهَا ... بِأَقْرَبَ مِنْ نَجْمِ السَّمَاءِ تُرَاقِبُهْ

وقال الأعشى: [المنسرح]

حَلَفْتُ بِالمِلْحِ وَالرَّمَادِ وَبِالعُزَّ ... ى وبِاللَّاتِ تُسْلَمِ الحَلَقَهْ
حَتَّى يَظَلَّ الهُمَامُ مُنْجَدِلاً ... ويَقْرَعَ النَّبْلُ طُرَّةَ الدَّرَقَهْ

(١) لقحت الحرب: هاجت بعد سكون.
(٢) الحِنو: كل شيء فيه اعوجاج. وحِنو قراقر: موضع خلف البصرة ودون الكوفة قريب من ذي قار (معجم البلدان ٢: ٣١٢).

وقال ابنُ قِردِ الخنْزيرُ التَّيْمِيُّ: [الوافر]

أَلاَ أَبْـلِـغْ بَـنِـي ذُهْـلٍ رَسُـولاً ... فَـلا شَـتْـمـاً أَرَدْتُ ولا فَـسَـادَا
هَـزَرْتُ الـحَـامِـلِـينَ لِـكَـيْ يَـعُـودُوا ... إذا يَـوْمٌ مِـنَ الـحَـدَثَـانِ عَـادَا[1]
وَجَـدْتُ الـرِّفْـدَ رِفْـدَ بَـنِـي لُـجَـيْـمٍ ... إذا مَـا قَـلَّـتِ الأَرْفَـادُ زَادَا[2]
هُـمُ ضَـرَبُـوا الـكَـتَـائِبَ يَـوْمَ كِـسْـرَى ... أَمَـامَ الـنَّـاسِ إذْ كَـرِهُـوا الـجِـلاَدا
وَهُـمْ ضَـرَبُـوا الـقِـبَـابَ بِـبَـطْـنِ فَـلْـجٍ ... وَذَادُوا عَـنْ مَـحَـارِمِـنَـا ذِيَـادا[3]

وقال الأعشى في ذلك: [البسيط]

لَـو أَنَّ كُـلَّ مَـعَـدٍّ كَـانَ شَـارَكَـنـا ... فِي يوم ذِي قَارَ ما أَخْطَاهُمُ الشَّرَفُ
لَـمَّـا أَتـوْنـا كَـأَنَّ الـلَّـيْـلَ يَـقْـدُمُـهُـمْ ... مُطبِّق الأرض تَغْشَاها لهم سَدَفُ[4]
بَـطَـارِقٌ وَبَـنُـو مُـلْـكٍ مَـرَازِبَـةٌ ... مِنَ الأَعَـاجِـم في آذانِـهـا الـنُّـطَـفُ[5]
من كُلِّ مَرْجَانةٍ في البَحْرِ أَحْرَزَها ... تَـيَّـارُهـا ووقـاهـا طِـيـنَـهـا الـصَّـدَفُ[6]
وظُعْنُنا خَلْفَنا تَجْرِي مَدَامِعُها ... أَكْـبَـادُهـا وَجَـلاً مِـمَّـا تَـرَى تَـجِـفُ
يَحْسِرْنَ عَنْ أَوْجُهٍ قد عَايَنَتْ عِبَراً ... وَلاَحَـهـا غُـبْـرَةٌ أَلْـوانُـهـا كِـسَـفُ
ما في الخُدودِ صُدُودٌ عَنْ وُجُوهِهِمُ ... ولا عَنِ الطَّعْنِ في اللَّبَّاتِ مُنْحَرَفُ
عَوْداً على بَدْئِهِمْ ما إنْ يُلَبِّثُهُمْ ... كَرُّ الصُّقُورِ بَنَاتِ المَاءِ تَخْتَطِفُ
لَـمَّـا أَمَـالُـوا إلى الـنُّـشَّـابِ أَيْـدِيَـهُـمْ ... مِلْنَا بِبِيضٍ فَظَلَّ الهَامُ يُقْتَطَفُ
وَخَيْلُ بَكْرٍ فما تَنْفَكُّ تَطْحَنُهُمْ ... حَـتَّـى تَـوَلَّـوْا وَكَـادَ الـيَـوْمُ يَـنْـتَـصِـفُ

وقال حُرَيم بن الحارث التَّيميّ: [الطويل]

وإنَّ لُـجَـيْـمـاً أَهْـلُ عِـزٍّ وثَـرْوَةٍ ... وأَهْـلُ أَيَـادٍ لا يُـنَـالُ قَـدِيـمُـهَـا
هُـمُ مَـنَـعُـوا فِـي يَـوْمِ قَـارٍ نِـسَـاءَنَـا ... كَمَا مَنَعَ الشَّوْلَ الهِجَانَ قُرُومُها[7]

---

(١) هزرت: ضربت ضرباً شديداً.
(٢) الرِّفد: العطاء.
(٣) فلج: اسم يطلق على عدّة مواضع ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ٤:٢٧٢) وذادوا: دافعوا.
(٤) السَّدَف: الظلمة.
(٥) المرازبة: جمع المرزبان: الفارس الشجاع، وهي كلمة فارسية. والنُّطَف: جمع النطفة: اللؤلؤة الصافية.
(٦) التَّيار: الموج.
(٧) الشَّوْل: جمع الشائلة وهي من الإبل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجفّ لبنها. والهجان: الأخيار. والقروم: جمع القرم: السيّد.

إذا قِيلَ يَوْماً أَقْدِمُوا يَتَقَدَّمُوا وَهَلْ يَمْنَعُ المخْزاةَ إلاَّ صَمِيمُها

قال: ولم يزلْ قيسُ بن مسعود في سِجْن كسرى بساباطَ، حتى مات فيه.

صوت

[الطويل]

خَلِيلَيَّ ما صبْرِي على الزَّفَرَاتِ وَمَا طَاقَتِي بِالهَمِّ وَالعَبَرَاتِ
تَسَاقَطُ نَفْسِي كُلَّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ على إثْرِ ما قَدْ فَاتَها حَسَرَاتِ

الشعر للقُحَيفِ العُقَيليّ، والغِناء لإبراهيم الموصليّ، رمَل بالوُسْطى، عن عمرو بن بانة، وذكر الهِشاميُّ أن الرَّمَلَ لعَلوية، وأن لحنَ إبراهيم من الثَّقِيلِ الأَوَّلِ بالوُسْطى.

أخبار القُحَيف ونسبه

[توفي نحو ١٣٠ هـ/ ٧٤٧ م]

[اسمه ونسبه وتشبيبه بخرقاء صاحبة ذي الرّمّة]

القُحَيف بن حُميِّر، أحَدُ بني قُشَير بن مالك بن خَفَاجة بن عُقيل بن كعب بن ربيعةَ بن عامِر بن صَعْصَعَة. شاعر مُقِلٌّ من شعراء الإسلام. وكان يشبِّب بخرقاءَ التي كان ذو الرُّمَّة يُشَبِّب بها.

فأخبرني مُحَمَّد بن خَلَف وَكِيع، وعَمِّي، قالا: حَدَّثنا هارون بن محمد بن عبدِ الملِك، عن العَدَويّ، عن أبي الحَسَنِ المدائنيّ، عن الصَّبَاح بن الحجَّاج عن أبِيه، قال: مَرَرْتُ بِخرقاءَ وهي بِفَلْج، فقالت: أقضَيتَ حَجَّك وأتْمَمْتَه؟ فقلتُ: نعم، فقالت: لم تفعل شيئاً، فقلت: ولمَ؟ فقالَتْ: لأنَّك لم تُلْمِم بي ولا سَلَّمْتَ عليّ، أو ما سمِعتَ قولَ ذي الرُّمَّة: [الوافر]

تَمَامُ الحَجِّ أَنْ تَقِفَ المَطَايَا ... على خَرْقَاءَ وَاضِعَةِ اللِّثَامِ

فقال: هيهاتَ يا خرقاءُ، ذَهَب ذاك منْك، فقالت: لا تَقُلْ ذاكَ، أما سمعتَ قولَ القُحَيْفِ عمِّك: [الطويل]

وَخَرْقَاءُ لا تَزْدَادُ إلاَّ مَلاَحَةً ... ولو عُمِّرَتْ تَعْمِيرَ نُوحٍ وجَلَّتِ

أخبرني الحرَمِيُّ بنُ أبي العَلاءِ قال: حدَّثنا الزبير بن بكَّارٍ قال: حدَّثنا عبدُ اللَّه بن إبراهيم الجمحيّ قال: حدَّثني أبو الشِّبلِ المَعدِّيّ قال: نَسَب ذو الرُّمَّةِ بخرقاءَ البَكّائِيَّةِ، وكانت أصبحَ من القَبس، وبقيتْ بقاءً طويلاً، فنَسَب بها القُحَيفُ العُقَيْلِيُّ فقال: [الطويل]

وخَرْقَاءُ لا تَزْدَادُ إلاَّ مَلاحَةً ... ولو عُمِّرَتْ تَعْمِيرَ نُوحٍ وجَلَّتِ

أخبرني حَبِيبُ بن نَصرِ المُهَلّبيّ قال: حدَّثنا عُمرُ بن شَبَّةَ قال: حدَّثني أبو غَسَّان دَماذ قال: كبِرتْ خَرقاءُ حتى جاوزتْ تسعين سَنة، وأَحَبَّتْ أن تُنَفِّقَ ابنتَها وتُخطَبَ، فأرسَلَتْ إلى القُحَيفِ العُقيليّ، وسألَتْهُ أن يُشَبِّب بها، فقال: [الطويل]

لَقد أَرْسَلَتْ خَرْقَاءُ نَحْوِي جَرِيَّها لِتَجْعَلَنِي خَرْقَاءُ مِمَّنْ أَضَلَّتِ(١)
وخَرْقَاءُ لا تَزْدَادُ إلاَّ مَلاحَةً ولو عُمِّرَتْ تَعمِيرَ نُوحٍ وجَلَّتِ

وقال عمرو بنُ أبي عَمْرٍو الشيبانيّ: كان القُحَيف العُقَيْلِيّ يتحدث إلى امرأةٍ من عَبْس، وقد جاورهم وأقام عندهم شهراً وهام بها عِشْقاً، وكان يخبرها أن له نَعَماً ومالاً، وهويته العَبْسِيَّةُ، وكان من أجملِ الرجالِ وأَشَطِّهم(٢)، فلمَّا طال عليها واستحْيا من كَذِبِه إيّاها في مالِه ارتحَلَ عنهُم، وقال: [البسيط]

تَقُولُ لي أُخْتُ عَبْسٍ ما أَرَى إبِلاً وأَنْتَ تَزْعُمُ مَنْ وَالاكَ صِنْدِيدُ(٣)
فَقُلْتُ يَكْفِي مَكَانَ اللَّوْمِ مُطَّرِدٌ فيه القَتِيرُ بِسَمْرِ القَيْنِ مَشْدُودُ(٤)
وشِكَّةٌ صَاغَها وَفْرَاءَ كَامِلَةً وصارمٌ مِنْ سُيُوفِ الهِنْدِ مَقْدُودُ
إنِّي لَيَرْعَى رِجَالٌ لي سَوَامَهُمُ ليَ العَقَائِلُ منها وَالمَقَاحِيدُ(٥)

وقال أبو عمرو: كان الوليدُ بن يزيد بن عبد الملك وَلَّى عليَّ بن المهاجِر بن عبد اللّه الكِلابيّ اليمامةَ، فلمَّا قُتِل الوليدُ بن يزيدَ جاءه المُهَيْرُ بن سَلمى الحَنَفِيّ فقال له: إن الوليد قد قُتِلَ، وإنّ لكَ عَليَّ حقاً، وكان أبوك لي مُكرِماً، وقد قُتِلَ صاحِبُكَ، فاخترْ خَصلةً من ثلاثٍ: إن شِئْتَ أن تُقِيمَ فينا وتكونَ كأحدِنا فافْعَلْ، وإن شئتَ أن تتحوّلَ عَنّا إلى دار عمِّك، فتَنْزِلَها أنتَ ومَن مَعَكَ إلى أن يَرِد أمرُ الخليفة المُوَلَّى فتعملَ بما يأْمُرُ به، فافعل. وإن شئتَ فخُذ من المال المجتمع ما شِئْتَ والْحَق بدارِ قومِكَ. فأَنِفَ عليّ بن المهاجِر من ذلك ولم يقْبَله، وقال للمُهَير: أنت تعزلني يابن اللَّخْناءِ؟ فخرج المُهَير مُغْضباً، والْتَفَّ معه أهلُ اليمامةِ،

---

(١) الجَرِيّ: الرسول.

(٢) أَشَطّهم: أطولهم.

(٣) الصِّنديد: السيّد الشجاع.

(٤) القتير: رؤوس المسامير. والسَّمْر: شدّ الشيء بالمسمار. والقين: الحدّاد.

(٥) العقائل: جمع العقيلة: كرام الإبل. والمقاحيد: جمع المقحاد، الناقة العظيمة القحدة وهي السّنام.

وكان مع عَليٍّ سِتُّمائةِ رجل من أهل الشام ومثلُهم من قومِهِ وزُوَّاره، فدعاهم المُهيرُ وذكر لهم رأيه، فأبَوْا عليه وقاتَلوه، وجاء سهمٌ عائِرٌ[١] فوقَع في كبِدِ صانعٍ من أهل اليمامة، فقال المَهير: احمِلوا عليهم، فحمَلوا عليهم فانهزَمُوا، وقُتِل منهم نَفَرٌ، ودخلوا القصر وأغلقوا البابَ وكان من جُذوعٍ، فدعا المُهير بالسَّعف فأحرقه، ودخل أصحابُه فأخَذُوا ما في القَصْر، وقامَ عبدُ اللَّه بنُ النُّعمان القَيْسيّ في نفرٍ من قومه فحَمَوْا بيتَ المالِ ومنعُوا منه، فلم يَقْدر عليه المُهير، وجمع المُهير جَيْشاً يُريد أن يغزو بهم بني عُقيل وبني كِلابٍ، وسائرَ بطونِ بني عامرٍ، فقال القُحيف بن حُميِّر لمَّا بَلَغَهُ ذلك: [الوافر]

أَمِنْ أَهْلِ الأَرَاكِ عَفَتْ رُبُوعُ نَعَمْ سَقْياً لهم لو تَسْتَطِيعُ
زِيَارَتَهُمْ، ولَكِنْ أَحْضَرَتْنا هُمُومٌ ما يَزَالُ لها مُشِيعُ

غَنَّى في هذين البيتين إبراهيم، فيما ذكره هو في كتابه، ولم يذكر طريقته:

كَأنَّ البَيْنَ جَرَّعَنِي زُعَافاً مِنَ الحَيَّاتِ مَطْعَمُهُ فَظِيعُ[٢]
ومَاءٍ قَدْ وَرَدْتُ على جِبَاهُ حمامٌ حَائِمٌ وقَطاً وُقُوعُ[٣]

وممَّا يُغَنَّى فيه من هذه القصيدة:

صوت

جَعَلْتُ عِمَامتِي صِلَةً لِدَلْوِي إليهِ حِينَ لم تَرِدِ النُّسُوعُ[٤]
لأَسْقِيَ فِتْيَةً ومُنَقَّبَاتٍ أَضَرَّ بِنِقْيِها سَفَرٌ وَجِيعُ[٥]

قال أبو الفرج: غَنَّى في هذين البيتين سُليمٌ، خفيف رملٍ بالوسْطى، ذكر ذلك حَبش:

لقد جَمَعَ المُهَيْرُ لَنَا فَقُلْنا: أَتَحْسَبُنا تُرَوِّعُنا الجُمُوعُ؟
سَتَرْهَبُنا حَنِيفَةُ إنْ رَأَتْنا وفي أَيْمَانِنَا البِيضُ اللّمُوعُ

(١) السهم العائر: الذي لا يُعْرَفُ راميه.
(٢) الزُّعاف: السمّ السريع القتل.
(٣) الجِبى: الماء المجموع في الحوض للإبل.
(٤) النّسوع: جمع نسع: هو سيرٌ عريض تُشَدُّ به الحقائب والرِّحال.
(٥) النِّقْيُ: مخّ العظام.

عُقَيْلٌ تَغْتَزِي وَبَنُو قُشَيْرٍ تَوَارَى عَنْ سَوَاعِدِهَا الدُّرُوعُ
وَجَعْدَةُ وَالحَرِيشُ لُيُوثُ غَابٍ لهم في كُلِّ مَعْرَكَةٍ صَرِيعُ
فَنِعْمَ القَوْمُ في اللَّزَبَاتِ قَوْمِي بَنُو كَعْبٍ إذا جَحَدَ الرَّبِيعُ(١)
كُهُولٌ مَعْقِلُ الطُّرَدَاءِ فِيهِمْ وَفِتْيَانٌ غَطَارِفَةٌ فُرُوعُ
فَمَهْلاً يا مُهَيْرُ فَأنتَ عَبْدٌ لِكَعْبٍ سَامِعٌ لَهُمُ مُطِيعُ

قال: وبعثَ المُهَيْرُ رجُلاً من بني حنيفةَ يقال له المنْدَلِف بن إدريس الحنفيّ، إلى الفَلْج، وهو منزلٌ لبني جَعْدَة، وأمَرهُ أن يأخُذَ صَدَقاتِ بني كَعْبٍ جميعاً، فلمَّا بَلَغَهُمْ خَبرهُ أرسلُوا في أطْرافهم يَسْتَصْرِخُون عليه، فأتاهم أبُو لَطِيفَة بن مَسْلَمة العُقَيليّ في عَالم من عُقيل، فقَتَلُوا المُنْدَلِفَ وصَلَبُوه، فقال القُحَيفُ في ذلك: [الوافر]

أَتَانَا بِالعَقِيقِ صَرِيخُ كَعْبٍ فَحَنَّ النَّبْعُ وَالأَسَلُ النِّهَالُ(٢)
وَحَالَفْنَا السُّيُوفَ ومُضْمَرَاتٍ سَوَاءٌ هُنَّ فِينَا والعِيَالُ
تَعَادَى شُزَّباً مِثْلَ السَّعَالِي وَمِنْ زُبَرِ الحَدِيدِ لها نِعَالُ(٣)

وقال أيضاً، ويروى لنَجْدة الخَفَاجيّ: [الوافر]

لقد مَنَعَ الفَرَائِضَ عَنْ عُقَيْلٍ بِطَعْنٍ تَحْتَ أَلْوِيَةٍ وضَرْبِ
تَرَى مِنْهُ المُصَدِّقَ يَوْمَ وَافَى أَطَلَّ على مَعَاشِرِهِ بِصَلْبِ

قال أبو عمرو في أخباره:

ونَظر بعضُ فُقَهاءِ أهل مكّةَ إلى القُحَيف، وهو يُجِدّ النظر إلى امرأةٍ، فَنَهاهُ عن ذلك، وقال له: أما تَتَّقِي اللّه؟ تنظر هذا النَّظَر إلى غير حُرْمة لك وأنت مُحْرِم؟ فقال القُحَيف: [الطويل]

أَقْسَمْتُ لا أَنْسَى وإنْ شَطَّتِ النَّوَى عَرَانِينَهُنَّ الشُّمَّ والأَعْيُنَ النُّجْلاَ(٤)
ولا المِسْكَ مِنْ أَعْطَافِهِنَّ ولا البُرَى ضَمَمْنَ وقد لَوَّيْنَها قُضُباً خُدْلا(٥)

---

(١) اللَّزَبات: الشدائد.
(٢) العقيق: وادٍ بالحجاز (معجم البلدان ٤ :١٣٨) والصَّريخ: من الأضداد: المغيث والمستغيث. والنَّبع: شجر تُتَّخَذ منه القِسِيّ. والأَسَل النّهال: الرماح المتعطّشة للدماء.
(٣) الشُّزَّب: جمع الشازب: الضامر. والسّعالي: الغيلان. وزُبَرُ الحديد: قِطعه.
(٤) العرانين: جمع العِرنين: الأنف.
(٥) البُرَى: جمع البرة: الخلخال أو السوار. والخُدل: جمع الخدلاء: وهي المرأة الغليظة الساق المستديرتها.

يَقولُ لِيَ المُفْتِي وهُنَّ عَشِيَّةً بِمَكَّةَ يُلْمِحْنَ المُهَدَّبَةَ السُّحْلا[١]
تَقِ اللَّهَ لا تَنْظُرْ إِلَيْهِنَّ يا فَتَى وما خِلْتُنِي في الحَجِّ مُلْتَمِساً وَصْلا
وَإِنَّ صِبَا ابْنِ الأَرْبَعِينَ لَسُبَّةٌ فَكيفَ مع اللَّائِي مَثَلْنَ بِنا مَثْلا[٢]
عَوَاكِفَ بِالبَيْتِ الحَرَامِ ورُبَّما رَأَيْتَ عُيونَ القَوْمِ مِنْ نَحْوِها نُجْلا

صوت

[الهزج]

كَفَفْنَا عَنْ بَنِي ذُهْلٍ وقُلْنَا القَوْمُ إِخْوَانُ
عَسَى الأَيَّامُ أَنْ يَرجِعْـ ـنَ قَوْماً كَالَّذِي كَانُوا
فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ وَأَمْسَى وَهْوَ عُرْيَانُ
ولم يَبْقَ سِوَى العُدْوا نِ دِنَّاهُمْ كَمَا دَانُوا

الشعر للفِند الزِّمَّانيّ، والغِناءُ لعبدِ اللَّه بن دَحْمان، خفيف رمَل بالبِنْصَر، عن بَذْل والهشاميّ وابن المكّي. وتمامُ هذا الشعرِ:

شَدَدْنَا شَدَّةَ اللَّيْثِ غَدَا وَاللَّيْثُ غَضْبَانُ
بِضَرْبٍ فيه تَفْجِيعٌ وتَأْيِيمٌ وإِرْنَانُ
وَطَعْنٍ كَفَمِ الزِّقِّ غَذَا والزِّقُّ مَلآنُ
وفي العُدْوانِ لِلْعُدْوا نِ تَوْهِينٌ وإِقْرَانُ
وَبَعْضُ الحِلْمِ عِنْدَ الجَهْـ ـلِ لِلذِّلَّةِ إِذْعَانُ
وفي الشَّرِّ نَجَاةٌ حِيـ ـنَ لا يُنْجِيكَ إِحْسَانُ

قوله: دِنَّاهم كما دانُوا، أي جَزَيْنَاهُم.

ومثلُه قولُ الآخر:

إِنَّا كَذَاكَ نَدِينُ النَّاسَ بِالدِّين

والتَّأْييمُ: تركُ النساءِ أَيَامَى، والإِرْنان والرَّنَّةُ: البُكاءُ والعَويل.

والإِقران: الطَّاقةُ للشَّيءِ، قال اللَّهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿**وما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ**﴾[٣] أي مُطِيقينَ.

---

(١) المُهَدَّبة: ذات الأهداب. والمهدّبة السُّحْل: الثياب البيضاء الرقيقة.
(٢) مَثَل به: نَكَّلَ به.
(٣) سورة الزخرف، الآية: ١٣.

أخبار الفِنْد الزِّمَّانِي ونسبه

[.. - نحو ٧٠ ق.هـ/ .. - نحو ٥٥٥ م]

[اسمه ونسبه وبلاؤه في حرب بكر وتغلب]

الفِنْدُ لَقبٌ غَلبَ عليه، شبّه بالفِنْد من الجَبَل، وهو القطعةُ العظيمةُ، لِعِظَمِ خَلْقه. واسمه شهْل بن شَيْبَان بن رَبِيعة بن زِمَّان بن مالك بن صَعْب بن عليّ بن بَكْر بن وائِلٍ. وكان أحدَ فُرسانِ رَبيعَةَ المشهُورِينَ المعدُودِينَ، وشهِد حربَ بكْر وتَغْلِبَ وقد قاربَ المائة السنةِ، فأَبْلَى بَلاءً حَسَناً، وكان مَشهدُه في يومِ التّحالُقِ[1] الذي يقولُ فيه طَرَفةُ: [الرمل]

سَائِلُوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنا بِقِوَانَا يَوْمَ تَحْلاقِ اللِّمَمْ
يَوْمَ تُبدِي البِيضُ عَنْ أَسْؤُقِها وتَلُفُّ الخَيْلُ أَعْرَاجَ النَّعَمْ[2]

وقد مضى خبرُه في مقتل كُلَيْب.

فأخبرني محمَّد بن الحسنِ بن دُرَيْدٍ قال: حَدَّثني عمِّي عن العَبّاس بنِ هشام عن أبيه قال: أرسلتْ بنو شَيْبانَ في محارَبَتِهم بني تغلبَ إلى بَنِي حَنيفة يستَنْجِدُونَهُمْ، فوجَّهُوا إليهِم بالفِنْد الزِّمّانيّ في سبعينَ رجلاً، وأرسَلُوا إليهِمْ: إنَّا قد بعَثنا إليكُم أَلْفَ رَجُلٍ.

وقال ابنُ الكَلْبيّ: لمَّا كان يومُ التَّحَالُقِ أقبل الفِنْدُ الزِّمَّانيُّ إلى بَنِي شيْبانَ،

(١) يوم التحالق: هو يوم ثنية قضة وهي الثنية التي وقع فيها جمل عوف بن مالك فسدَّها، ووقع الناس إلى الأرض لا يرون مجازاً فتحالقوا لتعرفهم النساء.

(٢) الأسؤق: جمع السّاق. والأعراج: جمع العَرج: يطلق على القطعة من الإبل نحو ثمانين أو أكثر.

وهو شيخٌ كبيرٌ قد جاوز مائة سنةٍ، ومعه بنتانِ له شَيْطانتانِ من شياطين الإِنسِ، فكشفَتْ إحداهُما عَنْهَا وتجردَتْ، وجعلت تَصيحُ ببني شَيْبان ومَن معهُم من بني بكرٍ: [الرجز]

وَعَـــا وَعَـــا وَعَـــا وَعَـــا

حَـــرَّ الـــجُـــوَادُ والْـــتَـــظَـــى(١)

وَمُـــلِـــئَـــتْ مـــنـــه الـــرُّبَـــى

يـــا حَـــبَّـــذا يـــا حَـــبَّـــذا

الـــمُـــلْـــحِـــقُـــونَ بِـــالـــضُّـــحَـــى

ثم تجرَّدَت الأُخرى وأقبلتْ تقول: [الرجز]

إنْ تُـــقْـــبِـــلُـــوا نُـــعَـــانِـــقْ ونَـــفْـــرِشِ الـــنَّـــمَـــارِقْ(٢)
أو تُـــدْبِـــروا نُـــفَـــارِقْ فِـــرَاقَ غَـــيْـــرِ وَامِـــقْ(٣)

قال: والتَقَى الناسُ يومئذٍ، فأَصْعَد عوفُ بن مالك بن ضُبَيْعة بن قَيس بن ثَعْلَبة، ابنتَه على جمَل له في ثَنِيَّةِ قِضَة، حتى إذا توسَّطَها ضرب عُرقوبي الجَمَل، ثم نادَى: [الرجز]

أَنَـــا الـــبُـــرَكْ أَنَـــا الـــبُـــرَكْ

أَنْـــــزِلُ حَـــــيْـــــثُ أُدْرَكْ

ثم نادى: ومَحْلُوفةٍ لا يَمُرُّ بي رجلٌ من بكر بن وائلٍ إلاّ ضربتُه بسَيفي هذا، أَفِي كلِّ يوم تفِرُّونَ فَيَعْطِف القومُ؟ فقاتَلُوا حتى ظَفِروا فانهزمت تغلِبُ.

قال ابنُ الكَلْبيِّ: ولَحِقَ الفِنْد الزِّمَّانِيُّ رَجُلاً من بني تغلِب يقال له: مالِك بن عَوْف، قد طعَن صبيّاً من صِبيان بكرِ بن وائلٍ، فهو في رأس قناتِه، وهو يقول: يا وَيْسَ أمِّ الفرْخ، فطعَنه الفِنْد وهو وَراءَه ردفٌ له فأنفذهما جميعاً، وجعل يقول:

---

(١) الجُوَاد: جهد العطش أو الهلاك. والتظى: اتّقدَ.
(٢) النمارق: جمع النمرقة: الوسادة الصغيرة.
(٣) الوامق: المُحِبّ.

أَيَا طَغْنَةَ مَا شَيْخٍ كَبِيرٍ يَفَنٍ بَالِي[1]
تَفَتَّيْتُ بِهَا إذ كَـ ـرِهَ الشِّكَّةَ أَمْثَالِي
تُقِيمُ المَأْتَمَ الأَعْلَى عَلَى جُهْدٍ وإِعْوَالِ
كَجَيْبِ الدِّفْنِسِ الوَرْهَا ءِ رِيعَتْ بَعْدَ إِجْفَالِ[2]

ويروى: قد رِيعَتْ بإجفال.

(١) اليَفَن: الفاني.

(٢) الدِّفْنِس: المرأة الحمقاء. والورهاء: الحمقاء أيضاً.

أخبار عبد الله بن دحمان

عبدُ اللَّه بن دَحمان الأشْقر المُغَنّي. وقد تقدّم خبرُ أبيه وأخيه الزُّبير.

وكان عبدُ اللَّه في جَنَبَة إبراهيمَ بن المهديِّ ومتعصِّباً له، وكان أَخوه الزُّبير في جَنَبةِ إسحاقَ الموصليِّ ومتعصِّباً له، فكان كلُّ واحدٍ منهما يرفع من صاحبه ويُشيدُ بذكره، فعلا الزُّبيرُ بتَقديم إسحاقَ لهُ، لتمكُّن إسحاقَ وقَبُول النَّاس منه، ولم يرتفعْ عبدُ اللَّه بذكر إبراهيم له، مَعَ غَضِّ إسْحاقَ منه، وكان الزُّبير على كلِّ حالٍ يتقدَّمُ أخاهُ عبد اللَّهِ.

فأخبرني الحسينُ بن يحيى، عن حَمَّادٍ، عن أبيه، قال: كان أبي كثيراً ما يُقولُ: ما رأيتُ أقلَّ عقلاً ومعْرفةً مِمَّن يقولُ: إنّ دَحمانَ كان فاضلاً! واللَّهِ ما يساوي غِناؤه كله فَلْسَين، وأشبهُ الناسِ به صَوْتاً وصنعَةً وبلادةً وبرداً ابنهُ عبدُ اللَّه، ولكنَّ المحسنَ ـ واللَّهِ ـ المُجمِلَ المؤدِّيَ الضاربَ المطربَ ابنهُ الزُّبيرُ.

وقال يوسفُ بن إبراهيم: كان أبو إسحاقَ يؤثِرُ عبدَ اللَّه بن دَحْمان ويقدِّمهُ، وَإذا صنع صوتاً عرَضهُ على أبي إسحاق فيقوِّمُه له ويُصلحُه، مضادَّةً لأخيه الزُّبير في أمره؛ لميل الزُّبير إلى إسحاق وَتعصُّبِه له، وأوصله إلى الرشيدِ مع المغنينَ، عدة مرَّاتٍ، أخرج له في جمِيعها جائزةً.

صوت

[البسيط]

أَقُـولُ لَـمَّـا أَتَـانِـي ثَـمَّ مَـصْـرَعُـهُ ... لاَ يَبْعَدِ الرُّمْحُ ذو النَّصْلَيْنِ والرَّجُلُ

الـتَّـارِكُ الـقِـرْنَ مُـصْـفَـرّاً أَنَـامِـلُـهُ ... كَـأَنَّـهُ مِـنْ عُـقَـارٍ قَـهْـوَةٍ ثَـمِـلُ

لَـيـسَ بِـعَـلٍّ كَـبِـيـرٍ لا شَـبَـابَ لَـهُ ... لَكِنْ أُثَيْلَةُ صَافِي الوَجْهِ مُقْتَبِلُ

يُـجِـيـبُ بَـعْـدَ الـكَرَى لَبَّيْكَ دَاعِـيَـهُ ... مِـجْـذَامَـةٌ لِـهَـوَاهُ قُـلْـقُـلٌ عَـجِـلُ

قوله: لا يَبْعَد الرُّمْح، يَعني ابنَهُ الذي رَثاه، شبَّههُ بالرُّمْح فِي نفاذِه وحِدَّته. والنَّصلانِ: السِّنانُ والزُّجُّ. والرَّجُلُ: يعني به ابنه أيضاً من الرُّجْلة، يَصِفُه بها، أو أَنَّه عَنى: لا يبعد الرجلُ ورمحُه. والعَلُّ: الكبير السِّن الصَّغيرُ الجسم، ويقال أيضاً للقُرَادِ: عَلٌّ. والمُقْتَبل: المقبِل. وقولُهُ: مِجْذامة لهَواهُ، يعْني أنّه يقطعُ هواهُ ولا يتّبعهُ فيما يغُضُّ منْ قَدْره. وقُلْقل: خَفِيفٌ سَرِيعٌ، والمتقلْقل: الخفيفُ.

الشِّعر للمُتَنخِّل الهُذليِّ، والغناءُ لمَعْبَد، وله فيه لحنان، أحدهُما من القَدْر الأوسطِ من الثَّقيلِ الأوّل، بإطلاقِ الوتر في مَجْرى البِنْصر، عن إسحاقَ، والآخرُ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر، عن عمرو. وذكر الهِشاميُّ أنَّ فيه للغرِيض لحناً من الثّقيل الأوّل، ابتداؤه:

لَيْسَ بِعَلٍّ كَبِيرٍ لا شَبَابَ لَه

والذي بعده، وأن لجميلة فيه خفيفَ ثقيلٍ، وفيه ثاني ثقيل يُنسَبُ إلى ابن سُرَيج، وأظنُّه ليَحيى المكّيِّ. وقال حبَشٌ: فيه لعبدِ اللّه بن العبَّاس ثقيل أوّل بالبِنْصر.

أخبار المتنخِّل ونسبه

[اسمه ونسبه وخبر مقتل ابنه أثيلة]

المُتَنَخِّلُ لَقَبٌ، واسمُه مالكُ بنُ عُوَيْمر بن عثمانَ بن سُوَيدِ بن حُبَيْش بن خُناعةَ بن الدِّيلِ بن عادِيةَ بن صَعْصَعة بن كعْب بن طابِخة بنِ لِحْيان بن هُذَيل بن مُدْرِكةَ بن إلياس بن مُضَرَ بن نِزار. هذه روايةُ ابنِ الكلبيِّ وأبي عمرٍو.

وَرَوى السُّكَّرِيُّ عن الرِّياشيِّ عن الأصْمَعي، وعن ابن حَبيب، عن أبي عُبَيْدةَ وابن الأعرابيِّ، أنَّ اسمَه مالكُ بنُ عُوَيْمر بن عثمانَ بن حُبيشِ بنِ عادِيةَ بن صَعْصَعةَ بن كعب بن طابخةَ بن لحيان بنِ هُذَيلٍ، ويكنَّى أبا أُثَيْلَة.

من شُعراءِ هُذيلٍ وفُحُولهم وفُصَحائِهم. وهذه القصيدةُ يَرْثِي بها ابنَه أُثيلةَ، قتلَتْه بنو سعد بن فَهْم بن عَمْرو بن قيس بن عَيْلاَنَ بن مُضَر.

وكان من خَبَرِ مقتلِهِ فيما ذكر أبو عمرٍو الشيبانيُّ، أنَّه خَرج في نفرٍ من قومِه يُرِيد الغارةَ على فَهْم، فسلكوا النّجديّة، حتى إذا بَلغُوا السَّراةَ[1] أتَاهُ رجلٌ فقال: أين تريدونَ؟ قالوا: نُريد فهماً، فقال: ألا أدُلّكم على خيرٍ من ذلكم، وعلى قومٍ دارُهم خيرٌ من دار فَهْم؟ هذه دارُ بني حَوْفٍ عندكم، فانصَبُّوا عليهم على الكَداءِ حتى تُبَيِّتُوا بني حَوْفٍ. فقَبِلُوا منه وانحرفُوا عن طريقهم، وسَلكُوا في شِعبٍ في ظهر الطَّريق حتى نفَذُوه، ثم سَلكوا عَلَى السَّمُرَةِ، فمرُّوا بدار بني قُرَيم بِالسَّرْو[2]، وقد لَصِقَتْ سُيُوفُهم بأغمادِهم من الدَّم، فوجَدُوا إياسَ بن المُقْعَد في الدَّار، وكان سيداً، فقال: مِن أَيْنَ أقبلتُم؟ فقَالواْ: أتينا بني حَوْفٍ، فدعا لهُمْ بطعامٍ وشَرابٍ،

(١) السَّراة: هو الجبل المشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء وأوله سراة ثقيف ثم سراة فهم وعدوان ثم الأزد ثم الحرّة (معجم البلدان ٣:٢٠٤).

(٢) السَّرْو: اسم يطلق على عدة مواضع ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ٣:٢١٧).

حتى إذا أكلوا وشَرِبُوا دَلَّهُمْ عَلَى الطريق وَرَكبَ معهم، حتى أخذوا سَنَنَ قصْدِهم، فأَتَوْا بني حَوْف، وإذا هُم قد اجتمعُوا مع بَطْنٍ من فَهْم للرَّحيل عن دارهم، فلقِيهم أولٌ من الرِّجال على الخيل فعرفوهُم، فحملوا عَليهمْ وأطردُوهم ورمَوْهم، فأثبَتُوا أُثيلةَ جَريحاً وَمَضَوْا لِطيّتهمْ(١). وعاد إليه أصحابُه فأدركوه ولا تحامُلَ به، فأقامُوا عليه حتى مات، ودفَنُوه في موضعه.

فلمّا رجعُوا سَأَلهمْ عنه المتنَخِّل، فدامَجُوهُ(٢) وستَرُوه. ثم أخبره بعضُهم بخَبره، فقال يرْثِيه: [البسيط]

ما بَالُ عَيْنِكَ تَبْكِي دَمْعُها خَضِلُ ... كَمَا وَهَى سَرِبُ الأَخْرَابِ مُنْبَزِلُ(٣)

لا تَـفْـتَـأُ الـدَّهْـرَ مِـن سَـحٍّ بِـأَرْبَـعَـةٍ ... كَـأَنَّ إِنْسَانَـهـا بِـالـصَّـابِ مُـكْـتَـحِـلُ(٤)

تَـبْـكِـي عـلـى رَجُـلٍ لـم تَـبْـلَ جِـدَّتُـهُ ... خَـلَّـى عـلـيـهـا فِـجَـاجـاً بـيـنـهـا خـلَـلُ

وقد عَجِبْتُ وهل بِالدَّهْرِ مِنْ عَجَبٍ ... أَنَّـى قُـتِـلْـتَ وأَنْـتَ الـحَـازِمُ الـبَـطَـلُ؟

وَيْـلُ امِّـهِ رَجُـلاً تَـأْبَـى بـه غَـبَـنـاً ... إذا تَـجَـرَّدَ لا خَـالٌ ولا بَـخَـلُ

ـ خالٌ: من الخُيلاء. وَيروى: خَذِل ـ.

الـسَّـالِـكُ الـثُّـغـرةَ الـيَـقْـظَـانَ كَـالِـئُـهَـا ... مَشْيَ الهَلُوكِ عَلَيْهَا الخيْعَلُ الفُضُلُ(٥)

وَالـتَّـارِكُ الـقِـرْنَ مُـصْـفَـرّاً أَنَـامِـلُـهُ ... كَـأَنَّـه مِـنْ عُـقَـارٍ قَـهْـوَةٍ ثَـمِـلُ(٦)

مُـجَـدَّلاً يَـتَـسَـقَّـى جِـلْـدُهُ دَمَـهُ ... كما يُقَطَّرُ جِذْعُ الدَّوْمَةِ القُطُلُ(٧)

لـيـس بِـعَـلٍّ كَـبِـيـرٍ لا شَـبَـابَ بـهِ ... لَكِنْ أُثَيْلَةُ صَافِي الوَجْهِ مُقتَبلُ

يُـجِـيـبُ بَـعْـدَ الـكَـرَى لَـبَّـيْـكَ دَاعِـيَـهُ ... مِـجْـذَامَـةٌ لِـهَـوَاهُ قُـلْـقُـلٌ عَـجِـلُ

حُـلْـوٌ ومُـرٌّ كَـعَـطْـفِ الـقِـدْحِ مِـرَّتُـهُ ... فـي كُـلِّ آنٍ أَتَـاهُ الـلَّـيْـلُ يَـنْـتَـعِـلُ(٨)

فَـاذْهَـبْ فَـأَيُّ فَـتًـى فـي الـنَّـاسِ أَحْـرَزَهُ ... مِـنْ حَـتْـفِـهِ ظُـلَـمٌ دُعْـجٌ ولا جَـبَـلُ

---

(١) مضى لِطِيّتِهِ: أي لِنيَّتِهِ التي انتواها.

(٢) دامجوه: جاملوه وكتموا عنه ما يضايقه.

(٣) السَّرب: الذي يكون فيه ضعف وبلًى فيتسَرّب الماء منه. والأخراب: جمع الخربة: العروة.

(٤) إنسانها: يريد إنسان العين. والصّاب: شجر مرّ.

(٥) الهَلوك: التي تتمايل. والخيعَل: ثوب يُخاط أحد شقَّيه ويترَك الآخَر.

(٦) العقار والقهوة: من أسماء الخمر.

(٧) الدّومة: جنس من الشجر من فصيلة النخليات. والقُطُل: المقطوعة.

(٨) المِرَّة: الفَتْل. وينتعل: يسري في كلّ ساعة من الليل من هدايته.

فلو قُتِلْتَ ورِجْلِي غيرُ كَارِهَةِ الـ … إدْلاجِ فيها قَبِيضُ الشَّدِّ والنَّسَلُ(١)
إِذَنْ لأَعْمَلْتُ نَفْسِي في غَزَاتِهِمُ … أو لاَبْتَعَثْتُ بِهِ نَوْحاً لَهُ زَجَلُ
أَقُولُ لَمَّا أَتَانِي النَّاعِيَانِ بِهِ … لا يَبْعَدِ الرُّمْحُ ذو النَّصْلَيْنِ والرَّجُلُ
رُمْحٌ لنا كَانَ لم يُفْلَلْ نَنُوءُ بِهِ … تُوفَى بِهِ الحَرْبُ والعَزَّاءُ والجُلَلُ(٢)
رَيَّاءُ شَمَّاءُ لا يَدْنُو لِقُلَّتِها … إلاَّ السَّحَابُ وإلاَّ النُّوبُ والسَّبَلُ(٣)

وقال أبو عمرو الشَّيبانيُّ: كان عمرُو بن عثمان، أبو المتنخّل يُكنَّى أبا مالكٍ، فهلك، فرثاهُ المتنخِّل فقال: [المتقارب]

أَلاَ مَنْ يُنَادِي أَبَا مَالِكٍ … أَفِي أَمْرِنَا أَمْرُهُ أَمْ سِوَاهْ
فَوَاللَّهِ مَا إِنْ أَبُو مَالِكٍ … بِوَانٍ ولا بِضَعِيفٍ قُوَاهْ
ولا بِأَلَدَّ لَهُ نَازِعٌ … يُعَادِي أَخَاهُ إذا ما نَهَاهْ(٤)
وَلَكِنَّهُ هَيِّنٌ لَيِّنٌ … كَعَالِيَةِ الرُّمْحِ عَرْدٌ نَسَاهْ(٥)
إذا سُدْتَهُ سُدْتَ مِطْوَاعَةً … وَمَهْمَا وَكَلْتَ إِلَيْهِ كَفَاهْ
أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقْرَهُ … عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غِنَاهْ

[تَمثُّل محمد بن علي عليه السلام بشعره]

حدّثني أبو عُبَيْد الصَّيرفيُّ قال: حدّثنا الفضلُ بن الحسن البصريُّ قال: حدّثنا أحمد بن راشِدٍ قال: حدّثني عَمِّي سعيد بن خَيْثم قال: كان أبو جعفرٍ محمدُ بن عليٍّ عليه السلام إذا نظر إلى أخيهِ زيدٍ تمثَّلَ: [المتقارب]

لَعَمْرُكَ مَا إِنْ أَبُو مَالِكٍ … بِوَاهٍ ولا بِضَعِيفٍ قُوَاهْ
ولا بِأَلَدَّ لَهُ نَازِعٌ … يُعَادِي أَخَاهُ إذا مَا نَهَاهْ
ولَكِنَّهُ هَيِّنٌ لَيِّنٌ … كَعَالِيَةِ الرُّمْحِ عَردٌ نَسَاهْ
إذا سُدْتَهُ سُدْتَ مِطْوَاعَةً … وَمَهْمَا وَكَلْتَ إليهِ كَفَاهْ
أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقْرَهُ … على نَفْسِهِ ومُشِيعٌ غِنَاهْ

---

(١) النَّسَل: ضرب من المشي.
(٢) تُوفَى: تُعلى. والعزّاء: الشدّة.
(٣) القُلّة: أعلى كلّ شيء. والنوب: النحل. والسَّبل: المطر.
(٤) الألدّ: الشديد الخصومة. النازع: البعيد عن الطبع السيّء.
(٥) العرد: الشديد. النّسا: الساق.

ثم يقول: «لقد أنجبتْ أمٌّ وَلَدتْك يا زيدُ، اللَّهُمْ اشدُدْ أزْرِي بِزَيْدٍ».

أخبرني محمدُ بن العباسِ اليزيديّ قال: حدَّثنا الرِّياشيُّ، عن الأصْمعيِّ قال: أجودُ طائيّةٍ قالتْها العربُ قصيدةُ المُتَنَخِّل: [الوافر]

عَـرَفْـتُ بِـأَجْـدُثٍ فَـنِـعَـافِ عِـرْقٍ ... عَـلامَـاتٍ كَـتَـحْـبِـيـرِ الـنِّـمَـاطِ[1]

كَـأنَّ مَـزَاحِـفَ الـحَـيَّـاتِ فِـيـهَـا ... قُـبَـيْـلَ الـصُّـبْـحِ آثَـارُ الـسِّـيَـاطِ

في هذين البيتين غِناء.

صوت

[الطويل]

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وبَيْنَها ... فَلَمَّا انْقَضَى ما بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ

فيا هَجْرَ لَيْلَى قد بَلَغْتَ بِيَ المدَى ... وزِدْتَ على مَا لَمْ يَكُنْ بَلَغَ الهَجْرُ

ويَا حُبَّها زِدْني جَوًى كُلَّ لَيْلَةٍ ... ويا سَلْوَةَ الأيَّامِ مَوْعِدُكِ الحَشْرُ

أَمَا وَالَّذِي أَبْكَى وأَضْحَكَ وَالَّذِي ... أَمَاتَ وأَحْيَا وَالَّذِي أَمْرُهُ الأَمْرُ

لَقَدْ تَرَكَتْنِي أَحْسُدُ الوَحْشَ أَنْ أَرَى ... أَلِيفَيْنِ مِنْها لا يَرُوعُهُما الزَّجْرُ

الشِّعْر لأبي صخرٍ الهُذَلِيِّ، والغناء لمَعبَد في الأوّل والثاني من الأبيات، ثاني ثقيل بالوُسطى عن عمرو، ولابن سُرَيج في الرابع والخامس ثقيلٌ أولُ ولعريبَ فيهما أيضاً ثقيلٌ أولُ آخرُ، وهو الذي فيه استهلالٌ، وللواثق فيهما رَمَلٌ، ولابن سُريج أيضاً ثاني ثقيل في الثالثِ وما بعدَه، عن أحمدَ بن المكيِّ، وذكَر ابن المكيِّ أن الثَّقيلَ الثاني بالوسطى لجده يحيى المكيِّ.

(١) أجدث: موضع ذكره ياقوت في (معجم البلدان ١: ١٠١). ونعاف: جمع نعف: ما ارتفع من الأرض. وعرق: موضع ذكره ياقوت في (معجم البلدان ٥: ٢٩٢) والتحبير: التنقيش.

أخبار أبي صَخْر الهُذَلِيّ ونسبه

[توفي نحو ٨٠ هـ/ نحو ٧٠٠ م]

[اسمه ونسبه وموالاته لبني مروان ومدائحه فيهم]

هو عبد اللّه بن سَلْم السَّهميّ، أحد بني مُرمِضٍ. وهذا أكثرُ ما وجدتُه من نسبهِ في نسخةِ السُّكريِّ، وهي أتَمُّ النسخِ مِمّا يأثُره عن الرياشيِّ عن الأصمعيِّ، وعن الأثرمِ عن أبي عبيدةَ، وعن ابن حبيب، عن ابن الأعرابيّ.

هو شاعرٌ إسلاميٌّ من شعراءِ الدّولةِ الأموية، وكان مُوالياً لبني مرْوانَ، متعصّباً لهم، وله في عبدِ الملك بن مروان مدائحُ، وفي أخيه عبد العزيز، وعبد العزيز بن عبد اللّه بن خالد بن أُسَيدٍ. وَحبَسَه ابنُ الزُّبَيرِ إلى أن قُتِلَ.

فأخبرني يحيى بن أحمد بن الجوْن، مولى بني أُميَّة ـ لقيته بالرَّقَّة ـ قال: حدثني الفيضُ بن عبدِ الملِك قال: حدَّثني مولاَي عن أبيهِ، عن مَسلَمة بن الوليدِ القرشيِّ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: لما ظَهر عبدُ اللّه بن الزُّبير بالحجاز وغَلب عليها، بعد موت يزيدَ بن مُعاويةَ، وتشاغل بنو أميَّة بالحرب بينهم في مرْج راهِط وغيره، دخل عليه أبو صَخْرٍ الهذليُّ، في هُذيلٍ وقد جاءوا ليقْبِضُوا عطاءهم، وكان عارفاً بهواهُ في بني أُمَيَّة، فمنعه عَطاءَه، فقال: عَلامَ تمنعني حقّاً لي وأنا امرُؤٌ مُسلمٌ، ما أحدثتُ في الإسلام حدَثاً، ولاَ أَخرجتُ من طاعةٍ يداً؟ قال: عَليكَ بني أميّة فاطلبْ عندهم عَطاءك. قال: إذن أجدهم سِبَاطاً أكُفُّهم[1]، سَمحةً أنفسهُم، بُذَلاءَ لأموالهم وَهّابين لمجتَدِيهم، كريمةً أعراقُهمْ، شرِيفةً

(١) سباط الأكفّ: أكفُّهم ممدودة مفتوحة، يريد أنهم كرماء.

أُصُولهم، زاكيةً فرُوعُهم، قريباً من رسولِ اللَّهِ ﷺ نسبهُم وَسَببهم، ليسوا إذا نُسِبُوا بأذْنَابِ وَلا وشائظَ[١] ولا أتباعِ، ولا هم في قُرَيشٍ كَفِقعةِ[٢] القاع، لهُم السُّؤدُدُ في الجاهِلية، والمُلكُ في الإسلامِ، لا كمن لا يُعَدُّ في عِيرها ولا نفيرها[٣]، وَلا حُكِّم آباؤه في نقيرها ولا قِطميرِها[٤]، ليسَ من أَحْلافها المُطَيَّبين[٥]، ولا مِنْ ساداتها المطعمين، ولا من جُوَدائها الوهَّابين، ولا من هاشمها المنتخَبين، ولا عبد شمسها المسوَّدين، وكيف تُقابلُ الرُّؤوسُ بالأذنابِ؟ وأين النَّصْلُ من الجفن؟ وَالسِّنانُ من الزُّجِّ[٦]؟ والذُّنابَى من القُدامَى؟ وكيف يُفَضَّلُ الشَّحِيحُ على الجَوادِ، والسُّوقةُ على الملكِ، والمُجِيعُ بُخلاً على المطعم فضلاً؟ فغضِبَ ابنُ الزُّبير حتى ارتعدتْ فرائِصُه، وَعَرِقَ جبينُه، واهتزَّ من قَرنِهِ إلى قدمِهِ وامتُقِع لوْنُه، ثم قال له: يابن البوّالة على عقبيها، يا جِلفُ، يا جاهلُ، أما واللّه لولا الحُرماتُ الثَّلاثُ: حُرمةُ الإسلام، وحُرْمة الحَرَمِ، وَحُرمةُ الشهر الحرام، لأخذتُ الذي فيه عَيناكَ! ثمَّ أمرَ به إلى سجن عارمٍ، فَحُبِسَ به مُدَّةً، ثم استوْهبتَه هُذيلُ وَمنْ لهُ بين قريشٍ خُؤولةٌ في هُذيل، فأطلقه بَعدَ سَنةٍ، وأقسم ألاَّ يُعطيَه عطاءً مع المسلمينَ أبداً.

[تقريب عبد الملك له]

فلمَّا كان عام الجماعةِ ووُلِّي عبدُ الملك وَحجَّ، لقيهُ أبو صخر، فلمَّا رآه عبدُ الملك قرَّبه وأدناه، وقال له: إنه لم يخْفَ عليَّ خبرُك مع الملحدِ ولا ضاع لكَ عندي هَواك وموالاتُك؛ فقال: أما إذ شفى اللّهُ منه نفسي، ورأيتُه قتيل سيفك؛ وصريعَ أوْليائك، مَصلوباً مهتوك السِّتر، مفرَّق الجمع، فما أُبالي ما فاتني من الدُّنيا. ثم استأذنه أبو صخر في الإنشاد، فأَذِن له، فمثل بين يديه قائماً، وأنشأ

(١) الوشائظ: الدخلاء في القوم.

(٢) الفَقْع: نوع من الكمأة التي تنبت في أرض منخفضة. والمثل يقول: هو أذلّ من فقع بِقَاع، ويُضرب للذليل.

(٣) لا في العِير ولا في النفير: نفير قريش: الذين كانوا نفروا إلى بدر ليمنعوا عِيرَ أبي سفيان، ومنه المثل، وهو لقريش من بين العرب، ويُضرَب لمن لا يُسْتَصْلَح لمُهِمّ. (اللسان نفر).

(٤) النقير: النقرة في ظهر النواة. والقطمير: القشرة الرقيقة على النواة، ويطلق كلاهما على الشيء الحقير.

(٥) الأحلاف المطيّبون: هم بنو هاشم وبنو زهرة وتيم، وقد اجتمعوا في دار ابن جدعان في الجاهلية وغمسوا أيديهم في الطِّيب وتحالفوا على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم فسمّوا المطيبين.

(٦) الزّجّ: نصل السهم.

يقول: [الطويل]

عَفَتْ ذَاتُ عِرْقٍ عُصْلُها فَرِئَامُهَا ... فَدَهْنَاؤُهَا وَحْشٌ وأجلى سَوَامُها[١]
عَلى أنَّ مَرْسَى خَيْمَةٍ خَفَّ أَهْلُها ... بِأَبْطَحِ مِحْلاَلٍ وَهَيْهَاتَ عَامُها[٢]
إذا اعْتَلَجَتْ فيها الرِّيَاحُ فَأَدْرَجَتْ ... عَشِيّاً جَرَى في جَانِبَيْها قَمَامُها
وَإِنَّ مَعَاجِي في الدِّيَارِ وَمَوْقِفِي ... بِدَارِسَةِ الرَّبْعَيْنِ بَالٍ ثُمَامُها
لَجَهْلٌ وَلَكِنِّي أُسَلِّي ضَمَانَةً ... يُضَعِّفُ أَسْرَارَ الفُؤادِ سَقَامُها[٣]
فَأَقْصِرْ فلا مَا قَدْ مَضَى لَكَ رَاجِعٌ ... وَلاَ لَذَّةُ الدُّنْيَا يَدُومُ دَوَامُها
وَفَدُّ أَمِيرِ المُؤمنينَ الَّذِي رَمَى ... بِجَأْوَاءَ جُمهورٍ تَسِيلُ إِكَامُها
مِنَ ارْضِ قُرَى الزَّيتونِ مَكَّة بعدَما ... غُلِبْنا عَليها واسْتُحِلَّ حَرَامُها

يقول: رَمى مكّةَ بالرجال من أهل الشام، وهي أرضُ الزَّيتون.

وإذ عَاثَ فيها النَّاكِثُونَ وأَفْسَدُوا ... فَخِيفَتْ أَقَاصِيها وطَارَ حَمَامُها
فَشَجَّ بهم عَرْضَ الفَلاَةِ تَعَسُّفاً ... إذا الأَرْضُ أَخْفَى مُسْتَواها سَوامُها
فَصَبَّحَهُمْ بِالخَيْلِ تَزْحَفُ بِالقَنَا ... وَبَيْضَاءَ مِثْلِ الشَّمْسِ يَبْرُق لاَمُها[٤]
لهمْ عَسْكَرٌ ضَافِي الصُّفُوفِ عَرَمْرَمٌ ... وجُمْهُورَةٌ يَثْنِي العَدُوَّ انْتِقَامُها
فَطَهَّرَ مِنْهُمْ بطنَ مَكَّةَ مَاجِدٌ ... أَبَى الضَّيْمَ والميلاءَ حِينَ يُسَامُها
فَدَعْ ذا وَبَشِّرْ شَاعِرَيْ أُمِّ مَالِكٍ ... بِأَبْيَاتِ ما خِزْيٍ طَوِيلٍ عُرَامُها[٥]

شاعرَيْ أُمِّ مالكٍ: رجلان من كنانة كانا مع ابن الزُّبير، يمدحانه ويحرِّضانه على أبي صخر، لعدَاوةٍ كانَتْ بيْنهما وبينه.

فَإِنْ تَبْدُ تُجْدَعْ مَنْخِرَاكَ بِمُدْيَةٍ ... مُشَرْشَرَةٍ حَرَّى حَدِيدٍ حُسَامُها[٦]
وَإِنْ تَخْفَ عَنَّا أو تَخَفْ مِنْ أَذَاتِنَا ... تَنُوشُكَ نَابَا حَيَّةٍ وسِمَامُها
فلولا قُرَيْشٌ لاسْتُرِقَّتْ عَجُوزُكُمْ ... وطَالَ على قُطْبَيْ رَحَاهَا احْتِزَامها

---

(١) ذات عِرق: اسم لعدة مواضع منها أنه جبل بطريق مكة (معجم البلدان ٤: ١٠٧). وعُصل: اسم موضع. ورئام: موضع، والدهناء: من ديار بني تميم (معجم البلدان ٢: ٤٩٣).
(٢) الأبطح: مسيل الوادي.
(٣) الضمانة: المرض الملازم.
(٤) لامها: لأمها بتخفيف الهمزة، واللأمة: الدرع.
(٥) العُرَام: الشدة والقوة.
(٦) المشرشَرة: المقطعة.

قال: فأمَر له عبدُ الملك بما فاتهُ من العطاء، ومثلِه صِلةً من مالهِ، وكَساهُ وحَمَلَه.

[رثاؤه لعبد العزيز بن عبد الله وهو حيّ]

ونَسَخْتُ منْ كتاب أبي سَعيدٍ السُّكَّريِّ، عن مُحمدِ بن حبيبٍ، عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة قالا: كان أبو صخر الهذليُّ مُنقطعاً إلى أبي خالدٍ عبدِ العزيز بن عبد اللَّه بن خالد بن أَسِيد، مدَّاحاً له، فقال له يوماً: ارْثِني يا أبا صخر، وأنا حيٌّ، حتى أسمعَ كيْفَ تقُول، وأين مَراثيكَ لِي بعدِي منْ مديحكَ إيَّايَ في حياتي؟ فقال: أُعِيذُكَ بِاللَّهِ أيُّها الأميرُ من ذلك، بل يُبقيكَ اللَّهُ ويقدِّمني قبلك، فقال: ما مِنْ ذلك بُدٌّ. قال: فرثاهُ بقصيدته التي يقولُ فيها: [الطويل]

أَبَا خَالِدٍ نَفْسِي وَقَتْ نَفْسكَ الرَّدَى ... وَكَانَ بِهَا مِنْ قَبْلِ عَثْرَتِكَ العَثْرُ
لِتَبْكِكَ يَا عَبْدَ العَزِيزِ قَلائِصٌ ... أَضَرَّ بها نَصُّ الهَوَاجِرِ والزَّجْرُ[1]
سَمَوْنَ بِنَا يَجْتَبْنَ كُلَّ تَنُوفَةٍ ... تَضِلُّ بها عنْ بَيْضِهِنَّ القَطَا الكُدْرُ[2]
فما قَدِمَتْ حَتَّى تَوَاتَرَ سَيْرُها ... وحَتَّى أُنِيخَتْ وَهْيَ ظَالِعَةٌ دُبْرُ[3]
ففَرَّجَ عنْ رُكْبَانِها الهَمَّ والطَّوَى ... كَرِيمُ المُحَيَّا مَاجِدٌ وَاجِدٌ صَقْرُ[4]
أَخُو شَتَواتٍ تَقْتُلُ الجُوعَ دَارُهُ ... لِمَنْ جَاءَ لا ضَيْقُ الفِنَاءِ ولا وَعْرُ
ولا تَهْنِيءِ الفِتْيَانَ بَعْدَكَ لَذَّةٌ ... ولا بَلَّ هَامَ الشَّامِتِينَ بِكَ القَطْرُ
وإنْ تُمْسِ رمساً بالرُّصَافَةِ ثَاوِياً ... فما مَاتَ يَابْنَ العِيصِ نَائِلُكَ الغَمْرُ
وذِي وَرَقٍ مِنْ فَضْلِ مَالِكَ مَالُهُ ... وذي حَاجَةٍ قد رِشْتَ ليس له وَفْرُ
فَأَمْسَى مُرِيحاً بعدَ ما قَدْ يَؤُوبُهُ ... وكَلَّ به المَوْلَى وضَاقَ به الأَمْرُ

قال: فأضْعَفَ لهُ عبدُ العزيز جَائِزَتَه ووصَلَه، وأمر أولاده فرَووا القصيدة.

[رثاؤه لابنه داود]

وقال أبو عَمرٍو الشيبانيُّ: كان لأبي صَخرٍ ابنٌ يقالُ له داودُ لم يكن له ولدٌ

(١) النّصّ: استحثاث الناقة على السير بشدّة.
(٢) التنوفة: المفازة، الفلاة الواسعة لا ماء فيها ولا نبات.
(٣) الظالعة: التي تعرج.
(٤) الطّوى: الجوع.

غيرُه، فماتَ، فجزِعَ عليه جزعاً شديداً حتى خُولِطَ فقال يرثيه: [الطويل]

لَقد هَاجَنِي طَيْفٌ لِدَاوُدَ بَعْدَما دَنَتْ فاسْتَقَلَّتْ تَالِيَاتُ الكَوَاكِبِ
وما في ذُهُولِ النَّفْسِ عَنْ غَيْرِ سَلْوَةٍ رَوَاحٌ مِنَ السُّقْمِ الَّذِي هو غَالِبي
وَعِنْدَكَ لو يَحْيَا صَدَاكَ فَنَلْتَقي شِفَاءٌ لِمَنْ غَادَرْتَ يَوْمَ التَّنَاضِبِ
فهلْ لكَ طِبٌّ نَافِعي مِنْ عَلاقَةٍ تُهَيِّمُني بَيْنَ الحَشَا والتَّرَائِبِ(١)
تَشَكَّيْتُها إذْ صَدَّعَ الدَّهْرُ شَعْبَنا فَأَمْسَتْ وَأَعْيَتْ بالرُّقَى والطَّبَائِبِ(٢)
ولولا يَقِينِي أَنَّما المَوْتُ عَزْمَةٌ مِنَ اللَّهِ حَتَّى يُبْعَثُوا لِلمَحَاسِبِ
لَقُلْتُ له فِيمَا أُلِمُّ بِرمْسِهِ هَلَ انْتَ غداً غَادٍ مَعِي فَمُصَاحِبي
ومَاذَا تَرَى في غَائِبٍ لا يُغِبُّنِي فَلَسْتُ بِنَاسِيهِ ولَيْسَ بِآئِبِ
سَأَلْتُ مَلِيكِي إذ بَلاَنِي بِفَقْدِهِ وَفَاةً بِأَيْدِي الرُّومِ بَيْنَ المَقَانِبِ
ثَنَوْنِي وقد قَدَّمْتُ ثَأْرِي بِطَعْنَةٍ تَجِيشُ بِمَوَّارٍ مِنَ الجَوْفِ ثَاعِبِ(٣)
فقد خِفْتُ أَنْ أَلْقَى المَنَايا وإنَّني لَتَابِعُ مَنْ وَافَى حِمَامَ الجَوَالِبِ
وَلَمَّا أُطَاعِنْ فِي العَدُوِّ تَنَفُّلاً إلى اللَّهِ أَبْغِي فَضْلَهُ وأُضَارِبِ
وَأَعْطِفْ وَرَاءَ المُسْلِمِينَ بِطَعْنَةٍ عَلى دُبُرٍ مُجْلٍ مِنَ العَيْشِ ذَاهِبِ

وقال أبو عمرٍو: بلغ أبا صخر أنَّ رجُلاً من قومه عابَهُ وقدح فيه، فقال أبو صخرٍ في ذلك: [الكامل]

وَلَقَدْ أَتَانِي نَاصِحٌ عَنْ كَاشِحٍ بِعَدَاوةٍ ظَهَرَتْ وقُبْحِ أَقَاوِلِ(٤)
أَفَحِينَ أَحْكَمَنِي المَشِيبُ فلا فَتًى غَمْرٌ ولا قَحْمٌ وأَعْصَلَ بَازِلِي(٥)
ولَبِسْتُ أَطْوَارَ المَعِيشَةِ كُلَّها بِمُؤَبَّدَاتٍ لِلرِّجَالِ دَوَاغِلِ(٦)
أَصْبَحْتَ تَنْقُصُنِي وتَقْرَعُ مَرْوَتي بَطِراً ولم يَرْعَبْ شِعَابَكَ وَابِلي(٧)

---

(١) الترائب: جمع التربية: أعلى الصدر أو هي عظام الصدر.
(٢) الشَّعْب: القبيلة العظيمة.
(٣) ثنوني: ردّوني بطعنة. وقدّمتُ ثأري: قتلتُ واحداً قبل أن أُقتل. والموَّار: الكثير المَوْر، والمور: الموج أو الاضطراب. وثاعب: جاري.
(٤) الكاشح: العدو المُبغِض.
(٥) الغَمْر: الجاهل الذي لم يجرِّب الأمور. وأعصل بازلي: اشتدّ نابي.
(٦) مؤبّدات: وحشيّات، يريد الشِّعْر.
(٧) المروة: الحجارة الصلبة البيضاء التي تقدح منها النار. ويَرعَبُ: يملأ. والشعاب: الطرق في الجبال. والوابل: المطر الشديد.

وَتَنَلْكَ أَظْفَارِي وَيَبْرِكَ مِسْحَلِي بَرْيَ الشَّسِيبِ مِنَ السَّرَاءِ الذَّابِلِ(١)
فَتَكُونَ لِلبَاقِينَ بَعْدَكَ عِبْرَةً وَأَطَأُ جَبِينَكَ وَطْأَةَ الْمُتَثَاقِلِ

[شعره في أمّ حكيم]

وقال أبو عمرو: وكان أبو صخرٍ الهذليُّ يهوى امرأةً من قُضاعة، مجاورةً فيهم، يقال لها ليلى بنتُ سَعْد، وتكنَّى أمَّ حَكيم، وكانَا يَتواصَلانِ بُرهةً من دَهْرِهما، ثم تزوجَتْ ورحَل بها زوجُها إلى قومِهِ، فقال في ذَلِكَ أبو صخرٍ:

[الطويل]

أَلَمَّ خَيَالٌ طَارِقٌ مُتَأَوِّبُ لأُمِّ حَكِيمٍ بَعْدَما نِمْتُ مُوصِبُ(٢)
وقد دَنَتِ الجَوْزاءُ وَهْيَ كَأَنَّها ومِرْزَمُها بِالغَوْرِ ثَوْرٌ وَرَبْرَبُ(٣)
فَبَاتَ شَرَابِي في المَنَامِ مَعَ المُنَى غَرِيضُ اللَّمَى يَشْفِي جَوَى الحُزْنِ أَشْنَبُ(٤)
قُضَاعِيَّةٌ أَدْنَى دِيَارٍ تَحُلُّها قَنَاةُ وَأَنَّى مِنْ قَنَاةَ المُحَصَّبُ(٥)
سِرَاجُ الدُّجَى تَغْتَلُّ بِالمِسْكِ طَفْلَةٌ فلا هِيَ مِتْفَالٌ ولا اللَّوْنُ أَكْهَبُ(٦)
دَمِيثَةُ ما تَحْتَ الثِّيَابِ عَمِيمَةٌ هَضِيمُ الحَشَا بِكْرُ المَجَسَّةِ ثَيِّبُ(٧)
تَعَلَّقْتُها خَوْداً لَذِيذاً حَدِيثُها لَيَالِيَ لا تُحْمَى ولا هِيَ تُحْجَبُ
فَكَانَ لها وُدِّي ومَحْضُ عَلاقَتِي وَلِيداً إلى أَنْ رَأْسِيَ اليَوْمَ أَشْيَبُ(٨)
فلَمْ أَرَ مِثْلِي أَيْأَسَتْ بَعْدَ عِلْمِها بِوُدِّي ولا مِثْلِي على اليَأْسِ يُطْلَبُ
ولو تَلْتَقِي أَصْدَاؤُنا بَعْدَ مَوْتِنا وَمِنْ دُونِ رَمْسَيْنَا مِنَ الأَرْضِ سَبْسَبُ(٩)
لَظَلَّ صَدَى رَمْسِي ولو كُنْتُ رِمَّةً لِصَوْتِ صَدَى لَيْلَى يَهَشُّ ويَطْرَبُ

(١) المسحل: آلة النقب. والشسيب: القوس. والسراء: شجر تُتّخذ منه القسيّ.
(٢) مُوصِب: موجع.
(٣) المِرزم: نجم من نجوم المطر.
(٤) اللّمى: سمرة أو سواد في باطن الشفة. والغريض: الطريّ. والأشنب: الأبيض الأسنان الرّقيقها.
(٥) قناة: وادٍ بالطائف (معجم البلدان ٤: ٤٠١). والمحصّب: موضع رمي الجمار بمنى (معجم البلدان ٥: ٦٢).
(٦) تغتلّ: تتعطّر بالغالية. والطَّفلَة: الرَّخصَة الناعمة. والمِتفال: المنتنة الريح. والأكهب: الأغبر.
(٧) الدَّميثة: اللّيِّنة.
(٨) المَحْض: الخالص.
(٩) السَّبْسب: المفازة.

وقصيدة أبي صخر التي فيها الغناءُ المذكورُ من مختار شعر هُذَيلٍ، وأوَّلُها:

[الطويل]

لِلَيْلَى بِذَاتِ الجَيْشِ دَارٌ عَرَفْتُها ... وأُخْرَى بِذَاتِ البَيْنِ آيَاتُها سَطْرُ
وَقَفْتُ بِرَسْمَيْها فَلَمَّا تَنَكَّرَا ... صَدَفْتُ وَعَيْنِي دَمْعُها سَرِبٌ هَمْرُ(١)
وفي الدَّمْعِ إنْ كَذَّبْتُ بِالحُبِّ شَاهِدٌ ... يُبَيِّنُ مَا أُخْفِي كَمَا بَيَّنَ البَدْرُ
صَبَرْتُ فَلَمَّا غَالَ نَفْسِي وشَفَّها ... عَجَارِيفُ نَأْيٍ دُونَها غُلِبَ الصَّبْرُ(٢)
إذا لم يَكُنْ بَيْنَ الخَلِيلَيْنِ رِدَّةٌ ... سِوَى ذِكْرِ شَيْءٍ قد مَضَى دَرَسَ الذِّكْرُ

وهذا البيت خاصَّةً رواه الزُّبيرُ بن بكَّار لنُصَيْبٍ:

إذا قُلْتُ هَذا حِينَ أَسْلُو يَهِيجُنِي ... نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يَطَّلِعُ الفَجْرُ
وإنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ فَتْرَةٌ ... كمَا انْتَفَضَ العُصْفُورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ
هَجَرْتُكِ حتَّى قِيلَ لا يَعْرِفُ الهَوَى ... وزُرْتُكِ حتى قِيلَ لَيْسَ لهُ صَبْرُ
صَدَقْتِ أنَا الصَّبُّ المُصَابُ الَّذِي به ... تَبَارِيحُ حُبٍّ خَامَرَ القَلْبَ أو سِحْرُ
أمَا وَالَّذي أَبْكَى وأَضْحَكَ وَالَّذِي ... أَمَاتَ وأَحْيَا وَالَّذِي أَمْرُهُ الأَمْرُ
لَقَد تَرَكَتْنِي أَحْسُدُ الوَحْشَ أَنْ أَرَى ... أَلِيفَيْنِ مِنْها لم يُرَوِّعْهُمَا الزَّجْرُ
فيا هَجْرَ لَيْلَى قد بَلَغْتَ بِيَ المَدَى ... وزِدْتَ على ما لم يَكُنْ بَلَغَ الهَجْرُ
وَيَا حُبَّها زِدْنِي جَوًى كُلَّ لَيْلَةٍ ... ويَا سَلْوَةَ الأَيَّام مَوْعِدُكِ الحَشْرُ
عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بيني وبينها ... فَلمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنا سَكَنَ الدَّهْرُ
فليستْ عَشِيَّاتُ الحِمى بِرَوَاجِعٍ ... لنا أبَداً ما أَوْرَقَ السَّلَمُ النَّضْرُ(٣)

صوت

وإنِّي لآتِيهَا لِكَيْمَا تُثِيبَنِي ... وأُوذِنُها بِالصُّرْمِ ما وَضَحَ الفَجْرُ
فَمَا هُوَ إلاَّ أنْ أرَاهَا فُجَاءَةً ... فَأُبْهَتَ لا عُرْفٌ لَدَيَّ ولا نُكْرُ
تَكَادُ يَدِي تَنْدَى إذا ما لَمَسْتُها ... وَيَنْبُتُ في أَطْرَافِها الوَرَقُ الخُضْرُ

في هذه الأبياتِ ثقيلٌ أوَّل قديمٌ مجهولٌ، وفي البيت الأخير لعريب خَفيفُ

(١) الهمر: الغزير.
(٢) عجاريف الدهر: حوادثه ومصائبه.
(٣) السَّلَم: نوع منه العضاه.

ثقيلٍ، وقد أضافت إليه بيتاً ليس من الشعر، وهو: [الطويل]

أَبَـى الـقَـلْـبُ إلاَّ حُـبَّـهـا عَـامِـرِيَّـةً لـهـا كـنـيـةٌ عَـمْـرٌو وَلَـيـسَ لـهـا عَـمْـرُو

[إعجاب الهادي بشعره وطربه له]

أخبرني محمد بن مزيَد قال: حدَّثنا حمَّاد بن إسحاق قال: حدَّثني أبي عن جدِّي قال: دخلتُ يوماً على موسى الهادي وهو مصطَبِحٌ، فقال لي: يا إبراهيمُ غَنِّني، فإن أطربتَني فلكَ حكمُك، فغنَّيتهُ: [الطويل]

وَإِنِّـي لَـتَـعْـرُونِـي لِـذِكْـرَاكِ فَـتْـرةٌ كَمَا انْتَفَضَ العُصْفُورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ[1]

فضرب بيده إلى جنب دُرَّاعتِه[2] فَشَقَّها حتى انتهى به إلى صدره.

ثمَّ غَنَّيته: [الطويل]

أَمَـا وَالَّـذِي أَبْـكَـى وَأَضْـحَـكَ وَالَّـذِي أَمَـاتَ وأَحْـيَـا وَالَّـذِي أَمْـرُهُ الأَمْـرُ

لـقـد تَـرَكَـتْـنِـي أَحْـسُـدُ الـوَحْـشَ أَنْ أَرَى أَلِـيـفَـيْـنِ مـنـهـا لا يَـرُوعُـهُـمـا الـزَّجْـرُ

فشقَّ دُرَّاعتَه حتى انتهى إلى آخرها. ثم غَنَّيْته:

فَـيَـا حُـبَّـهـا زِدْنِـي جَـوًى كُـلَّ لَـيْـلَـةٍ ويـا سَـلْـوةَ الأَيَّـامِ مَـوْعِـدُكِ الـحَـشْـرُ

فَشقَّ جُبَّةً كانت تحت الدُّرَّاعةِ حتى هتكها.

ثمَّ غَنَّيْتُه: [الطويل]

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وبَيْنَها فَلَمَّا انْقَضَى ما بيننا سَكَنَ الدَّهْرُ

فشقّ قميصاً كان تحتَ ثيابه حتى بَدا جِسمُه. ثم قال: أحسنتَ واللَّهِ فاحتكِمْ. فقلتُ: تهَب لي، يا أميرَ المؤمنينَ، عينَ مروان بالمدينةِ، فغضِبَ حتى دارتْ عيناه في رأسِه، ثم قال: لا، ولا كرامةَ، أردتَ أن تجعَلني أحدُوثةً للناسِ، وتقول: أطربتُه فحَكَّمني، فحكمتُ، فأمضَى حُكمِي. ثم قال لإبراهيم الحرَّاني:

---

(١) الفترة: الانكسار والضعف.

(٢) الدُّرّاعة: جبّة مشقوقة المقدّم.

خُذْ بيد هذا الجاهلِ وأدخِله بيتَ مالِ الخاصَّة فإنْ أخَذَ كلَّ شيءٍ فيه فلا تمنعْه منه، فدخلتُ معه فأخذتُ مالاً جليلاً وانصرفت.

وممّا يُغَنَّى فيه من شعر أبي صخر الهذليِّ قولُه من قصيدةٍ له:

صوت

[الكامل]

بِيَدِ الَّذي شَغَفَ الفُؤادَ بِكُمْ ... فَرَجُ الَّذِي أَلْقَى مِنَ الهَمِّ

هَمٌّ مِنَ أَجْلِكِ لَيْسَ يَكْشِفُهُ ... إلاَّ مَلِيكٌ جَائِزُ الحُكْمِ

فَاسْتَيْقِنِي أَنْ قَدْ كَلِفْتُ بِكُمْ ... ثُمَّ افْعَلِي ما شِئْتِ عَنْ عِلْمِ

قَدْ كَانَ صُرْمٌ فِي المَمَاتِ لَنَا ... فَعَجِلْتِ قَبْلَ المَوْتِ بِالصُّرْمِ

الشعر لأبي صخرٍ الهذليِّ، والغناء للغَرِيض، ثقيلٌ أولُ بالوُسْطى، عن عمرٍو وفيه لسياط[1] ثقيلٌ أول آخر بالبِنصر، ابتداؤه نشيدٌ:

فَاسْتَيْقِنِي أَنْ قَدْ كَلِفْتُ بِكُم

وهكذا ذكر الهشامِيُّ أيضاً، وذكر أنَّ لحن الغريض ثاني ثقيلٍ، وأنَّ فيه لابن جامعٍ خفيفَ رملٍ.

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفشُ قال: حدَّثنا محمدُ بن الحسن الحرون قال: حدَّثني الكِسْرَويُّ قال: لَقِيَ إبراهيم النَّظَّام غلاماً أمردَ فاستحسنه، فقال له: يا بُنَيَّ، لولا أنَّه قد سَبق من قول الحُكماءِ ما جعلوا به السَّبيلَ لمثلي إلى مثلِك في قولهم: «لا ينبغي لأحدٍ أن يكبَرَ عن أن يَسأَلَ، كما لا ينبغي لأحدٍ أن يصغُرَ عن أن يقول» لَما أنِستُ إلى مخاطبتك، ولا هَشِشْتُ لِمُحادَثتِك، ولكنَّهُ سببُ الإخاءِ، وعقْدُ المودَّةِ، ومحلُّكَ من قلبي محلُّ الرُّوحِ من جَسدِ الجبانِ. فقال له الغُلامُ وهو لا يعرفُه: لَئِن قلتَ ذاك أيُّها الرجلُ لقد قال الأستاذ إبراهيمُ النَّظَّامُ: «الطبائِعُ تُجاذِبُ ما شاكَلَها بالمجانسةِ، وتميلُ إلى ما يُوافقُها بالمؤانسَةِ» وكِياني مائِلٌ إلى كِيانِك بكُلِّيَّتي، ولو كان ما أنطوي لك عليه عَرَضاً ما اعتددتُ به وُدّاً، ولكنَّه جوهرُ جِسمي، فبقاؤه ببقاءِ النفْسِ، وعدمُه بعَدَمها، وأقولُ كما قال الهُذَليُّ:

(١)

[الكامل]

فَاسْتَيقِني أنْ قَد كَلِفْتُ بِكُمْ ثُمَّ افْعَلِي ما شِئْتِ عَنْ عِلْمِ

فقال له النظّامُ: إنما خاطبتُكَ بما سمعتَ، وأنتَ عندي غلامٌ مستحسَنٌ، ولو علمتُ أنك بهذه المنزلة لرفعتُك إلى رتبتها.

قال أبُو الحَسن الأخفشُ: فأخذ أبو دُلَف هذا المعنى فقال: [الوافر]

أُحِبُّكِ يا جِنَانُ وأَنْتِ مِنِّي مَحَلُّ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الجَبَانِ
ولَوْ أَنِّي أَقُولُ مكَانَ نَفْسِي لَخِفْتُ عَلَيْكِ بَادِرَةَ الزَّمَانِ
لإِقْدَامِي إذا ما الخَيْلُ خَامَتْ وَهَابَ كُمَاتُها حَرَّ الطِّعَانِ[1]

وتمام أبيات أبي صخرٍ الميميَّةِ التي ذكرتُ فيها الغناءَ الأخيرَ وخبرَه أنشدنيها الأخفشُ عن السّكريِّ عن أصحابه: [الكامل]

ولَما بَقِيتِ لَيَبْقَيَنَّ جَوًى بينَ الجَوَانِحِ مُضْرِعٌ جِسْمِي[2]
وَيُقِرُّ عَيْنِي وَهْيَ نَازِحَةٌ ما لا يُقِرُّ بِعَيْنِ ذِي الحِلْمِ
أَطْلالُ نُعْمٍ إذْ كَلِفْتُ بِهَا يَأْدِينَ هذا القَلْبَ مِنْ نُعْمِ
ولَوْ أَنَّنِي أُسْقَى عَلَى سَقَمِي بِلَمَى عَوَارِضِها شَفَى سُقْمِي
وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِنَبْلِ مُقْتَدِرٍ يَسِطُ الفُؤَادَ بها ولا يُدْمِي[3]
يَرْمِي فيَجْرَحُنِي بِرَمْيَتِهِ فَلَوَ انَّنِي أَرْمِي كَمَا يَرْمِي
أو كَانَ قَلْبٌ إذ عَزَمْتُ لَهُ صُرْمِي وهَجْرِي كَانَ ذا عَزْمِ
أو كَانَ لي غُنْمٌ بِذِكْرِكُمُ أَمْسَيْتُ قد أَثْرَيْتُ مِنْ غُنْمِ

أخبرني الحسينُ بن يحيى، عن حمَّادٍ عن أبيه، عن أبي عبد اللَّهِ الأنصاريِّ، عن غُرَير بن طلحةَ الأرقميِّ قال: قال لي أبو السَّائِبِ المخزوميُّ - وكان من أهل الفضل والنُّسكِ -: هل لك في أحسنِ الناسِ غناءً؟ قلت: نعم. وكان عليَّ يومئذٍ

(١) خامت: جَبُنت. والكميّ: الشجاع.
(٢) مُضرِع جسمي: موهنه ومذلُّه.
(٣) يسِطُ الفؤاد: يحلّ في وسطه.

طَيلسانٌ لي أُسمِّيه من غِلَظِه وثِقَلِه «مُقطِّع الأزرار» فخرجنا حتى جئنا إلى الجبَّانةِ، إلى دارِ مُسلم بن يحيى الأَرَتِّ صاحب الخمر، مولى بني زُهْرَةَ فأَذِن لنا، فدخلنا بيتاً طولُه اثنتا عشرةَ ذراعاً في مِثلها، وسَمْكُه في السماءِ سِتَّ عشرة ذِراعاً، ما فيه إلاَّ نُمرقتان[1] قد ذَهبتْ منهما اللُّحمةُ وبَقِيَ السَّدَى[2]، وفِراشٌ محشُوٌّ ليفاً، وكُرْسِيَّان من خشب قد تَقَلَّعَ[3] عنهُما الصِّبْغُ من قِدَمهما وبينَهما مِرْفقتانِ محشُوّتانِ باللِّيف. ثم طلعتْ علينا عَجُوزٌ كَلْفاءُ[4] عَجْفاءُ[5]، كَأَنَّ شعرَها شعرُ ميِّتٍ، عليها قَرقَلٌ[6] هَرَوِيٌّ أصفرُ غَسيلٌ[7]، كأَنَّ وَركَيْها في خيطٍ مِنْ رَسَحها[8] حتى جلَسَتْ، فقلتُ لأبي السَّائِب: بأبي أنتَ وأُمِّي ما هَذهِ؟ قال: اسكتْ. فتناوَلتْ عُوداً فضَرَبتْ، وغَنَّتْ: [الكامل]

بِيَدِ الَّذِي شَغَفَ الفُؤَادَ بِكُمْ فَرَجُ الَّذِي أَلْقَى مِنَ الهَمِّ

قال غُريرٌ: فحسُنَتْ ـ وَاللَّهِ ـ في عَيْني، وَجاء نقاءٌ وَصَفَاءٌ، فأذْهبَ الكلَف منْ وجهها، وَزحفَ أَبو السَّائبِ وزحفْتُ مَعهُ. ثمّ غنَّت:

صوت [الكامل]

بَرِحَ الخَفَاءُ فَأَيَّ مَا بِكَ تَكْتُمُ وَلَسَوْفَ يَظْهَرُ مَا يسرُّ فَيُعْلَمُ
مِمَّا تَضَمَّنَ مِنْ غُرَيْرَةَ قَلْبُهُ يَا قَلْبُ إِنَّكَ بِالحِسَانِ لَمُغْرَمُ
يَا لَيْتَ أَنَّكَ يا حُسَامُ بِأَرْضِنَا تُلْقِي المَرَاسِيَ دَائِماً وَتُخَيِّمُ
فَتَذُوقَ لَذَّةَ عَيْشِنا ونَعِيمَهُ ونَكُونَ أَجْوَاراً فَمَاذا تَنْقِمُ

الغناءُ لحكم، خفيفُ رملٍ بالوُسْطى، عن الهِشاميِّ.

فقال أبو السَّائب: إن نَقِمَ هذا فيَعضّ بظْرَ أُمِّه، وزَحَف وزحفتُ مَعهُ، حتى قاربتُ النُّمْرقَةَ وَرَبتِ العَجفاءُ في عيني كما يربُو السَّويقُ شِيبَ بِمَاءِ قِربَةٍ.

---

(١) النُّمرقة: الوسادة الصغيرة.
(٢) السَّدَى: الخيوط.
(٣) تقلّع: تشقّق.
(٤) الكلفاء: في وجهها كلفٌ.
(٥) العجفاء: النحيلة.
(٦) القرقل: قميص بلا أكمام.
(٧) غسيل: مغسول.
(٨) الرَّسَح: قلّة لحم العجز والفخذين.

ثم غنَّتْ:

صوت

[المنسرح]

يَا طُولَ لَيْلِي أُعَالِجُ السَّقَما إذ حَلَّ دُونَ الأَحِبَّةِ الحَرَما
ما كُنْتُ أَخْشَى فِرَاقَ بَيْنِكُمُ فَاليَوْمَ أَضْحَى فِرَاقُكُمْ عَزَمَا

الغناء للغريض، ثقيل أول بالوُسطى في مجراها، وله أيضاً فيه، خفيفُ ثقيل بإطلاق الوَتر في مجرى البنْصَر جميعاً، عن إسحاقَ.

قال غُرَير: فألقيتُ طَيْلسَاني وتناولتُ شاذكونة[1]، فوضعتها على رأسي وصحتُ كما يُصاحُ بالمدينة: الدُّخنُ بالنّوى، وقام أبو السَّائبِ، وتناوَلَ رَبْعةً[2] فيها قوارير دُهْنٍ كانتْ في البيت، فوضعَها على رأسه، وصاح ابنُ الأرَتّ صَاحبُ الجارية، وكان ألْثَغ: قواليلي قواليلي - يريد: قَوارِيري قوَارِيري - أسْألكَ باللّه، فلم يلتفتْ أبو السّائب إلى قوله، وحَرّك رأْسه مَرَحاً فاضطربت القواريرُ وتكسّرتْ، وسال الدُّهن على وجه أبي السائب وظهره وصدره، ثم وضع الرّبعة وقال لها: لقد هِجْتِ لي داءً قديماً. قال: ومكثنا نختلفُ إليها سنين، في كلّ جُمعةٍ يومين، وقال: ثم بعث عبد الرحمن بن معاوية بن هشام من الأندلُس، فاشتُرِيت له العجفاءُ وحُمِلت إليه.

صوت

[الطويل]

ألاَ هَلْ إلى رِيحِ الخُزَامَى ونَظْرَةٍ إلى قَرْقَرَى قَبْلَ المماتِ سَبِيلُ[3]
فَيا أَثَلاَتِ القَاعِ من بَطْنِ تُوْضِحٍ حَنِيني إلى أَطْلاَلِكُنَّ طَوِيلُ
وَيَا أَثَلاَتِ القَاعِ قَلْبِي مُوَكَّلٌ بِكُنَّ، وَجَدْوَى خَيْرِكُنَّ قَلِيلُ
ويا أَثَلاتِ القَاعِ قَد مَلَّ صُحْبَتِي وُقُوفِي، فَهَلْ في ظِلِّكُنَّ مَقِيلُ؟

الشعر ليحيى بن طالبٍ الحنفيّ، والغناءُ لعلُّوية، خفيفُ رمَل بالوسطى، عن عمرٍو. وفيه لإبراهيمَ لحنٌ ماخوريّ بالوسطى، وفيه لعَرِيبَ رملٌ، ولمتيَّم خفيفُ رمَل آخرُ عن الهشامي. وفيه لابن المكّي خفيفُ ثقيل من كتابه وذكر ابنُ المعتزّ أن لحن عريب ومتيَّم جميعاً من الرمل.

---

(١) الشاذكونة: مضربة يعملها النجّاد.
(٢) الرَّبْعة: جولة العطّار.
(٣) قرقرى: أرض باليمامة (معجم البلدان ٤: ٣٢٦).

أخبار يحيى بن طالب

[توفي نحو ١٨٠ هـ/ نحو ٧٩٦ م]

[نسبه المغمور وهربه لِدَيْنٍ رَكِبَهُ]

يحيى بن طالب، شاعِرٌ من أهل اليمامةِ، ثم من بني حنيفةَ. لم يَقَعْ إليَّ نسبُه، وهو من شُعراء الدَّولةِ العَبَّاسِيَّة مُقِلٌّ، وكان فَصِيحاً شاعراً غزِلاً فارساً.

وركِبَه دَيْنٌ في بلدِهِ فهرب إلى الرّيّ، وخرج مع بَعْثٍ إليها، فمات بها، وقد ذَكَر ذلك في هذه القصيدة فقال: [الطويل]

أُرِيدُ رُجُوعاً نَحْوَكُمْ فيَصُدُّنِي ... إذا رُمْتُهُ دَيْنٌ عَلَيَّ ثَقِيلُ

[الرشيد يقضي دَيْنَهُ]

حدَّثني محمد بن مزيد قال: حدَّثنا حَمَّادُ بن إسحاق عن أبيه قال: غَنَّى أبي الرشيدَ في شعر يحيى بن طالبٍ: [الطويل]

أَلاَ هَلْ إلى شَمٍّ الخُزَامَى ونَظْرَةٍ ... إلى قَرْقَرَى قَبْلَ المَمَاتِ سَبِيلُ

فأطربَهُ، فسأله عن قائل الشعر، فذكَره له وأعلمه أنَّه حَيٌّ، وأنَّه هرب من دَيْنٍ عليه، وأنشده قولَهُ: [الطويل]

أُرِيدُ رُجُوعاً نَحْوَكُمْ فَيَصُدُّنِي ... إذا رُمْتُهُ دَيْنٌ عَلَيَّ ثَقِيلُ

فأمر الرَّشيدُ أن يُكتب إلى عامل الريّ بقضاءِ دَيْنِه، وإعطائِه نفقةً، وإنفاذه إليه على البريد، فوصل الكتاب يومَ مات يحيى بن طالب.

أخبرنا محمد بن خَلَف وكيع وعَمِّي قالا: حدَّثنا عبد اللَّه بن شَبِيب قال:

حدَّثني الجَهْمُ بن المغيرةِ قال: كُنَّا عند حُتْرُش بن ثُمال القُرَيْظيّ بِضَرِيَّة(١) فمرَّت بنا جاريةٌ صفراءُ مُوَلَّدةٌ، فقال لي حُتْرُشٌ: استفتِحْ كلامَها فانظُر فإنها ظَرِيفةٌ، فقلتُ لها: يا جارية، أيْن نَشأتِ؟ قالت: بِقَرْقرى، فقلتُ لها: أين مِن شَعبْعَب(٢)؟ فضحِكَتْ ثم قالت: بينَ الحَوْضِ والعَطَن(٣)، قلتُ: فمن الذي يقول: [البسيط]

يا صَاحِبَيَّ فَدتْ نَفسِي نُفوسَكُمَا ... عُوجَا عَلَيَّ صُدُورَ الأَبْغُلِ السُّنُنِ
ثُمَّ ارْفَعا الطَّرْفَ نَنظُرْ صُبْحَ خَامِسَةٍ ... لِقَرْقَرَى يا عَنَاءَ النَّفْسِ بِالوَطَنِ
يا لَيْتَ شِعْرِيَ وَالإِنْسَانُ ذُو أَمَلٍ ... والعَيْنُ تَذْرِفُ أَحْيَاناً مِنَ الحَزَنِ
هَلْ أَجْعَلَنَّ يَدِي لِلخَدِّ مِرْفَقَةً ... على شَعَبْعَبَ بينَ الحَوْضِ والعَطَنِ؟

فالتفتَتْ إلى حُتْرش بن ثُمالٍ فقالَتْ: أخبِره بقائِلها، فقال: ما أَعْرِفُهُ، فقالتْ: بَلَى، هذا يقوله شاعِرنا وظَرِيفُ بلادِنا وغَزِلُها. فقال لها حُتْرشٌ: وَيْحكِ، ومَن ذلك؟ فقالت: أشهد إن كنتَ لا تعرفُه وأنتَ من هذا البلدِ إنَّها لَسوْأَةٌ، ذلك يحيى بن طالبِ الحنفيُّ، أُقسم باللّه ما مَنَعكَ من معرفته إلاَّ غِلَظُ الطَّبْعِ، وجَفاءُ الخُلُق. فجعَل يضحَكُ من قولها وتعجّبنا منها.

[رفضه لركوب البحر وشعره في ذلك]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعِيُّ قال: حدَّثنا أبو غَسَّان دَماذ، عن أبي عُبيدةَ قال: قال رجلٌ لِيحيى بن طالب الحنفِيِّ: لو ركبتَ معي في البَحر، وشَغَلْت مالَكَ فِي تجاراتِه لأَثْريتَ وحَسُنَتْ حَالُكَ، فقال يحيى بن طالب: [الطويل]

لَشُرْبُكَ بِالأَنْقاءِ رَنْقاً وصافِياً ... أَعَفُّ وأَعْفَى مِنْ رُكُوبِكَ في البَحْرِ(٤)
إذا أنتَ لم تَنْظُرْ لِنَفْسِك خَالِياً ... أَحَاطَتْ بِكَ الأَحْزَانُ مِنْ حَيْثُ لا تَدرِي

حَدَّثني محمد بن خلف بن المرزُبان قال: حدَّثنا عبدُ اللَّه بن أبي سعدٍ قال: حدَّثني أبو عليّ الحنفي؛ قال: حدَّثني عمي عن عليّ بن عمر قال: غُنِّيَ الرشيدُ

---

(١) ضَرِيَّة: قرية عامرة في طريق مكة (معجم البلدان ٣: ٤٥٧).
(٢) شَعَبْعَب: اسم ماء باليمامة.
(٣) الحوض: مجتمع الماء. والعَطَن: مبرك الإبل ومربض الغنم عند الماء.
(٤) الأنقاء: جمع النّقا: الكثيب من الرمل. والرَّنْق: الماء الكَدِر.

يوماً بشعر يحيى بن طالب: [الطويل]

أَلاَ هَلْ إلى شَمِّ الخُزَامَى ونَظْرَةٍ إلى قَرْقَرَى قَبْلَ المَمَاتِ سَبِيلُ

وذكر الخبر كما ذكره حمَّادُ بن إسحاقَ، إلا أنَّه قال: فوجَده قد مات قبل وصولِ البريدِ بشهرٍ.

[شوقه إلى محبوبته وحنينه إلى قرقرى]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعِيُّ قال: حَدَّثنا عبدُ الرحمنِ ابن أخي الأصمعي، عن عمه قال: كان يَحيى بن طالبٍ يُجالسُ امرأةً من قومه ويألَفُها، ثم خَرجَ مع والي اليمامةِ إلى مكة، وابتاع منه الوالي إبلاً بتأخيرٍ، فلمَّا صار إلى مَكَّةَ عُزِلَ الوالِي، فلَوَى يحيى بماله مدّة، فضاق صدرُه، وتَشوَّقَ إلى اليمامةِ وصاحبتِه التي كان يتحدَّث إليها فقال: [الطويل]

تَصَبَّرْتُ عَنْهَا كَارِهاً وَهَجَرْتُها وَهِجْرَانُها عِنْدِي أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ[**صوت**

إذا ارْتَحَلَتْ نَحْوَ اليَمَامَةِ رُفْقَةٌ دَعَانِي الهَوَى واهْتَاجَ قَلْبِيَ لِلذِّكْرِ

كَأَنَّ فُؤَادِي كُلَّما عَنَّ ذِكْرُها جَنَاحَا غُرَابٍ رَامَ نَهْضاً إلى وَكْرِ

الغناء للزفّ، ثقيلٌ أولُ عن الهشاميِّ في هذين البيتين. وقال فيها:

مُدَايَنَةُ السُّلْطَانِ بَابُ مَذَلَّةٍ وَأَشْبَهُ شَيءٍ بِالقَنَاعَةِ والفَقْرِ

إذا أَنْتَ لم تَنْظُرْ لِنَفْسِكَ خَالِياً أَحَاطَتْ بِكَ الأَحْزَانُ مِنْ حَيْثُ لا تَدْرِي

أخبرني الحسينُ بن يحيى، عن حَمَّادٍ عن أبيه، قال: قال أبو الذَّيَّال الحَنفِيّ: خرج يحيى بن طالب الحنفيّ من اليمامة يُريد خُراسانَ على البريد، فقال وهو بقُوْمِس[(١)]: [الطويل]

أَقُولُ لأَصْحَابِي وَنَحْنُ بِقُومِسٍ نُرَاوِحُ أَكْتَافَ المُحَذَّفَةِ الجُرْدِ[(٢)]

بَعُدْنا وعَهْدِ اللهِ مِنْ أَهْلِ قَرْقَرَى وفِيها الأُلَى نَهْوَى وزِدْنا على البُعْدِ

أخبرنا الحسنُ بن عليٍّ قال: حدَّثنا محمدُ بن مُوسَى بن حمّادٍ قال: حدَّثني عبد اللَّه بنُ بِشْر، عن أبي فراسٍ الهَيْثَم بن فراسٍ الكِلابيّ قال: كنتُ مع أَبِي ونحن

(١) قومس: هي كورة في ذيل جبال طبرستان بين الريّ ونيسابور (معجم البلدان ٤: ٤١٤).

(٢) المُحَذَّفة: المطرّرة الشَّعْر. والجرد: القصيرة الشَّعر.

قاصِدُون اليمامةَ، فلما رأيناها لَقِينَا رجلٌ، فقال له أبي: أَين قرقرى؟ قال: وراءَك. قال: فأين شَعَبْعَب؟ قال: بإزائِه، قال: أرني ذلكَ، فأراه إيَّاه حتى عَرَفه، فقال لي: ارجع بنا إلى الموضِع، فقلت له: يا أَبتِ قد تَعِبنا وتعِبت ركائِبُنا، فما لكَ هناك! قال: إنك لأحمقُ ارجع ويْلك، فرجعتُ معه حتى أتى شَعَبْعَب، وصار إلى الحَوض والعَطَن، وأناخ راحِلتَه، وقال لي: أَنِخ، فأَنَخْت، ونزل فنظَر إلى شعبعب وقرقرى ساعةً، ثم اضطَجَع بين الحوضِ والعَطَن اضطِجاعةً، ويده تحت خَدِّه، ثم قام فركِب، فقُلت: يا أبتِ ما أردتَ بهذا؟ فقال: يا جاهلُ، أما سَمِعتَ قولَ يحيى بن طالب: [البسيط]

هَلْ أَجْعَلَنَّ يَدِي لِلخَدِّ مِرْفَقَةً ... على شَعَبْعَبَ بين الحَوْضِ والعَطَنِ

أفليسَ عجزاً أن نكونَ قد أتينا عليهما وهما أُمنية المتمنِّي فلا ننال ما تَمَنَّاه منهما، وقد قدرتُ عليه؟ فجعلتُ أعجبُ من قوله وفعلِه.

[صفاته]

أخبرنا محمدُ بن جعفر النحويّ قال: حدَّثني طلحةُ بن عبدِ اللَّه الطَّلحِيُّ قال: حدَّثنا أبو العاليةِ عن رجل من بنِي حنيفة قال: كان يحيى بن طالب جواداً، شاعراً، جميلاً، حمَّالاً لأثقالِ قومِهِ ومغارِمِهم[1]، سمحاً يَقْرِي الأضيافَ، ما تشاءُ أن ترى في فتًى خَصلةً جميلةً إلا رأيتَها فيه، فدخلتُ عليه وهو في آخر رَمَقٍ فسألتُه عن خبرِهِ، وسلَّيتُه وقلتُ له ما طابَتْ به نفسُه، ثم أنشدني قولَه: [الطويل]

ما أَنَا كَالْقَوْلِ الَّذِي قُلْتَ إنْ زَوَى ... مَحَلِّيَ عَنْ مَالِي حِذَارَ النَّوَائِبِ[2]

بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ قَابَلَتْ ... بِوَادِي كُحَيْلٍ كُلَّ مَاشٍ ورَاكِبِ

حَلَلْتُ على رَأْسِ اليَفَاعِ ولم أَكُنْ ... كَمَنْ لاذَ مِنْ خَوْفِ القِرَى بِالحَوَاجِبِ[3]

فلا تَسْأَلِ الضِّيفَانَ مَنْ هُمْ وأَدْنِهِمْ ... هُمُ النَّاسُ مِنْ مَعْرُوفِ وَجْهٍ وجَانِبِ

وَقُولُوا إذا ما الضَّيْفُ حَلَّ بِنَجْوَةٍ ... أَلاَ في سَبِيلِ اللَّهِ يَحْيَى بْنُ طَالِبِ[4]

---

(١) المغارم: جمع المغرم: المال الذي يلزم أداؤه للتأديب أو التعويض.

(٢) زوى: بَعُدَ.

(٣) اليفاع: المرتفع من كلّ شيء.

(٤) النَّجوة: المرتفع من الأرض.

قال أبو العاليةِ: كُحَيْل: نخل بناحية فرَان دون قرقرى، وهناك كان منزلُ يحيى بن طالب.

صوت

[الطويل]

وقد جمع معه كلّ ما يُغنَّى فيه من القصيدة:

لَعَمْرُكَ إنّي يَوْمَ بُصْرَى ونَاقَتِي ... لَمُخْتَلِفَا الأهْوَاءِ مُصْطَحِبَانِ

متى تَحْمِلي شَوْقِي وشَوْقَكِ تَظْلَعِي ... ومَا لَكِ بِالحِمْلِ الثَّقِيلِ يَدَانِ

ألاَ يَا غُرَابَيْ دِمْنَةِ الدَّارِ خَبِّرا ... أبِالبَيْنِ مِنْ عَفْرَاءَ تَنْتَحِبانِ

فإنْ كَانَ حَقّاً ما تَقُولانِ فَانْهَضا ... بِلَحْمِي إلى وَكْرَيْكُمَا فَكُلانِي

ولا يَعْلَمَنَّ النَّاسُ ما كَانَ مِيتَتي ... ولا يأكُلَنَّ الطَّيْرُ ما تَذرانِ

جَعَلتُ لِعَرَّافِ اليَمَامَةِ حُكْمَهُ ... وَعَرَّافِ حَجْرٍ إنْ هُما شَفَيَانِي[1]

فَمَا تَرَكا مِنْ حِيلَةٍ يَعْلَمَانِها ... ولا رُقْيَةٍ إلاَّ وَقَدْ رَقَيَانِي

وقالا: شَفَاكَ اللَّهُ وَاللَّهِ مَا لَنَا ... بِمَا حُمِّلَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ يَدَانِ

كَأنَّ قَطَاةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحِها ... على كَبِدِي مِنْ شِدَّةِ الخَفَقَانِ

الشعر لِعُروةَ بن حِزام، والغناء لإبراهيم الموصليِّ في الأربعةِ الأبياتِ الأُول، ثقيل أوّلُ بالوُسْطى، ولعَريب في الرابع والخامس والسادس والتاسع هَزَجٌ مطلقٌ في مجرى البنصر، عن إسحاقَ، وفي السابع وما بعده إلى آخرها ثقيلٌ أوّلُ ينسب إلى أبي العُبَيس بن حَمْدون، وإلى غيره.

(١) حَجْر: مدينة باليمامة (معجم البلدان ٢: ٢٢١).

أخبار عروة بن حزام

[توفي نحو ٣٠ هـ/ نحو ٦٥٠ م]

[اسمه ونسبه وحبّه لعفراء]

هو عُروةُ بن حِزام بن مُهاصِرٍ، أحدُ بني حِزام بن ضَبَّة بن عبد بن كَبِير بن عُذْرَةَ. شاعِرٌ إسلامِيٌّ، أحدُ المتيَّمِينَ الَّذِين قتلَهم الهوَى، لا يُعْرَفُ له شعرٌ إلا في عَفْراءَ بنتِ عمِّه عِقالِ بن مُهاصِر، وتَشْبِيبِه بها.

أخبرني بخبرها جماعةٌ من الرُّواةِ، فمنهُ ما أخبَرني به الحسنُ بن عليِّ بن محمد الآدَميُّ قال: حدَّثنا عُمرُ بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدَّثني مُوسى بن عيسى الجَعْفَريُّ، عن الأَسْباطِ بن عيسى العُذْريّ. وأخبرني الحسينُ بن يحيى المِرداسيُّ، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهَرِ، عن حمَّاد بن إسحاقَ عن أَبِيه عن رجالِه. وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوْهريُّ قال: حدَّثنا عمر بن شَبَّةَ، وأخبرني الحَرَميُّ بن أبي العلاءِ قال: حدَّثنا الزُّبيْرُ بن بَكَّارٍ عمَّن أَسندَ إليه، وأخبرني إبراهيم بن أيّوبَ الصائغ عن ابن قُتيبة. وقد سُقتُ رواياتِهم وجمعتُها:

قال الأسباط بن عيسى - وروايتُه كأنها أتمُّ الروايات وأشدُّها اتّساقاً -: أدركتُ شيوخ الحيِّ يذكرون أَنَّهُ كان من حَدِيثِ عُروةَ بنِ حِزام وعفراءَ بنت عِقالٍ، أن حِزاماً هلَك وتركَ ابنَه عُروةَ صغيراً في حِجْر عمِّه عِقالِ بن مُهاصِر، وكانت عَفراءُ تِرْباً لِعُروةَ، يلعبان جميعاً، ويكونانِ مَعاً، حتى أَلِفَ كلُّ واحدٍ منهُما صاحبه إلفاً شديداً. وكان عِقالٌ يقول لِعُروةَ، لما يرى من إلْفِهما: أَبْشِرْ، فإن عفراءَ امرأتُكَ، إن شاءَ اللّهُ. فكانَا كذلِكَ حتى لَحِقَتْ عفراءُ بالنِّساء، ولَحِقَ عُروةُ بالرِّجالِ، فَأَتَى عُروةُ عمَّةً له يقالُ لها هند بنتُ مُهاصر، فَشَكا إليها ما بِهِ من حُبٍّ

عفراءَ، وقال لها في بعضِ ما يَقولُ لها: يا عمَّةُ، إنِّي لَأُكَلِّمُكِ وأنا مِنكِ مُسْتحٍ، ولكنْ لم أفعلْ هذا حتى ضِقْتُ ذَرْعاً بما أنا فيه، فذهبتْ عمَّتُه إلى أخيها فقالت لَه: يا أخي، قد أتيتُكَ في حاجةٍ أُحِب/ أن تُحْسِن فيها الردَّ، فإنَّ اللَّهَ يأجُرك بصلة رحمكَ فيما أسألُكَ. فقال لها: قولي، فلن تَسألي حاجةً إلاَّ رَدَدْتُك بها[1]. قالت: تُزَوِّجُ عُروةَ بنَ أخيكَ بابنتِك عَفراءَ، فقال: ما عَنهُ مَذْهَبٌ، ولا هو دُونَ رَجُلٍ يُرغَبُ فيه، ولا بنا عنه رغبةٌ؛ ولكنَّه ليس بِذي مالٍ، وليستْ عليه عَجَلَةٌ. فطابَتْ نفسُ عُروةَ، وسكَن بعضَ السُّكونِ.

وكانت أُمُّها سيِّئَةَ الرأي فيه، تريدُ لابنتها ذا مالٍ ووفْرٍ، وكانت عُرضةَ ذلك كمالاً وجمالاً، فلما تكامَلَتْ سنُّه وَبَلَغ أَشُدَّهُ عَرَفَ أَنَّ رَجُلاً من قَوْمِهِ ذا يَسارٍ ومال كثيرٍ يخطبُها، فأَتى عمَّه، فقال: يا عمّ، قد عَرفتَ حقِّي وقرابتي، وإنّي وَلَدُكَ وَرُبِّيتُ في حِجْرِكَ، وقد بلغني أن رجلاً يخطب عفراءَ، فإن أسعَفْته بطَلبَته قتلتني وسَفَكْتَ دمي، فأنشُدك اللَّهَ ورَحمِي وَحقِّي، فرَقَّ له وقال له: يا بُنيّ، أنت مُعْدِمٌ، وحالُنا قريبةٌ من حالِكَ، ولستُ مُخْرِجَها إلى سِواكَ، وأُمُّها قد أبتْ أن تُزَوِّجها إلاَّ بمَهْرٍ غالٍ، فاضطَرِبْ واستَرْزِقِ اللَّهَ تعالى. فجاءَ إلى أُمِّها فألطفَها وَدَارَاها، فأبَتْ أن تُجيبَه إلا بما تَحتَكِمُه[2] من المَهْرِ، وبعد أن يَسُوقَ شَطْره[3] إليها، فوعدها بذلك. وعلم أنه لا يَنفَعُهُ قرابةٌ ولا غيرُها إلاَّ بالمالِ الذي يطلبونه، فعَمل على قصْدِ ابن عمٍّ له مُوسِرٍ كان مُقيماً باليمنِ، فجاء إلى عمِّه وامرأتِه فأخبرهما بِعَزْمِهِ، فصوَّباهُ وَوَعَداه ألاَّ يُحْدِثا حدَثاً حتى يَعُودَ.

[وداعه لعفراء وسفره]

وصار في ليلةِ رَحيلهِ إلى عَفْراء، فجلس عِندها ليلةً هو وجَوَارِي الحيّ، يتحدَّثُون حتى أصبَحُوا، ثم ودَّعَها وودَّعَ الحيَّ وشَدَّ على راحِلته، وصَحِبَه في طريقِه فَتَيانِ من بني هِلالِ بنِ عامرٍ كانا يألفانِه، وكان حيّاهُم متجاوِرَين، وكان في طُول سَفَره ساهياً يكلِّمانِه فلا يَفْهَم، فِكرةً في عفراءَ، حتى يُرَدَّ القولُ عليه مِراراً، حتى قدم على ابن عمِّه، فلقِيَهُ وعَرَّفَه حالهُ وما قَدم له، فوصَلَه وكَساه، وأعطاهُ مائةً

---

(١) رَدَدْتك بها: قضيتها لك.

(٢) تحتكمه: تقرّره.

(٣) شطره: نصفه.

من الإبل، فانصرَفَ بها إلى أَهْلِه.

وقد كان رجلٌ من أهل الشَّام من أسبابِ بني أُمَيَّة نزل في حيّ عفراءَ، فَنحَر وَوَهَب وأطْعَم، وكان ذا مالٍ عظيم، فرأى عفراءَ، وكان منزلُه قريباً من منزلِهم، فأعجبَتْهُ وخطبها إلى أبيها، فاعتَذَرَ إليهِ وقال: قد سمَّيتُها إلى ابنِ أخ لي يَعْدِلُها عِنْدِي، وما إليها لغيره سَبيل، فقال له: إنّي أُرَغِّبُكَ في المهر، قال: لا حاجة لي بذلك، فَعدل إلى أمِّها، فَوافَقَ عندَها قبولاً، لِبَذْلِه ورَغبة في مالِه، فأجابَتْهُ ووعدته، وجاءت إلى عقالٍ فآذَتْه وصخِبَتْ مَعَهُ[1]، وقالَتْ: أيُّ خَيْرٍ في عُروَة حتى تُحبَسَ ابنتي علَيه وقد جاءَها الغَنيُّ يطرُقُ عليها بابَها؟ واللَّه ما نَدْرِي أعروَة حيٌّ أمْ مَيِّتٌ؟ وهل ينقلبُ إليك بخيرٍ أمْ لا؟ فتكون قد حَرمْت ابنَتَك خيراً حاضراً ورزقاً سَنِيّاً، فلم تزل به حتى قال لها: فإن عادَ لي خاطباً أجبتُه. فوجَّهتْ إليه أن عدُ إليه خاطباً. فلمَّا كان من غدٍ نَحَر جُزُراً عِدَّةً، وأطعَم ووهب وجمعَ الحيَّ معهُ على طعامه، وفيهم أبو عفراء، فلمَّا طَعِموا أعاد القولَ في الخِطْبة، فأجابه وزوَّجه، وساق إليه المهر، وحُوِّلت إليه عفراءُ وقالت قبل أن يَدْخُلَ بها: [الكامل]

يَـا عُـرْوَ إنَّ الـحَـيَّ قـد نَـقَـضُـوا ... عَـهْـدَ الإلَـهِ وحَـاوَلُـوا الـغَـدْرَا

في أبيات طويلة.

فلمَّا كَان اللَّيلُ دخَل بها زَوجُها، وأقام فيهم ثلاثاً، ثم ارتَحل بها إلى الشام، وعمد أبوها إلى قبرٍ عتيقٍ، فجدَّدهُ وسوّاهُ، وسأل الحيَّ كِتمانَ أمرها.

[معرفته حقيقة زواجها]

وقدم عُروةُ بعد أيّام، فنعاها أبوها إليه، وذهب به إلى ذلك القَبرِ، فمكث يختلفُ إليه أيّاماً وهو مُضْنًى هالكٌ، حتى جاءته جاريةٌ من الحيّ فأخبرتْه الخبر، فتركهُم وركبَ بعضَ إبله، وأخذ معه زاداً ونفقةً، ورحل إلى الشَّام فقدِمها وسأل عن الرجل فأُخبِر به، ودُلَّ عليه، فقَصدهُ وانتسب له إلى عدنان، فأكرمَه وأحسن ضيافتَه، فمكث أيّاماً حتى أَنِسُوا به، ثم قال لجاريةٍ لهم: هل لكِ في يدٍ تولينيها؟ قالت: نعم، قال: تدفَعين خاتَمي هذا إلى مولاتك. فقالت: سَوْءَة لك، أما تَسْتَحِي لهذا القول؟ فأمسك عنها، ثم أعاد عليها وقال لها: ويحك! هي وَاللَّه بنتُ

---

(١) صخبت معه: تشاجرت معه وعلت أصواتهما.

عمِّي، وما أحدٌ منَّا إلا وهُو أعزُّ على صاحِبِه من الناس جميعاً، فاطْرحي هذا الخاتم في صَبُوحِها[١]، فإذا أنكرتْ عليكِ فقولي لها: اصطَبَح ضيفُكِ قبْلَكِ، ولَعَلَّه سَقَطَ مِنهُ، فَرَقَّتِ الأَمَةُ وفعلتْ ما أمَرها به. فلما شَرِبَتْ عفراءُ اللبنَ رأت الخاتمَ فعرفتْه، فشَهقَتْ، ثم قالت: اصدُقيني عن الخبر، فصدَقتها. فلمَّا جاءَ زوجُها قالت له: أتدري مَن ضيفُكَ هذا؟ قال: نعم، فلان بن فلان، للنَّسب الذي انتَسب له عُروة، فقالت: كلا واللَّه يا هذا، بل هو عُروة بن حِزام ابنُ عمِّي، وقد كَتم نفسَه حَياءً مِنكَ.

وقال عمرُ بن شبَّة في خبره: بل جاءَ ابنُ عمٍّ له فقال: أترَكتُمْ هذا الكلب الذي قد نَزَل بِكم هكذا في دارِكم يفضَحُكم؟ فقال له: ومَن تَعني؟ قال: عُروةُ بن حزام العُذْرِيُّ ضيفُك هذا، قال: أَوَإنَّه لعروةُ؟ بل أنْتَ واللَّه الكلبُ، وهو الكَرِيمُ القَرِيبُ.

قالوا جميعاً: ثم بَعث إليه فدَعاه، وعاتَبهُ على كتمانِه نفسه إيَّاه، وقال له: بالرَّحْبِ والسَّعَةِ، نَشَدتُكَ اللَّهَ إن رِمْت هذا المكانَ أبداً، وخرج وتركَهُ مع عفراءَ يتحدَّثان، وأوصَى خَادِماً له بالاستماع عليهما، وإعادة ما تسمَعُه منهُما عَلَيه، فلمَّا خَلَوا تَشاكَيا ما وَجَدا بعد الفِراقِ، فطَالت الشَّكْوَى، وهو يَبكي أَحَرَّ بكاءٍ، ثم أتَتْه بشرابٍ وسألَتْه أن يشرَبه، فقال: واللَّهِ ما دَخَل جَوفِي حَرامٌ قطُّ، ولا ارتكبتُه منذُ كنتُ، ولو استحلَلْتُ حَراماً لكنتُ قد استحللتُه منكِ، فأنتِ حَظِّي من الدُّنيا، وقد ذَهَبْتِ منِّي، وذَهَبتُ بعدَكِ فما أَعِيشُ! وقد أجملَ هذا الرجلُ الكريمُ وأحسنَ، وأنا مستحيِ منه، وَوَاللَّهِ لا أُقيمُ بعد علمِهِ مكاني، وإنِّي عالِمٌ أنِّي أرحلُ إلى مَنِيَّتي، فبكتْ وبكى، وانصرف.

فلما جاء زوجها أخبرته الخادم بما دار بينهما، فقال: يا عفراء، امْنعي ابن عَمِّكِ من الخروج، فقالت: لا يمتنع، هو وَاللَّهِ أكرمُ وأَشدُّ حياءً من أن يُقيمَ بَعْدَ ما جَرَى بينَكما، فَدَعَاهُ وَقَالَ لهُ: يا أَخِي، اتّقِ اللَّهَ في نَفْسِك، فقد عَرفتُ خَبركَ، وَإِنَّكَ إن رَحَلْت تَلِفْتَ، وَوَاللَّهِ لا أمنعُكَ مِن الاجتماع مَعَها أبداً، وَلئنْ شِئْتَ لَأُفارِقَنَّهَا ولأنزلَنَّ عنها لكَ. فجَزَاهُ خَيراً، وأثنَى عليه، وقال: إنما كانَ الطَّمعُ فيها آفتي، والآن قد يَئِسْتُ، وقد حملتُ نفسي على اليأس والصَّبر، فإنَّ اليَأس يُسْلي،

---

(١) الصَّبوح: شراب الصباح.

ولي أمورٌ، وَلاَ بُدَّ لي من رُجُوعِي إليها، فإن وَجدتُ منْ نفْسي قوّةً على ذلكَ، وإلاّ رجعتُ إليكمْ وَزُرتكم، حتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ مِن أمْري ما يَشاءُ. فزوَّدوه وَأكرمُوه وَشيَّعوه، فانصرَفَ. فلمَّا رَحَل عنهم نُكِسَ(١) بعدَ صلاحهِ وَتماثُلِهِ(٢)، وأصَابهُ غَشْيٌ وَخَفَقَانٌ؛ فكان كُلّما أُغمِيَ عليه أُلقِيَ على وَجهِهِ خِمَارٌ لعَفراءَ زوَّدتْه إيَّاهُ؛ فيُفيق.

[لقاؤه بِعَرَّاف اليمامة وإنشاده]

قالَ: وَلَقِيَهُ في الطَّريق ابنُ مكحولٍ عَرَّافُ اليمامة، فرآه وجَلس عنده، وسأله عمَّا به؛ وهل هو خَبَلٌ(٣) أو جُنونٌ؟ فقالَ لهُ عُرْوةُ: ألكَ عِلمٌ بالأوجاع؟. قالَ: نعمْ؛ فأنشأ يقول: [الطويل]

ومَا بِيَ مِنْ خَبْلٍ ولا بِيَ جِنَّةٌ ... وَلَكِنَّ عَمِّي يَا أُخَيَّ كَذُوبُ
أَقُولُ لِعَرَّافِ اليَمَامَةِ دَاوِني ... فَإِنَّكَ إنْ دَاوَيْتَنِي لَطَبِيبُ
فَوَا كَبِداً أَمْسَت رُفَاتاً كَأَنَّما ... يُلَذِّعُهَا بِالمُوقِدَاتِ طَبِيبُ(٤)
عَشِيَّةَ لا عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدةٌ ... فَتَسْلو ولا عَفْرَاءُ مِنْكَ قَرِيبُ
عَشِيَّةَ لا خَلْفِي مَكَرٌّ ولا الهَوَى ... أمَامِي ولا يَهْوَى هَوَايَ غَرِيبُ
فَوالَّهِ لا أَنْسَاكِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا ... وما عَقَّبَتْهَا في الرِّيَاحِ جَنُوبُ
وإنِّي لَتَغْشَانِي لِذِكْرَاكِ هِزَّةٌ ... لَهَا بَيْنَ جِلْدِي والعِظَامِ دَبِيبُ

وقال أيضاً يخاطب صاحبيه الهلاليّين بقصَّته: [الطويل]

خَلِيلَيَّ مِنْ عُلْيَا هِلالِ بن عَامِرٍ ... بِصَنْعَاءَ عُوجَا اليَوْمَ وَانْتَظِرَانِي
ولا تزْهَدا في الذُّخر عِنْدِي وأَجْمِلاَ ... فَإِنَّكُما بِيَ اليَوْمَ مُبْتَلَيَانِ
أَلِمَّا عَلى عَفْرَاءَ إِنَّكُما غداً ... بِوَشْكِ النَّوَى والبَيْنِ مُعْتَرِفَانِ(٥)
فيا وَاشِيَيْ عَفْرَاءَ وَيْحَكُمَا بِمَنْ ... وَمَا وَإلى مَنْ جِئْتُمَا تَشِيَانِ
بِمَنْ لو أَرَاهُ عَانِياً لَفَدَيْتُهُ ... وَمَنْ لو رَآنِي عَانِياً لَفَدَانِي
مَتى تَكْشِفا عَنِّي القَمِيصَ تَبَيَّنا ... بِيَ الضُّرَّ مِنْ عَفْرَاءَ يا فَتَيَانِ

(١) نُكِسَ: رجع إليه المرض.
(٢) تماثله: شفائه.
(٣) الخَبَل: فساد العقل.
(٤) الرُّفات: الحُطام والفتات.
(٥) النّوى: البعد.

إذنْ تَرَيَا لَحْماً قَليلاً وأَعْظُماً بَلِينَ وقَلْباً دائِمَ الخَفَقانِ
وقد تَرَكَتْنِي لا أعِي لِمُحَدِّثٍ حَدِيثاً وإنْ نَاجَيْتُهُ ونَجانِي
جَعَلْتُ لِعَرَّافِ اليَمَامَةِ حُكْمَهُ وعَرَّافِ حَجْرٍ إنْ هُمَا شَفَيَانِي
فَمَا تَرَكَا مِنْ حِيلَةٍ يَعْرِفَانِها ولا شَرْبَةٍ إلاّ وقد سَقَيَانِي
وَرَشَّا على وَجْهِيَ مِنَ الماءِ سَاعَةً وَقَامَا مَعَ العُوَّادِ يَبْتَدِرَانِ
وقالا: شَفَاكَ اللّهُ وَاللّهِ مَا لَنَا بِمَا ضُمِّنَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ يَدَانِ
فَوَيْلِي على عَفْرَاءَ وَيْلاً كَأَنَّهُ على الصَّدْرِ والأَحْشَاءِ حَدُّ سِنَانِ
أُحِبُّ ابْنَةَ العُذْرِيِّ حُبّاً وإنْ نَأَتْ ودَانَيْتُ فيها غَيْرَ ما مُتَدَانِي

صوت

إذا رَامَ قَلْبِي هَجْرَها حَالَ دُونَهُ شَفِيعَانِ مِنْ قَلْبِي لها جَدِلانِ

غَنَّته شاريةُ. ولحنُه من الثقيل الأوّل.

إذا قُلْتُ لا، قالا بَلَى، ثُمَّ أَصْبَحَا جَمِيعاً على الرَّأْيِ الَّذِي يَرَيَانِ
تَحَمَّلْتُ مِنْ عَفْرَاءَ ما لَيْسَ لي به ولا لِلجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ يَدَانِ
فيَا رَبِّ أَنْتَ المُسْتَعَانُ على الّذِي تَحَمَّلْتُ مِنْ عَفْرَاءَ مُنْذُ زَمَانِ
كَأَنَّ قَطَاةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحِهَا على كَبِدِي مِنْ شِدَّةِ الخَفَقَانِ

في: تَحَمَّلْتُ من عَفراءَ...

والذي بعده، ثقيلٌ أوّل، يقَال إنه لأبي العُبَيس بن حَمدون.

[رثاء عفراء له بعد موته]

قال: فلم يَزَلْ في طريقهِ حتى ماتَ قبلَ أن يصِلَ إلى حيِّه بثلاثِ ليَالٍ، وبلغ عفراءَ خبرُ وفاته، فجَزِعَتْ جَزعاً شدِيداً، وقالت ترْثيه: [الطويل]

أَلاَ أيُّهَا الرَّكْبُ المُخِبُّونَ وَيْحَكُمْ بِحَقٍّ نَعَيْتُمْ عُرْوَةَ بنَ حِزَامِ
فلا تَهْنَأ الفِتْيَانَ بَعْدَكَ لَذَّةٌ ولا رَجعُوا مِنْ غَيْبَةٍ بِسَلامِ
وقُلْ لِلحَبَالَى لا تُرَجِّينَ غَائِباً ولا فَرِحَاتٍ بَعْدَهُ بِغُلامِ

قال: ولم تزلْ تردِّدُ هذه الأبياتَ وتندُبه بها، حتى ماتَتْ بعده بأيَّامٍ قلائِلَ.

[خبر آخر عن معرفته بزواجها وعدم انتفاعه بدواء أو نصح]

وذكَر عُمَر بن شَبَّة في خَبره: أنَّهُ لم يعلمْ بتزويجها حتى لَقِيَ الرُّفقةَ التي هي فيها، وأنَّهُ كان توجَّه إلى ابن عمٍّ له بالشام، لا باليمن، فلمّا رآها وَقَف دَهِشاً، ثم قال: [الطويل]

فَـمـا هِـيَ إلاَّ أنْ أرَاهَـا فُـجَـاءَةً ... فَـأُبْـهَـتَ حَـتَّـى مـا أَكَـادُ أُجِـيـبُ

وَأَصْـدِفُ عَنْ رَأيِي الَّذِي كُنْتُ أَرْتَئِي ... وَأَنْسَى الَّذي أزْمَعْتُ، حِينَ تَغِيبُ

ويُظْـهِـرُ قَـلْـبِي عُـذْرَهَـا ويُـعِـينُـهـا ... عَـلَـيَّ فَـمَـا لـي فـي الـفُـؤادِ نَـصِـيـبُ

وقَـدْ عَـلِـمَـتْ نَـفْسِي مَـكـانَ شِفَـائِهـا ... قَـرِيـبـاً، وهَـلْ مـا لا يُـنَـالُ قَـرِيـبُ؟

حَـلَـفْـتُ بِـرَبِّ الـسَّـاجِـدِيـنَ لِـرَبِّـهِـمْ ... خُـشُـوعـاً، وفَـوْقَ الـسَّـاجِـدِيـنَ رَقِـيـبُ

لَـئِـنْ كَـانَ بَـرْدُ الـمَـاءِ حَـرَّانَ صَـادِيـاً ... إلَـيَّ حَـبِـيـبـاً إنَّـهـا لَـحَـبِـيـبُ

وقال أبو زيد في خبره: ثم عادَ من عندِ عفراءَ إلى أهله، وقد ضَنِيَ ونَحَلَ، وكانت له أخَواتٌ وخالةٌ وجَدَّة، فجعلنَ يَعِظْنهُ ولا يَنْفعُ، وجِئْنَ بِأَبِي كُحيلةَ رَباح بن شدَّاد مولى بَني ثُعَيْلة، وهو عرَّاف حَجْر، ليداويَه فلم ينفعْهُ دَواؤه.

وذكر أبو زيد قصيدتَه النُّونيّةَ التي تقدَّم ذكرُها، وزاد فيها: [الطويل]

وعَـيْـنَـانِ مَـا أوْفَـيْـتُ نَـشْـزاً فـتَـنْـظُـرا ... مَـآقِـيـهِـمـا إلاَّ هـمـا تَـكِـفَـانِ[١]

سِوَى أَنَّنِي قد قُلْتُ يَوْماً لِصَاحِبي ... ضُـحًـى وقَـلُـوصَـانَـا بِـنَـا تَـخِـدَانِ[٢]

أَلاَ حَـبَّـذَا مِـنْ حُـبِّ عَـفْـرَاءَ وَادِيـاً ... نَـعَـامٌ وبُـزْلٌ حَـيْـثُ يَـلْـتَـقِـيَـانِ

وقال أبو زيد: وكان عُروةُ يأتي حِياضَ الماء التي كانت إبلُ عفراءَ تَردها فيُلصِقُ صدرَه بها، فيقال له: مَهلاً، فإنَّك قاتِلٌ نفسَك، فاتقِ اللّه. فلا يقبل، حتى أشرفَ على التَّلف، وأحسَّ بالموتِ.

فجعل يقول: [الطويل]

بِـيَ الـيَـأْسُ والـدَّاءُ الـهُـيَـامُ سُـقِـيـتُـهُ ... فَـإِيَّـاكَ عَـنِّـي لا يَـكُـنْ بِـكَ مَـا بِـيَـا

(١) وكف الدمع: ذرف.

(٢) الوَخْد: ضرب من السير السريع للإبل.

[موته]

أخبرني الحَرَميُّ بن أبي العلاءِ قال: حدَّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال: حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجَشُون، عن أبي السَّائب قال: أخبرني ابنُ أبي عَتِيق قال: واللَّهِ إنّي لأسيرُ في أرض عُذْرة إذا بامرأةٍ تحمل غلاماً جَزْلاً[١]، ليس يُحَمُل مثلُه، فعَجِبتُ لذلكَ، حتى أقبَلَتْ به، فإذا له لحيةٌ، فدعوتُها فجاءَت، فقلتُ لها: وَيحكِ! ما هذا؟ فقالت: هل سمعتَ بعروةَ بن حزام؟ فقلت: نعم، قالت: هذا واللَّه عروةُ. فقلت له: أنت عروة؟ فكلّمني وعيناه تذرِفانِ وتدوران في رأسه، وقال: نعم أنا واللَّهِ القائل: [الطويل]

جَعَلْتُ لِعَرَّافِ اليَمَامَةِ حُكْمَهُ ... وَعَرَّافِ حَجْرٍ إنْ هُمَا شَفَيانِي
فقَالا نَعَمْ نَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كُلِّهِ ... وقَامَا مَعَ العُوَّادِ يَبْتَدِرانِ
فعَفْرَاءُ أَحْظَى النَّاسِ عِنْدي مَوَدَّةً ... وعَفْرَاءُ عَنِّي المُعْرِضُ المُتَوَانِي

قال: وذهبت المرأةُ، فما بَرِحْتُ من الماءِ حتى سمعتُ الصّيحةَ، فسألتُ عنها، فقيل: ماتَ عُروةُ بنُ حزامٍ.

قال عبدُ الملك: فقلت لأبي السَّائب: ومن أيِّ شيءٍ مات؟ أظنُّه شَرِقَ، فقال: سَخُنَتْ عَيناكَ[٢]، بأيِّ شيءٍ شرِق؟ قلت: بِريقِهِ ـ وأنا أريد العبثَ بأبي السَّائب ـ أفترَى أحداً يموتُ من الحبِّ؟ قال: واللَّه لا تُفلحُ أبداً، نعم يموتُ خوفاً أن يتوبَ اللَّهُ عليه!!

أخبرني عَمّي قال: حَدَّثنا الكرانيُّ، عن العمريِّ، عن الهيثم بن عديٍّ، عن هشام بن عروةَ، عن أبيه، عن النعمانِ بن بشير قال: وَلاَّنِي عثمانُ ـ رَضِيَ اللَّه عنه ـ صَدقاتِ سعد هُذيْم، وهم: بَليٌّ وسَلامانُ وعُذْرَةُ وضَبَّةُ بن الحارثِ ووائلُ بنو زيد، فلمّا قبضتُ الصَّدقَة قسّمتُها في أهلها، فلمّا فرغتُ وانصرفتُ بالسّهمين إلى عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ إذا أنا ببيتٍ مُفرَدٍ عن الحيِّ، فملتُ إليه، فإذا أنا بفتًى راقدٍ في فناء البيت، وإذا بِعَجُوزٍ من ورائه في كِسْر[٣] البيتِ، فسَلَّمْتُ عليه، فردَّ عليَّ

---

(١) الجزل: الغليظ العظيم.

(٢) سخنت عيناك: دعاء عليه بالبكاء وذرف الدموع.

(٣) كِسْرُ البيت: جانبه.

بصوتٍ ضعيفٍ، فسألتُه: ما لك؟ فقال: [الطويل]

كَأنَّ قَطَاةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحِهَا عَلى كَبِدِي مِنْ شِدَّةِ الخَفَقَانِ

وذكر الأبيات النونيَّة المعروفةَ، ثم شهَق شَهقةً خفيفةً كانت نفسهُ فيها، فنظرتُ إلى وجهه فإذا هو قد قَضَى فقلت: أيَّتُها العجوزُ، مَن هذا الفتى منكِ؟ قالت: ابني، فقلت: إني أراه قد قضى، فقالت: وأنا واللَّه أرى ذلك، فقامت فنظرتْ في وجهِه ثم قالت: فاظ[1] وربِّ محمدٍ، قال: فقلت لها: يا أُمَّاه، من هو؟ فقالت: عُروةُ بن حزام، أحدُ بني ضَبَّة، وأنا أُمُّه، فقلت لها: ما بلغ به ما أرى؟ قالت: الحبُّ، واللَّهِ ما سمعتُ له منذ سَنةٍ كلمةً ولا أَنَّةً إلا اليومَ، فإنه أقبل عليَّ ثم قال: [البسيط]

مَنْ كَانَ مِنْ أُمَّهَاتِي بَاكِياً أَبَداً فَالْيَومَ إِنِّي أُرَانِي اليَوْمَ مَقْبُوضا

يُسْمِعْنَنيهِ فَإِنِّي غَيْرُ سَامِعِهِ إذا عَلَوْتُ رِقَابَ القَوْمِ مَعْرُوضَا

قال: فما بَرِحتُ من الحيِّ حتى غسَّلتُه، وكفَّنتُه، وصلَّيتُ عليه، ودفَنْتُه.

[خبر عن موت عفراء]

وذكر أبو زيد عمر بن شَبَّة في خبره، هذه القصةَ عن عُروة بن الزُّبيرِ، فقال هذين البيْتين بحضْرَتِهِ:

مَنْ كَانَ مِنْ أخواتي بَاكياً أبداً ....

قال: فحضرنَه فبَرزْنَ - واللَّهِ - كأنهنّ الدُّمى، فشقَقْنَ جُيوبَهُنّ، وضربْنَ خُدودهُنّ، فأبكينَ كلَّ مَن حضَر. وقضى من يومه.

وبلغ عفراء خبرُه، فقامتْ لزوجها فقالتْ: يا هَناه، قد كان من خبرِ ابن عَمّي ما كان بَلَغَكَ، وواللَّهِ ما عرفْتُ منه قَطُّ إلاّ الحسنَ الجميلَ، وقد مات فيّ وبِسَبَبي، ولا بُدَّ لي من أن أندُبَه وأُقِيمَ مأتماً عليه. قال: افْعلي. فما زالت تندُبه ثلاثاً، حتى تُوُفِّيَتْ في اليوم الرابع. وبلغ معاويةَ بن أبي سُفيانَ خبرُهما، فقال: لو عَلِمْتُ بِحال هَذيْن الحُرَّيْن الكريميْنِ لَجمعتُ بينَهُما.

ورُوِيَ هذا الخبر عن هارونَ بن موسى القرويّ، عن محمد بن الحارث

(١) فاظ: أي فاض.

المخزوميّ، عن هشام بن عبدِ اللَّه، عن عِكرمة، عن هشام بن عروةَ عن أبيه، أنَّه كان شاهداً ذلك اليومَ. ولم يذكر النعمانَ بن بشير في خبره.

وذكر هارون بن مسلمة عن غُصَيْن بن بَرّاق، عن أم جميلِ الطائيَّةِ، أنّ عفراءَ كانت يتيمةً في حِجْرِ عمِّها، فعرَضَها عليه فأباها، ثم طال المَدَى، وانصرف عروةُ في يوم عيدٍ، بعدَ أن صَلَّى صلاةَ العيدِ، فرآها وقد زُيِّنَتْ، فرأى منها جمالاً بارعاً، وقَدَّمَتْ له تُحْفَةً[1] فنال منها وهو ينظر إليها، ثم خطبها إلى عَمِّه فمَنعه ذلك، مكافأةً لما كان من كراهَتِهِ لها لمَّا عرضها عليه، وزوَّجها رجلاً غيره فخرج بها إلى الشام، وتمادَى في حبِّها حتى قتله.

[الطّواف به حول الكعبة]

حدَّثنا محمد بن خَلَف وَكِيع قال: حدَّثنا عبدُ اللَّه بن شَبيب قال: حدَّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبة وغيرُه، عن سليمانَ بن عبد العزيز بن عمران الزُّهريِّ قال: حدَّثني خارجةُ المكِّيُّ أنه رأى عُروةَ بن حزامٍ يُطَافُ به حولَ البيت، قال: فَدَنَوتُ منه، فقلت: مَن أنت؟ فقال: الَّذي أقول: [الطويل]

أَفِـي كُـلِّ يَـوْمٍ أَنْـتَ رَامٍ بِـلادَهـا ... بِـعَـيْـنَـيْـنِ إِنْسَـانَـاهُـمـا غَـرِقَـانِ
أَلا فَـاحْـمِـلانـي بَـارَكَ الـلَّـهُ فِـيـكُـمـا ... إلـى حَـاضِـرِ الـرَّوْحـاءِ ثُـمَّ ذَرَانِـي

فقلتُ له: زِدْنِي، فقال: لا واللَّه ولا حَرْفاً.

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفشُ قال: حدَّثني أبو سعيدٍ السكَّريُّ قال: حدَّثني محمدُ بن حبيب قال: ذكر الكلبيُّ، عن أبي صالح، قال: كنتُ مع ابنِ عبّاس بعرفةَ، فأتاه فِتيانٌ يحملون بينهم فتًى لم يبقَ منه إلا خَيالُه، فقالُوا له: يابْنَ عَمِّ رسولِ اللَّه، ادْعُ له، فقال: وما به؟ فقال الفتى: [الطويل]

بِنَا مِنْ جَوَى الأَحْزَانِ في الصَّدْرِ لَوْعةٌ ... تَـكَـادُ لـهـا نَـفْـسُ الـشَّـفِـيـقِ تَـذُوبُ
وَلَـكِـنَّـمـا أَبْـقَـى حُـشَـاشَـةَ مُـعْـوِلٍ ... عـلـى مـا بِـهِ عُـودٌ هُـنَـاكَ صَـلِـيـبُ

قال: ثم خَفَتَ في أيديهم فإذا هو قد مات.

فقال ابنُ عَبّاسٍ:

---

(١) التحفة: العطيّة.

هـذا قَـتِـيـلُ الـحـبِّ لا عَـقْـلٌ ولا قَـوَدُ

ثم ما رأيتُ ابن عبّاس سأل اللّه ـ جَلَّ وعزَّ ـ في عَشِيَّتِهِ إلاّ العافيةَ ممَّا ابتُلِيَ به ذلك الفَتَى، قال: وسألنا عنه فقيل: هذا عُروةُ بنُ حزام.

صوت

[الطويل]

أَعَـالِـيَ أَعْـلَـى الـلّـهُ جَـدَّكِ عَـالِـيـاً وَأَسْقَـى بِـرَيَّـاكِ الـعِـضَـاهَ الـبَـوَالِـيَـا[1]

أَعَـالِـيَ مـا شَـمْـسُ الـنَّـهَـارِ إذا بَـدَتْ بِـأَحْسَـنَ مِـمَّـا تَـحْـتَ بُـرْدَيْـكِ عَـالِـيـا

أَعَـالِـيَ لَـوْ أَنَّ الـنِّـسَـاءَ بِـبَـلْـدَةٍ وَأَنْـتِ بِـأُخْـرَى لاتَّـبَـعْـتُـكِ مَـاضِـيَـا

أَعَـالِـيَ لـو أَشْـكُـو الَّـذِي قَـدْ أَصَـابَـنِـي إلـى غُـصُـنٍ رَطْـبٍ لأَصْـبَـحَ ذَاوِيَـا

الشعر للقَتَّال الكِلابيّ.

وقد أدخل بعضُ الرُّواة الأوّلَ من هذه الأبياتِ مع أبياتِ سُحَيم عَبْدِ بني الحَسْحَاس التي أوّلُها:

فـمـا بـيـضـةٌ بـاتَ الـظَّـلـيـمُ يَـحُـفُّـهـا[2] . . . .

في لَحْنٍ واحدٍ، وذكرتُ ذلك في موضِعِه، وأفردتُه على حِدَتِه، وأتيتُ به على حقيقَتِه.

والغناءُ لابن سُرَيجٍ، ثاني ثقِيل بالسّبابةِ في مجرى الوُسْطَى، وذكر الهشاميُّ أن فيه لأبي كامل ثاني ثَقيل، لا أدْرِي أهذا يَعْنِي أم غيره، ووافَقه إبراهيمُ في لحن أبي كامل ولم يُجَنِّسه، وزعَم أن فيه لحناً آخر لابن عَبَّاد، وفيه ثقيلٌ أوّلُ، ذكر ابن المكيِّ أنه لمعْبَد، وذكر الهشاميّ أنّه ليحيى منحولٌ إلى مَعْبدٍ. وذكر حَبَشٌ أنّه لِطُوَيس.

وفي هذه القصيدةِ يقول القَتَّالُ: [الطويل]

أَعَـالِـيَ أُخْـتَ الـمَـالِـكِـيِّـيـنَ نَـوِّلِـي بِـمَـا لَـيْـسَ مَـفْـقُـوداً وفِـيـهِ شِـفَـائِـيَـا

أَصَـارِمَـتِـي أُمُّ الـعَـلاَءِ وقـد رَمَـى بِـيَ الـنَّـاسُ فـي أُمِّ الـعَـلاَءِ الـمَـرَامِـيَـا

---

(١) أعالي: مرخّم أعالية. والعضاه: كل شجر له شوك.

(٢) وعجز البيت:

«ويـرفـعُ عـنـهـا جـؤجـؤاً مـتـجـافـيـا»

أَيَا إِخْوَتِي لاَ أُصْبِحَنْ بِمُضِلَّةٍ ... تُشِيبُ إذا عُدَّتْ عَلَيَّ النَّوَاصِيا[١]
فَرَادِ لَدَيْكَ القَوْمَ واشْعَبْ بِحَقِّهِمْ ... كما كُنْتَ لو كُنْتَ الطَّرِيدَ مُرَادِيَا[٢]
وشَمِّرْ ولا تَجْعَلْ عَلَيْكَ غَضَاضَةً ... ولا تَنْسَ يَابْنَ المُضَرَّجِيِّ بَلاَئِيَا

ولهذه القصيدةِ أخبارٌ تُذكَر في مواضِعها ها هُنا إن شاء اللَّهُ تعالى.

(١) المُضِلَّة: المكان الذي يضلّ فيه الإنسان

(٢) رادِ: أمر من رادى بمعنى راود.

أخبار القَتَّال ونسبه

[اسمه ونسبه وهربه بعد قَتْلِ ابن عَمّه]

القَتَّال لَقَبٌ غَلَبَ عليه، لِتَمرُّدِه وفَتكه، واسمه عبد اللّه بن المُضَرَّجِيّ بن عامر الهَصَّان بن كعب بن عبد اللّه بن أبي بكر بن كِلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة. ويكنى أبا المُسَيَّب، وأُمّه عَمْرة بنتُ حُرَقة بن عوف بن شَدَّاد بن ربِيعة بن عبد اللّه بن أبي بكر بن كلاب.

وقد ذكرها في شعره وَفَخَر بها، فقال: [الطويل]

لَـقَـدْ وَلَـدَتْـنِـي حُـرَّةٌ رَبَـعِـيَّـةٌ مِنَ اللاَّءِ لم يَحْضُرْنَ في القَيْظِ ذَبْذَبا[1]

نسخْتُ من كتاب لمحمَّد بن داوُد بن الجَرَّاح خبره، وذكر أنَّ عبد اللّه بن سليمان السِّجِسْتانيّ دَفَعَه إليه وأخبره أنَّه سَمِعَهُ من عُمَر بنِ شَبَّةَ وأجاز له رِوايتَه، وأخبرني بأكثرِ روايةِ عمر بن شَبَّةَ هذه الأخفشُ عن السكّريِّ عنه في أخبار اللُّصوص وجمعتُ ذلك أجمع.

قال عمر بن شبَّة: حدَّثني حُمَيد بن مالِك بن يسار المِسْمعيّ قال: حدَّثني شَدَّاد بن عُقبة بن رَافع بن زَمْل بن شُعَيب بن الحارث بن عامر بن كعب بن عبد اللّه بن أبي بكر بن كلاب. وكانت أُمُّ رافع جَنُوبَ بنتَ القَتَّال.

[القَتَّال يقتل زياداً أخي العالية حبيبته]

وحَدَّثني شيخٌ من بني أبي بكر بن كِلاب، يكنى أبا خالد، أيضاً بحديث القَتَّال، قال أبو خالد: كان القَتَّالُ قَتَّالُ ربيعةَ بن عبد اللّه بن أبي بكر بن كلاب،

(١) الذّبذب: ركيّة في ديار بني أبي بكر بن كِلاب.

يتحدَّث إلى ابنة عَمٍّ له يقال لها العَاليةُ بنت عبيد اللّه، وكان لها أخٌ غائِبٌ يقال له: زياد بن عُبَيد اللّه، فلمَّا قَدِمَ رأى القَتَّالَ يتحدَّثُ إلى أُختِه، فنهاهُ وحلف لئن رآه ثانيةً ليقْتُلَنَّه. فلمَّا كان بعد ذلك بأيَّام رآهُ عندها، فأخذ السيف وبَصُرَ به القتّال، فخرج هارباً، وخرج في إثره، فلمَّا دنَا منه ناشده القَتّالُ بِاللّهِ والرَّحِم، فلم يلتفتْ إليه. فبينَا هُو يسعَى، وقد كاد يَلحَقُه، وجَد رُمْحاً مَرْكوزاً ـ وقال السكريّ: وجد سَيفاً ـ فأخذه وعطف على زيادٍ فقتَله، وقال: [الطويل]

نَهَيْتُ زِيَاداً والمَقَامَةُ بَيْنَنا ... وذَكَّرْتُهُ أَرْحَامَ سِعْرٍ وهَيْثَمِ
فلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّه غَيْرُ مُنْتَهٍ ... أَمَلْتُ له كَفِّي بِلَدْنٍ مُقَوَّمِ[١]
وَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّنِي قَدْ قَتَلْتُهُ ... نَدِمْتُ عَلَيْهِ أَيَّ سَاعَةِ مَنْدَمِ

وقال أيضاً: [الطويل]

نَهَيْتُ زِيَاداً وَالمَقَامَةُ بَيْنَنَا ... وَذَكَّرْتُه بِاللَّهِ حَوْلاً مُجَرَّما[٢]
فلمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ غَيْرُ مُنْتَهٍ ... ومَوْلاَي لا يَزْدَادُ إلاَّ تَقَدُّما
أَمَلْتُ له كَفِّي بِأَبْيَضَ صَارِم ... حُسَام إذا ما صَادَفَ العَظْمَ صَمَّما
بِكَفِّ امْرِىءٍ لم تَخْدُمِ الحَيَّ أُمُّهُ ... أَخِي نَجَدَاتٍ لم يَكُنْ مُتَهضَّما[٣]

[هربه وشِعره في ذلك]

ثم خرج هارباً، وأصحابُ القَتيل يطلُبونه، فمرَّ بابنة عمٍّ له تُدْعَى زينب، مُتَنَحِّيةٍ عن الماء، فدخل عليها، فقالت له: وَيْحَكَ! ما دَهَاك؟ قال: ألقي عَلَيَّ ثِيَابَكِ، فألْقَتْ عليه ثيابَها، وألْبَسَتْه بُرْقُعَهَا، وكانت تمسُّ حِنَّاءً، فأخذ الْحِنَّاءَ فلطَّخ بها يَدَيْه وتَنحَّتْ عنه، ومَرَّ الطلَبُ به، فلمَّا أتوا البيت قالوا وهم يظُنُّونَ أَنَّهُ زينب: أين الخَبيثُ؟ فقال لهم: أخَذ هاهنا، لغير الوَجْهِ الذي أراد أن يأخُذه. فلمَّا عرف أن قد بَعُدوا أخَذ في وجهٍ آخرَ، فلَحِقَ بعَمايةَ[٤]، وعمايةُ جَبلٌ فاستَتَر فيه، وقال في ذلك: [الطويل]

فَمَنْ مُبْلِغٌ فِتْيَانَ قَومِيَ أَنَّنِي ... تَسَمَّيْتُ لَمَّا شَبَّتِ الحَرْبُ زَيْنَبَا

---

(١) لدن مُقَوَّم: رمح لَيِّن مُسَوًّى.
(٢) الحَوْل المُجَرَّم: العام التامّ المنقضي.
(٣) المتهضَّم: المنقاد.
(٤) عَمَاية: جبل بنجد (معجم البلدان ٤: ١٥٢).

وأَرْخَيْتُ جِلْبابي على نَبْتِ لِحْيتي ... وَأَبْدَيْتُ لِلنَّاسِ البَنانَ المُخَضَّبا

وقال أيضاً: [الطويل]

جَزَى اللّهُ عَنَّا والجَزَاءُ بِكَفِّهِ ... عَمَايَةَ خَيْراً أُمَّ كُلِّ طَرِيدِ

فما يَزْدَهِيها القَوْمُ إنْ نَزلُوا بها ... وإنْ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ كُلَّ بَرِيدِ

حَمَتْنِيَ مِنْهَا كُلُّ عَنْقَاءَ عَيْطَلٍ ... وكُلُّ صَفاً جَمٍّ القِلاَتِ كَؤُودِ[1]

فمكث بِعَمايةَ زماناً يأتيه أخٌ له بما يحتاج إليه، وأَلِفَهُ نَمِر في الجبَلِ كان يأوي مَعه في شِعْبٍ.

وأخبرني عبدُ اللّه بن مالك، قال: حدَّثني محمدُ بن حَبيب، عن ابن الكلبيّ، قال: كان القَتّالُ الكِلابيُّ أصابَ دماً، فطُلِبَ به، فهرب إلى جبَل يقال له عَماية، فأقام في شعبٍ مِن شِعابِهِ، وكان يأوي إلى ذلك الشِّعب نَمِرٌ، فراح إليه كعادتِه، فلمَّا رأى القَتّالَ كَشَر عن أنيابِه، ودلعَ لِسَانَه[2] فجرَّدَ القَتّالُ سيفَه من جَفْنِه، فردَّ النَّمِرُ لسانَه، فشام[3] القَتّالُ سيفَه، فربَضَ بإزائه، وأخرج براثنه، فَسَلَّ القتّالُ سهامَه من كِنانتِه، فَضَرَب بيدِهِ وزأَرَ، فأَوْتَرَ القتّالُ قوسَه، وأنبضَ وترَها، فسكن النَّمِرُ وأَلِفَهُ.

فقال ابنُ الكلبيِّ في هذا الخبر، ووافقه عمر بن شبَّة في روايته: كان النمر يصْطادُ الأَرْوَى[4]، فيجيءُ بما يَصْطاده، فيُلقيه بين يدي القتّال، فيأخذ منه ما يقُوته، ويُلقي الباقي للنّمر فيأكلُه، وكان القتّالُ يخرجُ إلى الوَحْش فيرمي بِنَبْله، فيُصيب منه الشيءَ بعد الشيء، فيأتي به الكهف، فيأخُذُ لِقُوته بعضَه، ويلقي الباقي للنَّمر. وكان القتّالُ إذا ورَدَ الماءَ قام عليه النَّمرُ حتى يشْرب، ثم يتنَحَّى القتّالُ عنه وَيرِدُ النَّمِرُ، فيقُومُ عليه القتّالُ حتى يشْرب، فقال القتّال في ذلك من قصيدة له: [الطويل]

وَلِي صَاحِبٌ في الغَارِ يَعْدِلُ صَاحِباً ... أَبَا الجَوْنِ إلاَّ أَنَّهُ لا يُعَلَّلُ[5]

---

(١) العيطل: الطويل العنق. والصّفا: جمع الصفاة: الصخرة العظيمة. والقِلات: جمع القلت: النقرة في الجبل تمسك الماء. والكؤود: الصعب المرتقى.

(٢) دلع لسانه: أخرجه.

(٣) شام السيف: أدخله الغِمْد.

(٤) الأروى: جمع الأروية: هي أنثى الوعل.

(٥) يعدل: يساوي.

أبو الجوْن: صديق له كان يأنس به، فشبّهه به. وفي رواية عمر بن شَبَّة: أخي الجون، فإن القتَّال كان له أخ اسمه الجوْنُ، فَشبَّهُهُ به:

كِلانَا عَدُوٌّ لا يرَى في عَدُوِّهِ ... مَهَزّاً وكُلٌّ في العَدَاوةِ مُجْمِلُ[1]

إذا ما الْتَقَيْنا كَانَ أُنْسُ حَدِيثِنا ... صِمَاتاً وطَرْفٌ كَالمَعَابِلِ أَطْحَلُ[2]

لنَا مَوْرِدٌ قَلْتٌ بِأَرْضِ مَضَلَّةٍ ... شَرِيعَتُنا: لأيِّنا جَاءَ أوَّلُ[3]

تَضَمَّنَتِ الأَرْوى لنا بِشِوَائِنا ... كِلاَنا له منها سَدِيفٌ مُخَرْدَلُ[4]

فَأَغْلِبُهُ في صَنْعَةِ الزَّادِ إنَّني ... أُمِيطُ الأذَى عنه وما إنْ يُهَلِّلُ

أي ما يُسَمِّي اللَّهَ تعالى عند صَيْدِه.

[دعوة أبي سفيان له]

أخبرني اليزيديّ قال: حدّثني عمِّي الفضلُ عن إسحاقَ الموصلي، وأخبرني به محمد بن جعفر الصَّيْدَلانيّ، عن الفضل، عن إسحاق، وأخبرني به وَسواسة بن الموصليّ عن حمَّادٍ، عن أبيه، قال: قال أبو المجِيب أو شَدَّاد بن عقبة: دعا رجلٌ من الحيّ يقال له أبو سفيان، القتَّالَ الكلابيَّ إلى وَليمةٍ، فجلس القتَّالُ ينتظر رسوله ولا يأكل حتى انتَصَف النَّهار، وكانت عنده فِقرة من حُوار[5] فقال لامرأته: **[الطويل]**

فَإنَّ أَبَا سُفْيَانَ لَيْسَ بِمولمٍ ... فَقُومِي فَهَاتِي فِقْرَةً مِنْ حُوَارِكِ

قال إسحاق: فقلتُ له: ثمَّ مَهْ؟ قال: لم يأتِ بعده بشيءٍ، إنَّما أَرْسَلَه يتيماً. فقلتُ له: لِمَهْ؟ أفلا أَزِيدُكَ إليه بيتاً آخرَ ليس بدونِه؟ قال: بَلى، فقلتُ: **[الطويل]**

فبَيْتُكِ خَيْرٌ من بُيوتٍ كَثِيرةٍ ... وقِدْرُكِ خَيْرٌ من وَلِيمَةِ جَارِكِ

فقال: بأَبي أنتَ وأمِّي، واللَّه لقد أرسلتَه مثلاً، وما انتظرتَ به العربَ، وإنكَ لَبَزٌّ طَرَّازٍ[6] ما رأيتُ بالعراق مثله، وما يُلامُ الخليفةُ أن يُدنِيكَ ويُؤْثِرَك ويتَملَّح بك،

---

(١) مَهَزّاً: شدّة.

(٢) المعابل: جمع المعبلة: هي النّصل العريض الطويل. والأطحل: ما كان في لون الرماد.

(٣) القَلْت: النقرة في الجبل تمسك الماء.

(٤) السّديف: لحم السّنام. والمخردل: الممزوج بالخردل.

(٥) الحُوَار: ولد الناقة.

(٦) الطّرّاز: الذي يقوم بتطريز الثياب وزخرفتها.

ولو كان الشَّبابُ يُشتَرى لابْتَعتُه لك بإحدى يَدَيَّ، ويُمنى عينَيَّ، وعلى أنَّ فيكَ بحمد اللَّه بقيَّة تَسُرُّ الوَدُودَ، وتُرغمُ الحسُود.

[ابناه المسيّب وعبد السلام]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدَّثني عمر بن شَبَّة قال: كان للقَتَّال ابنان، يقال لأحدهما المسيَّب، وللآخر عبد السلام، ولعبد السّلام يقول:

[البسيط]

عَبْدَ السَّلام تَأَمَّلْ هَل تَرَى ظُعُناً ... إنِي كَبِرْتُ وأنتَ اليَوْمَ ذو بَصَرِ
لا يُبْعِدُ اللَّهُ فِتْيَاناً أَقُولُ لَهُمْ ... بِالأَبْرَقِ الفَرْدِ لمَّا فَاتَنِي نَظَرِي[1]
أَلاَ تَرَوْنَ بِأَعْلَى عَاسِمٍ ظُعُناً ... نَكَّبْنَ فَحْلَينِ واسْتَقْبَلْنَ ذا بَقَرِ[2]

وقال أبو زيد عُمَر بن شَبَّة من رواية ابن داود عنه: حدَّثني سَعِيد بنُ مالك قال: حدَّثني شَدَّاد بن عُقْبة قال: اقتَتل بنو جَعْفَر بن كِلاب وبنو العَجْلان بن كَعْب بن ربيعة بن صَعْصَعة، فقتلت بنو جَعفر بن كلابٍ رَجُلاً من بني العَجْلان، قال شدَّاد: وكانت جَدَّة القَتَّالِ أمُّ أبيه عَجلانِيَّةً، وهي خَوْلَةُ بنت قيس بن زياد بن مالك بن العجلان، فاستبطأ القَتَّال أخوالَه بني العَجْلان في الطَّلَبِ بثأرِهِمْ من بني جعفر، وجعل يحضُّهم ويُحرِّضُهم، فقال في ذلك، وقد بلَغَهُ أنَّهم أَخَذُوا من بني جعفر دِيَةَ المقتول، فعيَّرهم بما فَعَلُوا وقال:

[الطويل]

لَعَمْرِي لَحيٌّ مِنْ عُقَيْلٍ لَقِيتُهُمْ ... بِخَطْمَةَ أو لاَقَيْتُهُم بِالمَنَاسِكِ[3]
عَلَيْهِمْ مِنَ الحَوْكِ اليَمَانِيِّ بِزَّةٌ ... علـى أَرْحَبِيَّاتٍ طِوَالِ الْحَوارِكِ[4]
أَحَبُّ إلى نَفْسِي وأَمْلَحُ عِنْدَها ... مِنَ السَّرَواتِ آلِ قَيْسِ بنِ مالِكِ
إذا ما لَقِيتُمْ عُصْبَةً جَعْفَرِيَّةً ... كَرِهْتُمْ بَنِي اللُّكْعَاءِ وَقْعَ النَّيَازِكِ[5]

---

(١) الأبرق: مكان غليظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة.

(٢) عاسم: اسم ماء لكلب بأرض الشام وهو رمل لبني سعد (معجم البلدان ٤:٦٧). وفحلين: موضع في جبل أحد (معجم البلدان ٤:٢٣٧). وذو بقر: وادٍ بين أخيلة الحمى، حمى الربذة (معجم البلدان ١:٤٧١).

(٣) خَطْمَة: موضع في أعلى المدينة (معجم البلدان ٢:٣٧٩).

(٤) الأرحبيات: نسبة إلى أرحب: هو مخلاف باليمن تُنسب إليه الإبل. والحوارك: جمع الحارك: هو أعلى الكاهل.

(٥) النيازك: جمع النيزك: الرمح القصير.

فلَسْتُمْ بِأَخْوَالِي فلا تَصْلِبُنَّنِي ... وَلَكِنَّما أُمِّي لإحْدَى العَوَاتِكِ(١)
قِصَارُ العِمَادِ لا تَرَى سَرَوَاتِهِمْ ... مَعَ الوَفْدِ جَثَّامُونَ عِنْدَ المَبَارِكِ
قُتِلْتُمْ فَلَمَّا أَنْ طَلَبْتُمْ عُقِلْتُمُ ... كَذَلِكَ يُؤْتَى بِالذَّلِيلِ كَذَلِكِ

[اغتياله للسجّان وهربه]

وقال ابن حبيب: خرج ابنُ هَبَّار القُرشيُّ إلى الشَّام في تجارة أو إلى بعض بني أُمَيَّة، فاعترضه جماعةٌ فيهم القَتَّال الكلابيُّ وغيره، فقتلوه وأخذوا مالَه. وشاع خبره، فاتُّهِمَ به جماعةٌ من بني كِلابٍ وغيرُهم من فُتَّاك العرب، فأُخِذوا وحُبِسوا، أخذهم عامل مروانَ بن الحكم، فوجَّهَهُم إليه وهو بالمدينة، فحبَسهم ليبحث عن الأمر، ثم يقْتل قتَلة ابن هَبَّار، فلما خَشِيَ القتَّال أن يُعلم أمرُهُ، ورأى أصحابَه ليس فيهم غَناءٌ ـ اغتال السَّجّان فقتله، وخرج هو ومن كان معه من السِّجن فهربوا، فقال يذكر ذلك: [الطويل]

أُمَيْمَ أثِيبِي قَبْلَ جِدِّ التَّزَيُّلِ ... أثِيبِي بِوَصْلٍ أو بِصُرْمٍ مُعَجَّلِ(٢)
أُمَيْمَ وَقَدْ حُمِّلْتُ مَا حُمِّلَ امْرُؤٌ ... وفي الصُّرْمِ إحْسَانٌ إذا لم تُنَوِّلِي

وهي قصيدة طويلة يقول فيها:

وإنِّي وذِكْرِي أُمَّ حَسَّانَ كالفَتى ... مَتَى ما يَذُقْ طَعْمَ المُدَامَةِ يَجْهلِ
ألاَ حَبَّذا تِلْكَ البِلادُ وأهْلُها ... لَوَ انَّ عَذَابِي بالمدينةِ يَنْجَلي
بَرَزْتُ لها من سِجْنِ مَرْوانَ غُدْوَةً ... فَآنَسْتُها بالأيْمِ لم تَتَحَوَّلِ(٣)
وآنَسْتُ حَيّاً بالمَطَالِي وجَامِلاً ... أبَابِيلَ هَطْلَى بينَ رَاعٍ ومُهْمِلِ(٤)
نَظَرْتُ وقد جَلَّى الدُّجَى طَامِسَ الصُّوَى ... بِسِلْعٍ وقَرْنُ الشَّمْسِ لَمْ يَتَرَجَّلِ(٥)
وشُبَّتْ لَنَا نَارٌ لِلَيْلَى صَبَاحه ... يُذَكَّى بِعُودٍ جَمْرُها وقَرَنْفُلِ

---

(١) العواتك: هن: عاتكة بنت هلال أم هاشم بن عبد مناف، وعاتكة بنت مرة بن هلال، أم هاشم بن عبد مناف، وعاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال أم وهب أبي آمنة أم رسول الله ﷺ، وهنّ من سليم.

(٢) التَّزَيُّل: التفرّق. والصُّرْم: القطيعة.

(٣) آنستها: رأيتها ويريد الظعن، والأيم: جبل أسود بحمى ضريّة.

(٤) المطالي: أرض واسعة من بلاد أبي بكر بن كلاب (معجم البلدان ٥:١٤٧). والجامل: القطيع من الجمال. والأبابيل: الجماعات.

(٥) الصُّوى: المعالم. وسلع: جبل بسوق المدينة (معجم البلدان ٣:٢٣٧). ولم يترجّلْ: لم يرتفع.

يُضِيءُ سَنَاها وَجْهَ لَيْلَى كَأَنَّما يُضِيءُ سَنَاها وَجْهَ أَدْمَاءَ مُغْزِلِ[١]
عَلا عَظْمُها واسْتَعْجَلَتْ عن لِدَاتِها وشَبَّتْ شَبَاباً وَهْيَ لَمَّا تُسَرْبَلِ[٢]
وَلَمَّا رَأَيْتُ البَابَ قد حِيلَ دُونَهُ وخِفْتُ لِحَاقاً مِنْ كِتابٍ مُؤَجَّلِ
حَمَلْتُ عَلَى المَكْرُوهِ نَفْساً شَرِيفَةً إذا وُطِّئَتْ لم تَسْتَقِدْ لِلتَّذَلُّلِ
وكَالِيءُ بَابِ السِّجْنِ لَيسَ بِمُنْتَهٍ وكَان فِرَارِي منه ليسَ بِمُؤْتَلِي[٣]
إذا قُلْتُ رَفِّهنِي مِنَ السِّجْنِ سَاعَةً وَتَمِّمْ بها النُّعْمَى عَلَيَّ وأَفْضِلِ
يَشُدُّ وَثَاقاً عَابِساً ويَغُلُّنِي إلى حَلَقَاتٍ مِنْ عَمُودٍ مُوَصَّلِ
فَقُلْتُ له والسَّيْفُ يَعْضِبُ رَأْسَهُ أَنَا ابْنُ أَبي التَّيْماءِ غَيْرُ المُنَحَّلِ[٤]
عَرَفْتُ نَدَايَ مِنْ نَدَاهُ وشِيمَتي وريحاً تَغَشَّانِي إذا اشْتَدَّ مِسْحَلِي[٥]
تَرَكْتُ عِتاقَ الطَّيْرِ تَحْجِلُ حَوْلَهُ على عُدَوَاءَ كَالحُوارِ المُجَدَّلِ[٦]

[شعره في قتله ابن هَبّار]

وقال أبو زيد في خبره: وأنشدني شَدَّادٌ للقتَّال الكلابيِّ يذكر قَتلَ ابنِ هَبَّار:

[الطويل]

تَرَكْتُ ابْنَ هَبَّارٍ لَدَى البَابِ مُسْنَداً وأَصْبَحَ دُونِي شَابَةٌ وأُرُومُها
بِسَيْفِ امْرِىءٍ مَا إنْ أُخَبِّرُ بِاسْمِهِ وإنْ حَقَرَتْ نَفْسِي إلَيَّ هُمُومُها

هكذا روى ابنُ حبيب وعمرُ بن شَبَّة.

وَنسخت مِن كتابٍ للشاهِينيِّ بخطه فيه شعر للقَتَّال وأخبارٌ من أخباره قال: حُبِسَ القَتَّال في دم ابن عمِّهِ الذي قتله، فحُبِسَ زَماناً في السِّجن، ثم كان بينَ ابنِ هَبَّار القرشيّ وبين ابنِ عمٍّ له من قريشٍ إحْنة[٧]، فبلغ ابنَ عمِّه أَنَّ القتَّالَ محبوسٌ في سِجْنِ المدينة، فأتاه فقال له: أَرَأيتَ إنْ أنا أَخرجتُك أتقتلُ ابنَ عمِّي المعروفَ

(١) الأدماء: السمراء.
(٢) تُسَرْبَل: تلبس السّربال.
(٣) الكالىء: الذي يحرس السجن ويحفظه.
(٤) يعضب: يقطع. والمُنَحَّل: الذي ينتسب لغير أهله.
(٥) المِسْحل: اللّجام.
(٦) تحجلُ: تمشي كمشية الحجل. والحوار: ولد الناقة.
(٧) الإحنة: العداوة والبغض.

بابنِ هَبَّار؟ قال: نعم، قال: فإني سأُرسِلُ إليك بحديدةٍ في طعَامِك، فعالج بها قَيْدَكَ حتى تَفُكَّهُ ثم البَسْه حتى لا تُنكَرَ، فإذا خرجتَ إلى الوُضوءِ فاهْربْ من الحرَس، فإني جالسٌ لك ومُخلِّصُكَ ومُعْطيك فرساً تنجُو عليه، وسيفاً تمتنع به، فإن خلّصكَ ذلك وإلا فأبعدكَ اللَّهُ، فقال: قد رَضِيتُ.

قال: وكان أهلُ المدينة يُخرِجون المحتَبَسين، إذا أمْسَوا للوضوءِ، ومعهم الحرسُ، ففعل ما أمره به، وأتاه القُرَشِيُّ فخلَّصه وآواه، حتى أمسك عنه الطَّلبُ، ثم جاء به وأعطاه سيفاً، فقتل ابنَ عمِّه المعروفَ بابن هبَّار، ووهب له نجيباً[1]، فنجا عليه وقال: [الطويل]

تَرَكْتُ ابْنَ هَبَّارٍ لَدَى البَابِ مُسْنَداً ... وأَصْبَحَ دُونِي شَابَةٌ وأُرُومُها
بِسَيْفِ امْرِئٍ لا أُخْبِرُ النَّاسَ بِاسْمِهِ ... ولَوْ أَجْهَشَتْ نَفْسِي إلَيَّ هُمُومُها

وقال أبو زيدٍ عُمرُ بن شَبَّة فيما رواه عن أصحابه: مَرَّ القتَّال بِعُلية بنتِ شيبة بن عامرِ بن ربيعةَ بن كعْب بن عمرو بن عبد بن أبي بكر وأخوَيْها: جَهم وأويسٍ، فسألها زِماماً[2] فأبَتْ أن تُعطيَه، وكانت جدَّتهم أمُّ أبيهم أَمَةً يُقال لها أُمّ حُذَيْر وكانت لقُرَيظة بن حُذَيفة بن عمَّار بن ربيعة بن كعب بن عبد بن أبي بكر، فولدَتْ له أمَّ هؤلاءِ، واسمها نجِيبة، فولدت لهُ عُلَيَّةَ هذه، فقال القتَّال يَهْجُوهُم:

[البسيط]

يَا قَبَّحَ اللَّهُ صِبْيَاناً تَجِيءُ بِهِم ... أُمُّ الهُنَيْبِرِ مِنْ زَنْدٍ لها وَارِي
مِنْ كُلِّ أَعْلَمَ مُنْشَقٍّ مَشَافِرُهُ ... ومؤذَنٍ ما وَفَى شِبْراً بِمِشْبَارِ[3]
يا وَيْحَ شَيْمَاءَ لم تَنْبِذْ بِأَحْرَارِ ... مِثْلِي إذا مَا اعْتَرَانِي بَعْضُ زُوَّارِي
إنَّ القُرَيظِينَ لم يَدْعُوكِ كَنَّتَهمْ ... فَأَقْصِرِي آلَ مَسْعُودٍ ودِينَارِ
أمَّا الإمَاءُ فما يَدْعُونَنِي وَلَداً ... إذا تُحُدِّثَ عن نَقْضِي وإمْرَارِي
يا بِنْتَ أمِّ حُذَيْرٍ لو وَهَبْتِ لَنَا ... ثِنْتَيْنِ مِنْ مُحْكَمٍ بِالقِدِّ أوْتَارِي
إمَّا جَدِيداً وإمَّا بَالِياً خَلَقاً ... عَادَ العَذَارى لِقَطْعَيْهِ بِأَسْيَارِ

---

(١) النجيب: تطلق على البعير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين.

(٢) الزّمام: ما يُخطَم به الجمل.

(٣) الأعلم: المشقوق الشفة العليا. والمشافر: شفتا البعير. والمؤذن: القصير العنق الضيّق المنكبين مع قصر اليدين.

لَكَانَ رِدْءًا قَلِيلاً واعْتَجَنْتُ لَهُ صَهْبَاءَ مَقَّعَها حَاجِي وأسفاري[١]
أنَا ابْنُ أَسْمَاءَ أَعْمَامِي لها وأبي إذا تَرَامَى بَنُو الإموانِ بِالعَارِ[٢]
قد جَرَّبَ النَّاسُ عُودِي يَقْرَعُونَ به وَأَقْصَرُوا عن صَلِيبٍ غَيْرِ خَوَّارِ[٣]
ما أَرْضَعَ الدَّهْرَ إلاَّ ثَدْيَ وَاضِحَةٍ لِوَاضِحِ الوَجْهِ يَحْمِي حَوْزَةَ الجَارِ
يَسْتَلِبُ القِرْنَ مُهْرَيْهِ وصَعْدَتَهُ حَقّاً وَيَنْزِعُ عَنْهُ ذاتَ أَزْرارِ[٤]
مِنْ آلِ سُفْيَانَ أو وَرْقَاءَ يَمْنَعُها تَحْتَ العَجَاجَةِ طَعْنٌ غَيْرُ عُوَّارِ[٥]
يَمْنَعُها كُلُّ مَذْرورٍ، بِصَعْدَتِه نَضْحُ الدِّبَاءِ، على عُرْيَانَ مِغْوَارِ[٦]
تَسْمَعُ فيهمْ إذا اسْتَسْمَعْتَ وَاعِيَةً عَزْفَ القِيَانِ وقَولاً يَالَ عَرْعَارِ
طِوَالُ أَنْضِيَةِ الأعْنَاقِ لم يَجِدُوا رِيحَ الإمَاءِ إذا رَاحَتْ بِأَزْفَارِ[٧]
والقَوْمُ أَعْلَمُ أَنَّا مِنْ خِيَارِهِمُ إذا تَقَلَّدْتُ عَضْباً غَيْرَ مِيشَارِ[٨]
فَرّاً بِسَيْرِي وبَرْدُ اللَّيْلِ يَضْرِبُنِي عُرْضَ الفَلاَةِ بِبُنْيَانٍ وأَكْوَارِ[٩]
أَمَّا الرَّوَاسِمُ أَطْلاحاً فَتَعْرِفُنِي إذا اعْتَصَبْتُ عَلَى رَأْسِي بِأَطْمَارِ[١٠]
وَلَمْ أُنَازِعْ بَنِي السَّوْدَاء فَيْئَهُمُ والعِظْلِمِيَّاتِ من يَعْرٍ وأَمْهارِ[١١]
فَكُلُّ سَوْدَاءَ لم تُحْلَقْ عَقِيقَتُها كَأَنَّ أَصْدَاغَهَا يُطْلَيْنَ بِالقَارِ[١٢]
لقد شَرَتْنِي بَنُو بَكْرٍ فما رَبِحَتْ ولا رَأَيْتُ عَلَيْهَا جَزْأَةَ الشَّارِي[١٣]
إِنَّ العُرُوقَ إذا اسْتَنْزَعْتَها نَزَعَتْ والعِرْقُ يَسْرِي إذا ما عَرَّسَ السَّارِي[١٤]

---

(١) اعتجنت: أعددت، والصهباء: الخمر. ومقع: شرب أشدّ الشرب.
(٢) الإموان: جمع أَمَة: الجارية.
(٣) الصّليب: الشديد. وغير خوّار: غير ضعيف.
(٤) الصَّعْدَة: القناة التي تنبت مستقيمة فهي لا تحتاج إلى تقويم. وذات الأزرار: الدروع.
(٥) غير عُوَّار: غير ضعيف.
(٦) في نسخة ثانية: نضح الدماء.
(٧) الأنضية: عظام العنق.
(٨) العَضب: السيف القاطع.
(٩) الأكوار: جمع الكور: الرَّحْل.
(١٠) الرّواسم: النوق السريعة. والأطمار: جمع الطّمر: الثوب البالي.
(١١) الفيء: الغنيمة. واليَعْر: الشاة أو الجدي.
(١٢) العقيقة: شعر المولود من الناس أو البهائم ينبت وهو في بطن أمه. والقار: الزفت.
(١٣) الجزأة: الرضا.
(١٤) عرَّس: نزل آخر الليل للراحة. والسّاري: السائر ليلاً.

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال: حدَّثنا عُمر بن شبّة قال: أنشدني الأصمعيُّ للقتّال رائيّةً يقولُ فيها: [البسيط]

إنَّ العُرُوقَ إذا اسْتَنْزَعْتَها نَزَعَتْ والعِرْقُ يَسْرِي إذا ما عَرَّسَ السَّارِي
قد جَرَّبَ النَّاسُ عُودِي يَقْرَعُونَ بِهِ فَأَقْصرُوا عَنْ صَلِيبٍ غَيْرِ خَوَّارِ

فقال: لقد أحسنَ وأجاد، لولا أنه أفسدَها بقوله إنه طَلب جُعْلاً فلم يُعْطَه، وكان في دناءة نفسه يُشبه الحطيئة، وكان فارساً شاعراً شجاعاً.

[هجاؤه قومه]

وقال السكريّ في روايته: زَوَّجَ القتّالُ ابنته أمّ قيس ـ واسمها قطاة ـ رذاذَ بن الأخرم بن مالك بن مُطرف بن كعب بن عوف بن عبد بن أبي بكر، فمكثتْ عنده زماناً، وولدت له أولاداً ثم أغارها[1] فشكتْ إلى أبيها، فاستَعدَى عليه ورماه بخادمها، وجاء رَذاذٌ بالبَيِّنة على قذفه إيّاه بالأمةِ فأُقِيمَ لِيُضْرَبَ، فلم تنتصِرْ له عشِيرتُه، وقامَت عشيرةُ رذاذٍ فاستوْهَبُوا حَدَّهُ من صاحبهم، فوَهبهُ لهم، وكانت عشيرة القتّال تُبغضهُ لكثرة جناياته، وما يَلْحَقُها من أذاهُ ولا تمنعُه من مكروهٍ، فقال يَهجو قومَهُ: [الطويل]

إذا مَا لَقِيتُمْ رَاكِباً مُتَعَمِّماً فَقُولُوا لَهُ: ما الرَّاكِبُ المُتَعَمِّمُ؟
فَإنْ يَكُ مِنْ كَعْبِ بْنِ عَبْدٍ فَإنَّهُ لَئِيمُ المُحَيَّا حَالِكُ اللَّونِ أدهَمُ[2]
دَعَوْتُ أبَا كَعْبٍ رَبِيعَةَ دَعْوَةً وَفَوقِي غَوَاشِي المَوْتِ تُنْحَى وَتَنْجُمُ
ولَمْ أكُ أَدْرِي أَنَّهُ ثُكْلُ أُمِّهِ إذا قِيلَ لِلأحْرَارِ في الكُرْبةِ اقْدُمُوا
فلو كُنْتَ مِنْ قَوْمٍ كِرَام أعِزَّةٍ لَحَامَيْتَ عَنِّي حِينَ أحْمَى وَأَضْرَمُ
دَعَوْتُ فَكَمْ أسْمَعْتُ مِنْ كُلِّ مُؤْذِنٍ قَبِيحِ المُحَيَّا شَانَهُ الوَجْهُ والفَمُ
سِوَى أنَّ آلَ الحَارِثِ الخَيْرِ ذَبَّبُوا بِأَعْيَطَ لا وَغْلٌ ولا مُتَهَضَّمُ[3]
ألاَ إنَّهُمْ قَوْمِي وقَوْمُ ابْنِ مَالِكٍ بَنُو أُمِّ ذِئْبٍ وابْنُ كَبْشَةَ خَيْثَمُ
وَلَكِنَّما قَوْمِي قُمَاشَةُ حَاطِبٍ يُجَمِّعُها بِالكَفِّ، وَاللَّيْلُ مُظْلِمُ

---

(١) أغارها: تزوّج عليها فغارت.
(٢) الأدهم: الأسود.
(٣) الأعيط: الطويل العنق. والوغل: الضعيف. والمتهضّم: الذليل المنقاد.

[طلاقه إحدى زوجتيه بسبب الغيرة]

قال أبو زيد: وحدَّثني شدَّادُ بن عُتْبةَ قال: كانَتْ عند القَتَّال بنتُ ورقاءَ بن الهيثم بن الهصّان، وكان جاراً لبني الحُصَين بن الحُوَيرِث بن كعب بن عبد بن أبي بكر، وكانت لها ضَرَّة عنده يقال لها أُمُّ رياح بنتُ ميسرة بن نفير بن الهصّان، وهي أمُّ جنوب بنت القَتّال فخرج القتال في سَفرٍ له، فلمَّا آب منه أقبل حين أناخ إلى أهله، فوجد عند بنت ورقاءَ جريرَ بن الحُصينِ، فلمّا رأى جريرٌ القَتّال نهضَ، فسأل القَتّالُ عنه، فقالت له امرأتُه أم رياح ـ وهي صفية ويقال صُفَيفة بنت الحارث بن الهصّان ـ: إن هذا البيتَ لَبيتٌ لا نزالُ نسمع فيه ما لا يُعجبنا فَطلّق القتّالُ بنت ورقاءَ، وهي حامِلٌ، فولَدَت له بعد طلاقها المسيَّبَ ابنه.

وقال السكّريُّ في خَبرِه: فقال القَتّال في ذلك: [الوافر]

وَلـمَّـا أنْ رَأَيْـتُ بَـنِـي حُـصَـيْـنٍ ... بِـهِـمْ جَـنَـفٌ إلـى الـجَـارَاتِ بَـادِ[1]
خَـلَـعْـتُ عِـذَارَهـا وَلَـهِـيـتُ عَـنْـهَـا ... كَـمَـا خُـلِـعَ الـعِـذَارُ مِـنَ الـجَـوَادِ[2]
وقُـلْـتُ لَـهَـا: عَـلَـيْـكِ بَـنِي حُـصَـيْـنٍ ... فَـمَـا بَـيْـنِـي وبَـيْـنَـكِ مِـنْ عـوادِ
أُنَـادِيـهَـا بِـأَسْـفَـلِ وَارِدَاتٍ ... نَـكِـدْتَ أَبَـا الـمُـسَـيَّـبِ مَـنْ تُـنَـادِي؟

وفي رواية السكري:

أُنَـادِيـهَـا ومَـا يَـوْمٌ كَـيَـوْم ... قَـضَـى فِـيـهِ امْـرُؤٌ وَطَـرَ الـفُـؤَادِ
فَـرُحْـتُ كَـأَنَّـنِـي سَـيْـفٌ صَـقِـيـلٌ ... وعَـزَّتْ جَـارَةُ ابْـنِ أَبِـي قُـرَادِ

قال: ثم إن كلابَ بن ورقاءَ بن حُذيفة بن عَمّار بن ربيعة بن كعب بن عبْد بن أبي بكر، نحر جزوراً وصنَع طعاماً وجَمع القومَ عليه وقال: كلوا أيها الفتيانُ، فإنَّ الطَّعام فيكم خيرٌ منهُ في الشُّيوخ. فقال القتّال: أنا واللّه خيرٌ للفتيان منك، أرى المرأة قد أعجبتْ أحدَهُمْ فأُطلقُها له. وفي القوم جريرُ بنُ الحُصَين الذي كان وَجدَهُ عند امرأتِهِ، فرفع جريرٌ السّوط فضرب به أنف القتّال.

ثم إنهم أعطوا القتّال حَقَّه فلم يقبله حتى أدرك ابناه: المُسَيَّبُ وعبدُ السلام. وقال السُّكَّريُّ: حتى احتلم ولدهُ الأربعةُ، وهم: حبيب، وعبد الرحمن، وعبد

---

(١) الجنف: الظلم والميل عن الحقّ.

(٢) خلعت عذارها: تركتها على هواها.

الحَيِّ وعُمْير، وأُمُّهُم ريّا بنتُ نَفَر بن عامر بن كعب بن أبي بكر، فحمَلَهم على الخيل حين أظْلم اللَّيلُ، ثم أتى بهم بني حُصين فلَقِيَ لِقاحاً لهم ثمانين؛ فأَشْمَرها[1] وبات يسوقُها، لا تتخلَّفُ ناقةٌ إلاَّ عقرها حتى حبسها على الحَصى، حين طلعت الشَّمسُ، والحَصى ماءٌ لعبدِ اللَّه بن أبي بكر، فحبسها وَزجرهُم عنها، حتى جاءَ بنو حُصين فعقلوا له من ضربته أربعين بكرةً[2] وأُهدرت الضَّرْبةُ، وإنما أخذ الأربعين بَكْرةً مُكرهاً، لأن قومَه أجبروه على ذلك.

قال شدّاد: وفي ابنِه عبدِ السّلام، يقول: [البسيط]

عَبْدَ السَّلام تَأَمَّلْ هل تَرَى ظُعُناً ... إنِّي كَبِرْتُ وَأَنْتَ اليَومَ ذُو بَصَرِ

لا يُبْعِدِ اللَّهُ فِتْيَاناً أَقُولُ لَهُمْ ... بِالأَبْرقِ الفَرْدِ لَمَّا فَاتَنِي نَظَرِي

يا هَلْ تَرَوْنَ بِأَعْلَى عَاصِمٍ ظُعُناً ... نَكَّبْنَ فَحْلَيْنِ وَاسْتَقْبَلْنَ ذا بَقَرِ

صَلَّى على عَمْرَةَ الرَّحْمٰنُ وَابْنَتِها ... لَيْلَى وصَلَّى عَلَى جَارَاتِها الأُخَرِ

هُنَّ الحَرَائِرُ لا رَبَّاتُ أَحْمِرَةٍ ... سُودُ المَحَاجِرِ لا يَقْرَأْنَ بِالسُّوَرِ

قال أبو زيد: وحدَّثني شدَّاد بن عُقبة قال: أتى الأخرم بن مالك بن مُطرف بن كعب بن عوف بن عَبد بن أبي بكر ومُحْصن بن الحارث بن الهصّان في نفر من بني أبي بكر القَتَّال وهو مَحبوسٌ، فشرطوا عليه ألا يذكر عاليةَ في شعره، وهي التي يَنسُبُ بها في أشعاره، فضمِنَ ذلك لهم، فأخرجُوه من السِّجْن عِشاءً، ثم راح القوْم من السِّجن، ورِاحَ القَتَّال معهم، حتى إذا كان في بعْض الليل انحدر يسوقُ بهم، ويقول: [الرجز]

قُلْتُ لَه يا أَخْرَمَ بْنَ مَالِ[3]

إنْ كُنْتَ لم تُزْرِ عَلى وِصَالِي

ولم تَجِدْنِي فَاحِشَ الخِلالِ

فَارْفَعْ لَنَا مِنْ قُلُصٍ عِجَالِ

مُسْتَوْسِقَاتٍ كَالقَطَا عِبَالِ[4]

---

(١) اللِّقاح: جمع اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن. وأشمرها: ساقها بسرعة.

(٢) البكرة: الناقة الفتيّة.

(٣) مال: مرخَّم مالك.

(٤) مستوسقات: مجتمعة منقادة. والعِبال: جمع العبلة: الضخمة القوائم التامّة الخلق.

لَـــعَــــلَّـــنَــــا نَـــطْـــرُقُ أُمَّ عَـــالِ
تَـــخَـــيَّـــرِي خُـــيِّـــرْتِ فـــي الـــرِّجَـــالِ
بَـــيْـــنَ قَـــصِـــيـــرٍ بَـــاعُـــهُ تِـــنْـــبَـــالِ[١]
وأُمُّـــــهُ رَاعِـــــيَـــــةُ الـــجِـــمَـــالِ
تَـــبِـــيـــتُ بَـــيْـــنَ الـــقِـــدْرِ والـــجِـــعَـــالِ[٢]
أَذَاكَ أَمْ مُـــتَـــخَـــرِّقُ الـــسِّـــرْبَـــالِ
كَـــرِيـــمُ عَـــمٍّ وكَـــرِيـــمُ خَـــالِ
مُـــتْـــلِـــفُ مَـــالٍ ومُـــفِـــيـــدُ مَـــالِ
ولا تَـــــزَالُ آخِـــــرَ الـــلَّـــيَـــالِـــي
قَـــلُـــوصُـــهُ تَـــعْـــثُـــرُ فـــي الـــنِّـــقَـــالِ

النِّقال: المناقلةُ.

قال شَدّادٌ: فنزل القومُ فربَطوه، ثم آلَوْا ألاّ يَحُلُّوه حتى يُوثِّق لهم بيمين ألا يذكرها أبداً، ففعل وحلّوه. قال: وهي امرأةٌ من بني نصر بن معاوية، وكانت زوجة رجلٍ من أشراف الحيِّ.

[قتله لجارية عمّه]

قال: وَحدَّثني أبو خالدٍ، قال: كانت لِعَمِّ القَتَّالِ سُرِّيَّة، فقال له القتّال: لا تَطَأْها، فإنَّا قومٌ نُبْغِضُ أن تَلِدَ فينا الإماءُ فعصَاه عمُّه، فضربها القتّالُ بسيفِه فقتلها، فادّعَى عمُّه أنَّه قَتلَها وفي بطنِها جَنينٌ منه، فمشَى القتَّالُ إليها فأَخرَجَها من قبْرِها، وذهبَ مَعهُ بقومٍ عُدولٍ، وشَقَّ بطنَها وأخرج رَحمَها حتّى رأَوْه لا حَمْلَ فيه، فكذَّبوا عمَّه، فقال في ذلك: [الرجز]

أَنَـا الَّـذي انْـتَـشَـلْـتُـهـا انْـتِـشَـالاَ ثُـمَّ دَعَـوْتُ غِـلْـمَـةً أَزْوَالا[٣]
فَـصَـدَعُـوا وكَـذَّبُـوا مـا قَـالا

---

(١) التِّنبال: القصير.
(٢) الجِعال: الخِرَق التي تمسك بها القِدر عند إنزالها.
(٣) الأزوال: جمع الزّول: الفتى الخفيف المرح.

وقال: وأنشدني له أيضاً:

أَنَا الَّذِي ضَرَبْتُها بِالمُنْصُلِ عِنْدَ القُرَيْنِ السَّائِلِ المُفَضَّلِ[١]
ضَرْباً بِكَفَّيْ بَطَلٍ لم يَنْكُلِ

وقال السكريُّ في روايتِه: أراد القتَّال أن يتزوَّج بنتَ المُحَلِّق بن حنْتم، فتزوَّجها عبدُ الرحمن بنُ صاغرٍ البكّائيُّ، فلقِي مولاةً لها يقال لها جَون، فقالَ لها: ما فعلَتْ؟ قالت: تزوّجهَا عبدُ الرحمن بن صاغر؛ فقال: ما لَها ولعبدِ الرحمن؟ فقالت له: ذاك ابنُ فارس عَرَّاد. قال: فأنا ابنُ فارس ذي الرَّحل، وأنا ابنُ فارسِ العَوْجاء، ثمَّ انصرَف وأنشأ يقولُ: [البسيط]

يا بِنْتَ جَونٍ أَبَانَتْ بِنْتُ شَدَّادِ؟ نَعَمْ لَعَمْرِي لِغَوْرٍ بَعْدَ إِنْجَادِ[٢]
لِمَطْلع الشَّمْسِ ما هَذَا بِمُنْحَدَرٍ نَحْوَ الرَّبِيعِ ولا هَذَا بِإِصْعَادِ
قَالَتْ فَوَارِسُ عَرَّادٍ، فَقُلْتُ لَها: وفِيمَ أُمِّيَ مِنْ فُرْسَانِ عَرَّادِ
فُرْسَانُ ذِي الرَّحْلِ والعَوْجَاءِ وابْنَتِها فِدَى لَهُمْ رَهْطُ رَدَّادٍ وشَدَّادِ

والقصيدةُ التي في أوَّلها الغِناء المذكورُ، يقولُها القتّالُ يحضُّ أخاه وعشيرَته على تخلُّصِه من المطالَبة التي يُطالَبُ بها في قَتْل زِيادِ بن عُبيد اللّه، واحتمال العقْل عنه، ويلومُهم في قُعودِهم عن المطالبةِ بثأرٍ لهم قِبَل بني جعفر بن كلاب.

وكان السبب في ذلك فيما ذكره عمرُ بن شَبَّة، عن حُمَيد بن مالك عن أبي خالد الكلابيّ، قال: كان عمرو بن سَلَمة بن سكن بن قُرَيظ بن عبْد بن أبي بكر، أسلم فَحسُن إسلامُه ووفد إلى النبيِّ ﷺ، فاستقطعه حِمًى بين الشقراء، والسّعدِيَّة، والسعديّة ماءٌ لعمرو بن سَلمة، والشقراءُ ماءٌ لبَني قتادة بنِ سكن بن قُريظ، وهي رَحْبَة طولُها تسعة أَميالٍ في ستة أميال، فأقْطعه إيَّاها، فأحماها ابنه جَحَوَّش، فاسترعاه نفرٌ من بني جعفر بن كلاب خيلهم وفيهم أحدرُ بن بشر بن عامر بن مالك بن جعفر، فأرْعاهم فحملوا نَعَمَهم مع خيْلهم بغير إذنِه، فأُخبِر بذلك فغَضِبَ وأراد إخراجَهم منه، فقَاتلوه، فكانَت بينهم شِجَاجٌ[٣] بالعِصيِّ والحجارةِ، من غير

(١) القُرَيْن: تصغير قرن: هو حَدّ الرابية المشرفة على وهدة صغيرة.

(٢) الغور: المنخفض من الأرض. والإنجاد: الخروج إلى نجد، وهو المرتفع منها.

(٣) الشجاج: الشقوق في الرأس وسائر الجسد.

رمي ولا طِعان ولا تَسايُفٍ[١]، فظهَر عليهم جَحَوَّش، ثم تَدَاعَوْا إلى الصُّلح ومشَت السُّفَراءُ بينهم على أن يدعُوا جميعاً الجِراحاتِ، فتواعَدُوا للصُّلح بالغَداة، وأخٌ لجحوَّش يقال له سَعيد في حلْقِه سِلعَة[٢]، وهو شَنِجٌ مُتَنَحٍّ عن الحيّ عند امرأةٍ من بني أبي بكر تَرقِيه، فرجع إلى أخيه ومعه رَجُلان من قومه، يقال لأحدهما مُحْرز بن يزيد، وللآخر الأخدر بن الحارث، فلقيَهم قُراد بن الأخْدر بن بشْر بن عامر بن مالك، وابنُ عمِّه أبو ذرّ بن أشهل، ورجلٌ آخر من الجعفريِّين، فحمل قُرادٌ على سَعيدٍ فطعنَهُ فقتله، فحذف مُحرز بن يزيد فرَس قُرَاد فعَقرها، فأردفه أبو ذرٍّ خلفَهُ، ولحقُوا بأصحابهم الجعْفريين، وأوْقد جَحَوَّشُ بن عمرو نارَ الحرْب في رأس جرعاءَ[٣] طويلةٍ، فاجتمعت إليه بنو أبي بكر، وخرج قُرادٌ هارِباً إلى بشر بن مَروان، وهو ابنُ عمّته، حتَّى إذا كان بالقنان[٤]، حَمِيَتْ عليه الشَّمْسُ، فأناخ إلى بيتِ امرأةٍ من بني أسد، فقال في بيتها، فبيْنا هو نائمٌ إذْ نبَّهَتْه الأسدية فقالتْ له: ما دَهَاك وَيْحَك؟ انظُر إلى الطّير تحُومُ حولَ ناقَتكَ، فخرَج يَمشي إلى ناقتِهِ، فإذا هي قد خَدَجت[٥]، والطيرُ تُمَزِّقُ ولدَها، فجاء فأخبرها، فقالت: إنَّ لكَ لخبراً فأصدِقني عنه، فلعلَّه أن يكون لكَ فيه فائدةٌ، فأخبرها أنَّه مطلوبٌ بدَم، فهو هاربٌ طريدٌ، قالت: فهل وراك أحدٌ تشفق عليه؟ فقال: أخٌ لي يقال له جبَّأة وهو أحبُّ الناسِ إليّ. قالتْ: فإنَّهُ في أيدي أعدائِكَ، فارْجع أو امضِ، فخرج لوجهِهِ إلى بشرٍ.

قال: ولمّا حرَّض القتّالُ قومَه على الطَّلبِ بثأرهم في الجعفريِّين وعيّرهم بالقُعودِ عنهم مضى جميعُهم لقِتال بني جعْفر، فقال لهم الجَعفريُّون: يا قومنا، ما لنا في قتَالكم حاجةٌ، وقاتِلُ صاحبكم قد هرب وهذا أخُوه جبأة، فاقتلوه، فرضُوا بذلك فأخذُوا جبأة، فلما صارُوا بأسْود العَيْنِ قدَّمه جَحَوّشٌ فضرب عنقه بأخيه سعيدٍ.

---

(١) التسايف: التضارب بالسيوف.

(٢) السّلعة: الورم.

(٣) الجرعاء: الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل.

(٤) القنان: جبل فيه ماء لبني أسد (معجم البلدان ٤ :٤٠١).

(٥) خدجَت: ألقت ولدها قبل تمام حمله.

[شعره في تحريض قومه]

وممَّا قاله القتَّال في تحريضهم في قصيدةٍ طويلةٍ: [الطويل]

فَيَا لأَبِي بَكْرٍ ويَا لِجَحْوَشٍ ... وَلِلَّهِ مَوْلى دَعْوَةٍ لا يُجَابُها
أَفِي كُلِّ عَامٍ لا تَزَالُ كَتِيبَةٌ ... ذُؤَيْبِيَّةٌ تَهْفُو عَلَيكُمْ عُقَابُها(١)
لهم جَزَرٌ مِنْكُم عَبِيطٌ كَأَنَّه ... وِقَاعُ الملوكِ فَتْكُها واغْتِصَابُها(٢)
وَأَنْتُمْ عَدِيدٌ في حَدِيدٍ وشِكَّةٍ ... وغَابِ رِمَاحٍ يُوجِفُ القَلْبَ غَابُها
يُسَقَّى ابنُ بِشْرٍ ثُمَّ يَمْسَحُ بَطْنَهُ ... وَحَوْلِي رِجَالٌ ما يَسُوغُ شَرَابُها
فَمَا الشَّرُّ كُلُّ الشَّرِّ لا خَيْرَ بَعْدَهُ ... على النَّاسِ إلاَّ أَنْ تَذِلَّ رِقَابُها
نِسَاءُ ابْنِ بِشْرٍ بُدَّنٌ ونِسَاؤُنا ... بَلاَيا عَلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ سِلاَبُها
تَنَامُ فتَقْضِي نَوْمَةَ اللَّيْلِ عِرْسُهُ ... وَأُمُّ سَعِيدٍ ما تَنَامُ كِلاَبُها
فإنْ نَحْنُ لم نَغْضَبْ لهم فَنُثِيبُهُمْ ... وكُلُّ يَدٍ مُوفٍ إِلَيْنَا ثَوَابُها
فنَحْنُ بَنُو اللائي زَعَمْتُمْ وأَنْتُمُ ... بَنُو مُحْصَنَاتٍ لم تُدَنَّسْ ثِيَابُها

صوت

[مجزوء الوافر]

أَلاَ لِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ ... فَتَى قَوْمٍ إذا رَهِبُوا
وَقَالُوا مَنْ فَتًى لِلحَرْ ... بِ يَرْقُبُنا ويَرْتَقِبُ
فكُنْتَ فَتَاهُمُ فِيهَا ... إذا يُدْعَى لها يَثِبُ
ذَكَرْتُ أَخِي فعَاوَدَنِي ... صُدَاعُ الرَّأْسِ والوَصَبُ(٣)
كما يَعْتَادُ ذَاتُ البَوْ ... بَعْدَ سُلُوِّهَا الطَّرَبُ
فَدَمْعُ العَيْنِ مِنْ بُرَحَا ... ءِ ما في الصَّدْرِ يَنْسَكِبُ
كَمَا أَوْدَى بِمَاءِ الشَّنَّةِ ... المَخْروزَةِ السَّرَبُ(٤)
على عَبْدِ بنِ زُهْرَةَ طُو ... لَ هذا اللَّيْلِ أَكْتَئِبُ

الشعْر لأبي العِيال الهُذَليّ والغِناء لمعْبد ثقيل أوَّلُ بالخنْصر في مجْرى الوُسْطى عن إسحاقَ وابن المكّي وغيرهما مما لا يشكّ فيه من صنعته، وفي الثالث

(١) العُقاب: الراية.
(٢) العبيط: الطريّ الناضج.
(٣) الوَصَب: الألم الدائم والمرض.
(٤) الشّنة: القربة الصغيرة. والسَّرَب: ما تسرّب من الماء.

والرابع من الأبْيات لمالكٍ خَفيفُ ثقيل عن الهشاميّ، ومن الناس مَنْ ينسبُه إلى مَعبد أيضاً، وفي الأوّل والثّاني والثّالث لمعْبد أيضاً خَفيف رمل بالوسطى، عن عمْرو بن بانة، وذكر الهِشامِيُّ وحمّاد بن إسحاق أنه لابن عائشة، وفيه لمالك هزج بالبنصر فيما ذكر حبش.

أخبار أبي العيال ونسبه

[اسمه ونسبه]

أبو العيال بنُ أبي عَنترة، وقال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: ابنُ أبي عنبرَ، بالباءِ ولم أجدْ له نَسباً يتجاوز هذا في شيءٍ من الرِّوايات. وهو أَحَدُ بَني خُناعةَ بن سعد بنِ هُذَيْل، وهذا أكثر ما وجَدته مِنْ نَسبه. شاعرٌ فَصيحٌ مُقَدَّم، من شُعراء هُذَيْل، مُخضرَم، أدرك الجاهِليَّة والإسلام، ثم أَسلم فيمنْ أسلم من هذيل، وعُمِّرَ إلى خِلافةِ مُعاوِيَة. وهذه القصيدة يرثي بها ابنَ عمّه عبدَ بنَ زهْرة، ويقال إنَّه كان أخاهُ لأُمّه أيضاً.

[تَأَثُّر معاوية بشعره]

أخبرني مُحمَّدُ بنُ العبَّاس اليزيديّ فيما قرأتُه عليه من شِعْر هُذَيْل، عن الرِّياشيّ، عن الأصمَعِيّ. ونَسَخْتُ أيضاً خبره الذي أذكره من نُسْخَةِ أبي عمرو الشَّيْبَانِيّ قالا: كان عبدُ بنُ زُهْرَةَ غَزَا الرُّومَ في أيامِ مُعاوِيَة. وقال أبو عمرو خَاصَّة: مع يزيد بن مُعاوِية في غَزَاتِهِ التي أغزاه أبوه إيّاها، فأُصِيبَ في تلْك الغَزاةِ جماعةٌ من المُسْلمين من رُؤسائِهم وحُماتهم، وكانت شَوكةُ الرُّوم شديدَةً، قُتِل فيها عبدُ العزيز بنُ زُرارةَ الكلابيُّ، وعبدُ بنُ زُهْرة الهذلِيُّ وخَلْقٌ من المُسْلِمين، ثم فتح اللّه عليهم، وكان أبو العيال حاضراً تلك الغَزاة فكتب إلى مُعاوية قصيدة قَرأها وقُرِئَتْ على النَّاس، فبكى الناسُ وبكى مُعاويةُ بُكاءً شَدِيداً جَزَعاً لما كتَب به.

والقَصِيدَة: [الكامل]

مِنَ أبي العِيالِ أخِي هُذَيْلٍ فاعْلَمُوا ... قَوْلِي ولا تَتَجَمْجَمُوا مَا أُرْسِلُ

أَبْلِغْ مُعَاوِيَةَ بْنَ صَخْرٍ آيَةً ... يَهْوِي إليه بها البَرِيدُ الأَعْجَلُ

والـمَـرْءَ عَـمْـراً فَـأْتِـهِ بِـصَـحِـيـفَـةٍ مِـنِّـي يَـلُـوحُ بـهـا كِـتَـابٌ مُـنْـمَـلُ

لا تتجمْجَمُوا: لا تكْتموا، والمُنْمَل: كأنَّ سُطُورَه آثارُ نَمل.

وإلـى ابْـنِ سَـعْـدٍ إنْ أُوَخِّـرْهُ فَـقَـدْ أَزْرَى بِـنَـا فِـي قَـسْـمِـهِ إذْ يَـعْـدِلُ[١]

وإلـى أُولِـي الأَحْـلامِ حَـيْـثُ لَقِيتَـهُـمْ أَهْـلِ الـبَـقِـيَّـةِ والـكِـتَـابُ الـمُـنْـزَلُ[٢]

في دِيوان الرَّجل: حَيثُ البَقيّة والكتاب المُنْزَل.

أَنَّـا لَـقِـيـنَـا بَـعْـدَكُـمْ بِـدِيَـارِنَـا مِـن جَـانِـبِ الأَمْـرَاجِ يَـوْمـاً يُـسْـأَلُ

أَمْـراً تَـضِـيـقُ بِـهِ الـصُّـدُورُ ودُونَـهُ مُـهَـجُ الـنُّـفُـوسِ ولَـيْـسَ عنـه مَـعْـدِلُ

فـي كُـلِّ مُـعْـتَـرَكٍ تَـرَى مِـنَّـا فَـتًـى يَـهْـوِي كَـعَـزْلاَءِ الـمَـزَادَةِ تُـزْغِـلُ[٣]

تُزغِل: تَدفع دَفْعاً.

أو سَـيِّـداً كَـهْـلاً يَـمُـورُ دِمَـاغُـهُ أو جَـانِـحـاً فـي رَأْسِ رُمْـحٍ يَـسْـعُـلُ[٤]

يَسْعُل: يَشْرَقُ بالدَّم.

وتَـرَى الـنِّـبَـالَ تَـعِـيـرُ فـي أَقْـطَـارِنَـا شُـمْـسـاً كَـأَنَّ نِـصَـالَـهُـنَّ الـسُّـنْـبُـلُ

وَتَـرَى الـرِّمَـاحَ كَـأَنَّـمـا هـي بَـيْـنَـنَـا أَشْـطَـانُ بِـئْـرٍ يُـوغِـلُـونَ ونُـوغِـلُ[٥]

حَـتَّـى إذا رَجَـبٌ تَـوَلَّـى فَـانْـقَـضَـى وجُـمَـادَيَـانِ وجَـاءَ شَـهْـرٌ مُـقْـبِـلُ

شَـعْـبَـانُ قَـدَّرْنـا لِـوَقْـتِ رَحِـيـلِـهِـمْ تِـسْـعـاً يُـعَـدُّ لـهـا الـوَفَـاءُ وتَـكْـمُـلُ

وتَـجَـرَّدَتْ حَـرْبٌ يَـكُـونُ حِـلاَبُـهـا عَـلَـقـاً ويَـمْـرِيـهَـا الـغَـوِيُّ الـمُـبْـطِـلُ[٦]

فَـاسْـتَـقْـبَـلُـوا طَـرَفَ الـصَّـعِـيـدِ إقَـامَـةً طَـوْراً وطَـوْراً رِحْـلَـةً فـتَـحَـمَّـلُـوا

[شعر بدر بن عامر وردُّه عليه]

قال الأصمعيُّ وأبو عَمرو: وكان أبو العيال وبدرُ بنُ عامر، وهما جميعاً من بني خُناعة بنِ سعْد بنِ هُذَيل يَسكُنانِ مِصْرَ، وكانا خَرَجا إليها في خلافةِ عمرَ بنِ

(١) يعدل: يميل عن الحقّ.

(٢) أهل البقيّة: أهل المروءة والدين.

(٣) المزادة: وعاء من جلد يوضع فيه الماء في السفر.

(٤) يمور: يسيل.

(٥) الأشطان: جمع الشطن: الحبل الطويل يُستقى به من البئر.

(٦) الحِلاب: ما يُحْلَبُ وهو في الأصل اللَّبن. والعَلَق: الدم. ويمريها: يحرّكها.

الخَطّاب رِضوانُ اللَّه عليه، وأبو العيال معه ابنُ أخ له، فبينا ابن أخي أبي العيال قَائِمٌ عند قوم ينْتَضِلون[١] إذْ أصَابَه سهْمٌ فقتله، فكان فيه بعضُ الهَيج، فخاصَمَ في ذلك أبو العيال، واتَّهم بَدْرَ بن عامر، وخَشِيَ أن يكون ضِلَعُه[٢] مع خُصَمائِه، فاجْتَمعا في ذلك في مجلِسٍ فَتنَاثَّا فقال بدرُ بنُ عامر: [الكامل]

بَخِلَتْ فُطَيْمَةُ بِالَّذِي تُولِينِي ... إلاَّ الكَلامَ وقَلَّ مَا يُجدِيني
ولقدْ تَنَاهَى القَلْبُ حِينَ نَهَيْتُهُ ... عَنْها وقد يَغْوِي إذا يَعْصِيني
أفُطَيْمُ هل تَدْرِينَ كم مِنْ مَتْلفٍ ... جَاوَزْتِ لا مَرْعًى ولا مَسْكونِ؟

يقول فيها:

وَأبو العِيالِ أخِي وَمَنْ يَعْرِضْ لَهُ ... مِنْكُمْ بِسُوءٍ يُؤْذِني وَيَسُوني
إنِّي وَجَدْتُ أبَا العِيَال ورَهْطَهُ ... كَالحِصْنِ شُدَّ بِجَنْدَلٍ مَوْضُونِ[٣]
أعْيَا الغَرَانِيقَ الدَّوَاهِيَ دُونَهُ ... فَتَرَكْنَهُ وَأبَرَّ بِالتَّحْصِينِ[٤]
أسَدٌ تَفِرُّ الأُسْدُ مِنْ وَثَبَاتِهِ ... بِعَوَارِضِ الرُّجَّازِ أو بِعُيُونِ
ولِصَوْتِهِ زَجَلٌ إذا آنَسْتَهُ ... جَرَّ الرَّحى بِشَعِيرِهِ المَطْحُونِ
وإذا عَدَدْتَ ذَوِي الثِّقَاتِ وَجَدْتَهُ ... مِمَّنْ يَصُولُ به إلَيَّ يَمِيني

فأجابه أبو العيال فقال: [الكامل]

إنَّ البَلاءَ لَدَى المَقَاوِسِ مُعْرِضٌ ... مَا كَانَ مِنْ غَيْبٍ ورَجْمِ ظُنُونِ

في الديوان: لَدَى المقاوس مخرجٌ: والمقْوَس الحبْلُ الذي يُمَدُّ بِهِ على صُدُور الخيْل أي فمَا كان عنْدَه من خيْر أو شرٍّ فسيَخْرُجُ عند الرِّهَان والعدْوِ.

وإذا الجَوَادُ وَنَى وَأخْلَفَ مِنْسَراً ... ضُمُراً فلا تُوْقِنْ له بِيَقِينِ[٥]
لو كانَ عِنْدَكَ ما تَقُولُ جَعَلْتَنِي ... كَنْزاً لِرَيْبِ الدَّهْرِ غَيْرَ ضَنِينِ
وَلَقد رَمَقْتُكَ في المَجَالِسِ كُلِّها ... فَإذَا وأنتَ تُعِينُ مَنْ يَبْغِيني

(١) ينتضلون: يتسابقون ويتبارون في الرمي.
(٢) ضِلَعُه: مَيْله.
(٣) الجندل: الصخر. والموضون: المرصوف بعضه فوق بعض.
(٤) الغرانيق: الرجال الشباب.
(٥) وَنَى: ضعف. والمِنْسَر: جماعة الخيل.

هَلاَّ دَرَأْتَ الخَصْمَ حِينَ رَأَيْتَهُمْ جَنَفاً عَلَيَّ بِأَلْسُنٍ وعُيُونِ[(١)]
وزَجَرْتَ عَنِّي كُلَّ أَشْوَسَ كَاشِحٍ تَرِعِ المَقَالَةِ شَامِخِ العِرْنِينِ[(٢)]

فأجابه بَدْرُ بنُ عامر فقال: [الكامل]

أَقْسَمْتُ لا أَنْسَى مَنِيحَةَ وَاحِدٍ حَتَّى تَخَيَّطَ بِالبَيَاضِ قُرُونِي[(٣)]
حَتَّى أَصِيرَ بِمَسْكَنٍ أَثْوِي بِهِ لِقَرارِ مُلْحَدَةِ العَدَاءِ شَطُونِ[(٤)]
ومَنَحْتَنِي جَدَّاءَ حِينَ مَنَحْتَنِي شَخَصاً بِمَالِئَةِ الحِلاَبِ لَبُونِ[(٥)]

الشَّخَصُ: ما لَيْس فيه لبنٌ من المالِ.

وحَبَوتُكَ النُّصْحَ الَّذي لا يُشْتَرَى بِالمالِ فَانْظُرْ بعْدُ مَا تَحبُونِي
وَتَأَمَّلِ السِّبْتَ الَّذِي أَحْذُوكَهُ فَانْظُرْ بِمِثْلِ إِمَامِهِ فَاحْذُونِي[(٦)]

فأجابه أبو العيال: [الكامل]

أَقْسَمْتُ لا أَنْسَى شَبَابَ قَصِيدَةٍ أَبَداً فما هَذَا الَّذِي يُنْسِينِي
وَلَسَوفَ تَنْسَاهَا وتَعْلَمُ أَنَّها تَبَعٌ لآبِيَةِ العِصَابِ زَبُونِ[(٧)]
وَمَنَحْتَنِي فَرَضِيتَ رَأْيَ مَنِيحَتِي فَإِذا بِهَا وَاللَّهِ طَيْفُ جُنُونِ
جَهْرَاءُ لا تَأْلُو إذا هِي أَظْهَرَتْ بَصَراً ولا مِنْ حَاجَةٍ تُغْنِينِي
قَرِّبْ حِذَاءَكَ قَاحِلاً أو لَيِّناً فتَمَنَّ في التَّخْصِيرِ وَالتَّلْسِينِ[(٨)]
وارجِعْ مَنِيحَتَكَ الَّتِي أَتْبَعْتَها هُوْعاً وَحَدٌّ مُذَلَّقٍ مَسْنُونِ[(٩)]

ولهما في هذا المعنى نقائض طوالٌ يطولُ ذكرُها، وليست لها طُلاوةٌ إلا ما يُستفاد في شعر أمثالهما من الفصاحة، وَإنما ذكرت ما ذكرتُ ها هنا منها لأنّي لم أجد لهذا الشّاعر خبراً غير ما ذكرتُه.

---

(١) الجَنَف: الميل.
(٢) الأشوس: المتكبِّر. والكاشح: المبغض. وترع المقالة: متعجِّل لقول السوء. والعِرنين: الأنف.
(٣) المنيحة: القصيدة. وحتى تخيّط بالبياض قروني: أي حتى يشيب جانبا رأسي.
(٤) المُلْحَدة: التي جُعِلَ فيها اللّحد. والعَدَاء: التي ليست مستوية الحُفَر.
(٥) الجَدَّاء: التي لا لبن فيها.
(٦) السِّبْت: النعال المدبوغة.
(٧) العِصاب: هو أن تُعصَبَ فخذاها حين تأبى فتدرّ. والزّبون: التي تدفع برجليها.
(٨) التلسين: هو تحديد وتدقيق لسان النعل.
(٩) الهُوع: العداوة. والمُذَلَّق: المحدَّد.

صوت

[الوافر]

أَلَـمْ تَـسْـأَلْ بِـعَـارِمَـةَ الـدِّيَـارا عَـنِ الـحَـيِّ الـمُـفَـارِقِ أيـن سَـارَا؟
بَـلـى سَـاءَلْـتُـهـا فَـأَبَـتْ جَـوَابـاً وكـيـفَ سُـؤَالُـكَ الـدِّمَـن الـقِـفَـارا؟

الشعر للرّاعي، وَالغِناء لإسْحاق خفيف ثقيل أوَّل بالبنصر عن عمرو وابن جامع وإسحاق.

نسب الرَّاعي وأخباره

[توفي ٩٠ هـ/ ٧٠٩ م]

[اسمه ونسبه]

هو عُبيد بنُ حُصين بنِ مُعاوية بن جنْدل بن قَطن بن ربيعة بن عبد اللَّه بن الحارِث بن نُمَير بن عامر بن صعْصعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصفةَ بن قيْس بن عيْلان بن مُضر. ويُكنَى أبا جَنْدل، والرّاعي لقب غلب عليه، لِكَثرة وَصفه الإبل، وَجوْدة نَعْتِهِ إيّاها.

وهو شاعرٌ فحل من شعراء الإسلام، وكان مُقدَّماً مُفضَّلاً حتى اعترض بين جرير والفرزْدق، فاستكفَّه جرير فأَبى أن يكُفّ. فهجاه ففضحه.

وقد ذَكرتُ بعضَ أخباره في ذلك مع أخبار جرير، وأتممتها هنا.

[مدحه لسعيد بن عبد الرحمن]

وقصِيدةُ الرّاعي هذِه يمدَح بها سعيدَ بنَ عبد الرّحمن بن عَتَّاب بن أسيد بن أبي العِيص بن أُميَّة، وفيها يقُول: [الوافر]

تُـرَجِّـي مِـنْ سَـعِـيـدِ بَـنِـي لُـؤَيٍّ أَخِـي الأَعْـيَـاصِ أَنْـوَاءً غِـزَارَا[1]

تَـلَـقَّـى نَـوْأَهُـنَّ سِـرَارَ شَـهْـرٍ وخَـيْـرُ الـنَّـوْءِ مـا لَـقِـيَ الـسِّـرَارَا[2]

---

(١) الأعياص: هم الفريق الآخر في بني أمية إذ كانوا فريقين: الأعياص والعنابس. والأنواء: جمع النوء: العطاء.

(٢) سِرار الشهر: آخر ليلة فيه.

خَلِيلٌ تَعْزُبُ العِلاَّتُ عَنْهُ ... إذا مَا حَانَ يَوْماً أَنْ يُزَارَا[١]
مَتَى ما تَأْتِهِ تَرْجُو نَدَاهُ ... فَلا بُخْلاً تَخَافُ ولا اعْتِذَارا
هُوَ الرَّجُلُ الَّذي نَسَبَتْ قُرَيْشٌ ... فَصَارَ المَجْدُ فيها حَيْثُ صَارَا
وَأنْضَاءٍ تَحِنُّ إلى سَعِيدٍ ... طُرُوقاً ثم عَجَّلْنَ ابْتِكَارا[٢]
على أكْوارِهِنَّ بَنُو سَبِيلٍ ... قَلِيلٌ نَوْمُهُمْ إلاَّ غِرَارا[٣]
حَمِدْنَ مَزَارَهُ ولَقِينَ مِنْهُ ... عَطَاءً لم يَكُنْ عِدَةً ضِمَارا

[خلافه مع جرير بسبب تفضيله للفرزدق عليه]

أخبَرني عليّ بن سُليمانَ الأخْفش قال: حدَّثنا الحسن بن الحسين السكَّريّ عن الرّياشيّ عن الأصمعي، قال: وذكره المغيرة بن حَجْناء قال: حَدَّثني أبي عن أبيه قال: كان راعي الإبل يَقضِي للفرزْدق على جريرٍ ويُفضِّله، وكان راعي الإبل قد ضَخُمَ أمرُه، وكان من أشعَرِ النّاس، فلما أكثَر من ذلك خَرَج جريرٌ إلى رجال من قَوْمه فقال: ألا تَعْجَبُون لهذا الرّجل الذي يقضِي للفرزْدق عليّ ويُفضِّله وهو يهجُو قومَه وأنا أمَدحُهم؟

قال جرير: ثم ضَرَبْتُ رأيي فيه، فخرجتُ ذات يوم أمشي إليه. قال: ولم يرْكَب جرِيرٌ دابَّته، وقال: وَاللَّه ما يَسرُّني أن يَعلم أحدٌ بسيْري إليه. قال: وكان لراعي الإبل وللفرزْدق وجُلسائهما حلقةٌ بأعلى المِربد بالبصْرة يجْلسون فيها. قال: فخرجتُ أتعرّض لها لألقاه من حِيال[٤] حيثُ كنتُ أراه. ثمّ إذا انْصرَف من مجلسه لقِيتُه، وما يَسُرني أن يعلم أحدٌ، حتى إذا هو قد مرَّ على بَغلة له، وابنه جنْدل يسير وراءه راكباً مُهراً له أحْوى[٥] محذُوف الذَّنب وإنْسانٌ يمشي معه ويسْأله عن بعض السَّبب، فلما اسْتقبلتُه قلت له: مرحباً بك يا أبا جنْدل. وَضربتُ بِشِمالي إلى مَعْرَفَةِ[٦] بغلته، ثم قلتُ: يا أبا جنْدل، إنّ قولك يُسْتمَعُ، وإنك تفَضِّلُ عَلَيَّ الفرزْدق تفْضيلاً قبيحاً، وَأنا أمدحُ قَومَك وَهو يهجُوهم، وَهُو ابنُ عمّي، وليس منك، ولا

(١) تعزب: تبتعد.
(٢) الأنضاء: جمع النضو: البعير المهزول. والطّروق: المجيء ليلاً.
(٣) الأكوار: جمع الكور: الرَّحْل.
(٤) من حِيال: من قبالته.
(٥) أحدى: خالط حمرته سوادٌ.
(٦) المعرَفة: موضع العرف.

عليْك كُلفَة في أمْري معه، وقد يكْفيك منْ ذلك هيّنٌ، وأن تقُولَ إذا ذُكِرْنا: كلاهما شاعرٌ كريم، فلا تحمل منه لائمة ولا مِنِّي. قال: فَبينا أنا وهو كذلك، وهو واقفٌ عليَّ لا يَرِدُّ جواباً لقولي، إذ لحق بالرّاعي ابنُه جنْدل، فرفع كرمانيَّة[١] معهُ، فضرب بها عجُز بَغْلته، ثم قال: أراكَ واقفاً على كلْب بني كُلَيْب، كأنّك تخشَى منهُ شرّاً أو ترجو منه خيراً، فضرب البَغلة ضربةً شديدة، فزحمتْني زحْمةً وقعت منها قلنْسُوتي. فواللَّه لو يَعُوج عليَّ الرَّاعي لَقلتُ: سَفيهٌ غويٌّ ـ يعني جنْدلاً ابنه ـ ولكنه لا واللَّه ما عاج عليَّ، فأخذتُ قلنْسُوَتي فمسحْتُها وأعدتها على رأْسِي وقلت: [الوافر]

أَجَـنْـدَلُ مـا تَـقُـولُ بَـنُـو نُـمَـيْـرٍ إذا مَـا الأَيـرُ فـي اسْـتِ أَبِـيـكَ غَـابـا

قال: فسمِعتُ الرَّاعي يقول لابنِه: أما وَاللَّه لقد طرحتَ قلنسوتَه طَرْحةً مَشْؤومة، قال جرير: ولا واللَّه ما كانت القلنسُوةُ بأَغْيظَ أمره إليَّ لو كان عاج عليَّ.

[جرير يهجوه بقصيدة تذلّه إلى آخر الدهر]

فانصرف جريرٌ مُغضَباً حتى إذا صلَّى العِشاء ومَنزلُه في عُلِّيَّة قال: ارفعوا إليّ باطية من نَبيذ، وأسْرِجُوا لي، فأسرَجُوا له وأتوه بباطيةٍ من نبيذ فجعل يُهينم فسمعَتْه عجوزٌ في الدَّار، فَطلعتْ في الدَّرجة حتى إذا نَظرتْ إليه فإذا هو على الفِراش عُريان لمَا هُو فيه، فانحدرت فَقالتْ: ضيفُكم مَجْنُون، رأيتُ منهُ كذا وكذا، فقالوا لها: اذْهبِي لِطِيَّتِك[٢]، نحْنُ أعلم به وبما يُمارس، فما زالَ كذلك حَتّى كان السّحَرُ فإذا هو يُكبّر، قد قَالَها ثَمانِينَ بَيْتاً، فلمَّا بَلَغَ إلى قوله: [الوافر]

فَـغُـضَّ الـطَّـرْفَ إِنَّـكَ مِـنْ نُـمَـيْـرٍ فَـلا كَـعْـبـاً بَـلَـغْـتَ ولا كِـلاَبَـا

فذاكَ حِين كَبَّرَ، ثم قال: أخزَيْتُه وَاللَّه، أَخزَيْتُه ورَبِّ الكَعْبة ثم أَصبح، حتى إذا عَرَف أنَّ النّاسَ قد جلسوا في مجالسهم بالمِرْبد، وكَان جَرير يَعرِف مَجْلِس الرَّاعي ومجْلس الفَرَزْدق، فدَعا بدُهن فادّهن، وكفّ رأْسَهُ، وكان حَسَن الشّعَر، ثم قال: يا غُلاَم أَسرِجْ لِي، فأسرَجَ له حصاناً، ثمَّ قَصَدَ مَجْلِسَهم، حتّى إذا كان بمَوْضع السّلام لم يُسَلِّم، ثم قال: يا غُلاَم، قل لعُبَيْد الرّاعي: أَبَعَثَتْك نِسْوَتُك

(١) الكرمانية: نسبة إلى كرمان وهي ولاية مشهور في بلاد فارس (معجم البلدان ٤ : ٤٥٤).
(٢) الطيّة: الوُجهة والحاجة.

تُكْسِبهُنَّ المالَ بالعِراقِ؟ والَّذي نفسُ جَرير بيده، لَترجِعنَّ إليهنَّ بما يسوؤُهُنَّ ولا يَسُرُّهُنَّ، ثم انْدَفَعَ في القصيدة فأنْشَدها، فنكّس الفَرَزْدَقُ رَأْسَهُ، وأطرَق رَاعي الإبل، فلو انشقّتْ لهُ الأرْضُ لساخَ فيها، وأرَمَّ[1] القومُ، حتى إذا فرغ منها سار فوثب راعي الإبل من ساعته فركب بَغلتَهُ بِشَرٍّ وعَرٍّ[2]، وتفرّق أهْلُ المجلس، وصَعَد الرّاعي إلى منزله الذي كان ينزله، ثم قال لأصحابه: رِكَابَكم ركَابكم، فلَيْس لكم ها هنا مُقَام، فَضَحَكُمْ واللَّه جَرير. فقال له بعضُهم: ذلك شُؤْمُك وشُؤْمُ جَنْدل ابنك؛ قال: فَمَا اشتغلوا بشيء غير تَرحّلهم، قالوا: فسِرْنا واللَّه إلى أهلِنا سَيراً ما ساره أحد، وهم بالشُّرَيْف[3]، وهو أعلى دار بَني نُميْر، فحلف راعي الإبلِ أنّهم وجَدُوا في أهلهم قَوْلَ جَرير:

فــغُــضَّ الــطَّــرْفَ إنّــكَ مــن نُــمَــيْــرِ

يَتَناشَدُه النّاس، وأقْسَم بِاللَّهِ ما بَلَغه إنسان قَطّ، وإن لجرير لأشْياعاً من الجِنّ فَتَشاءَمت به بنو نُمَير، وسَبّوه وسَبُّوا ابنه، فَهُم إلى الآن يتشاءَمون بهم وبولدهم.

وأخْبَرني بهذا الخَبر عمِّي قال: حدّثنا الكرانِيّ، قال: حدّثني النّضْر بنُ عَمْرو؛ عن أبي عُبيدَة بمثله أو نَحْو منه، وقال في خبره: أجِئْتَ تُوقِرُ[4] إبلكَ لِنِسَائِكَ بُرّاً وتَمْراً؟ واللَّه لأحْمِلَنَّ إلى أعجازها كلاماً يبقَى مِيسَمُه[5] عليهنّ ما بقي اللّيلُ والنّهار يَسُوؤك وإيّاهُنّ استماعُه. وقال في خَبرِه أيضاً: فلما قال:

فَــغُــضَّ الــطَّــرْفَ إنّــكَ مــن نُــمَــيــرِ

وثَب وثْبَةً دَقَّ رأسَهُ السّقفُ، فجاء له صوتٌ هائِلٌ، وسمعت عجوز كانت ساكِنَة في عُلْو ذلكَ الموضع صَوْتَه، فَصاحَتْ: يا قَوْم، ضَيفُكم وَاللَّه مَجْنُونٌ، فجِئنا إليه وهو يَحبُو ويقول: غَضضْتُه واللَّه، أخزَيْتُه واللَّه، فضحتُه وربِّ الكعْبَة، فقلت له: ما لك يا أبَا حَزرَة؟ فأنشَدَنا القَصيدةَ، ثم غَدَا بها عليه.

(١) أرَمَّ القوم: سكتوا وأنصتوا.
(٢) العَرّ: الشدّة.
(٣) الشُّرَيف: ماء لبني نمير (معجم البلدان ٣: ٣٤١).
(٤) تُوقر: تُثقِل.
(٥) المِيسَم: السِّمة والأثر.

[جرير يجيب الحجّاج عن هجائه للراعي]

وذَكر ابنُ الكلبيّ، عَنْ النّهْشلي، عَنْ مِسْحَل بنِ كُسيب؛ عن جرير في خَبرِه مع الحجّاج لَمّا سأله عمّن هَجاهُ من الشُّعَراء قال: قال ليَ الحجّاج: ما لكَ وللرّاعي؟ فَقُلْتُ: أيّها الأمير، قَدِمَ البصرة، وليْس بَيْني وبَيْنَهُ عَمل، فَبَلَغَني أنَّهُ قال في قصِيدةٍ له: [الكامل]

يـا صَـاحِـبَـيَّ دَنَـا الـرَّوَاحُ فَـسِـيـرَا   غَـلَـبَ الـفَـرَزْدَقُ في الـهِـجـاءِ جَـرِيـرا

وقال أيضاً في كلمةٍ له: [الوافر]

رَأَيْـتُ الـجَـحْـشَ جَـحْـشَ بَـنِي كُـلَـيـبٍ   تَـيَـمَّـمَ حَـوْضَ دِجْـلَـةَ ثُـمَّ هـابـا

فأتيتُهُ وقُلتُ: يا أبَا جَنْدَل، إنَّكَ شيخُ مُضَر وقد بَلَغَنِي تَفضِيلُك الفرزدق عليّ، فإن أنصفْتَنِي وفضَّلتَنِي كنتُ أحقَّ بذلك، لأنّي مَدحتُ قَوْمَك وهَجَاهم.

وذكر باقي الخبر نحْواً ممَّا ذكرهُ منْ تَقدّم، وقال في خبره: فقلتُ له: إنّ أهلكَ بَعثُوك مائراً، وبِئْسَ وَاللَّهِ المائرُ أنتَ، وإنّما بَعَثَنِي أهلي لأَقْعُدَ لهم على قارعَةِ هذا المِرْبد، فلا يَسبُّهم أحَدٌ إلا سببته فإنَّ عليّ نَذْراً إنْ كَحَلْتُ عَيْني بغمْضٍ حتى أُخزيَك، فما أصبحتُ حتّى وفَيْتُ بِيَمِيني قال: ثم غَدَوتُ عليه فأخذْتُ بِعِنَانِه، فما فارقَني حتى أنشدتُه إيَّاها ـ فلما بَلَغتُ قولي: [الوافر]

أَجَـنْـدَلُ مـا تَـقُـولُ بَـنُـو نُـمَـيْـرٍ   إذَا مـا الأَيْـرُ في اسْتِ أَبيـكَ غَـابـا؟

قال: فأرسلَ يَدِي ثم قال: يقولون شَرّاً وَاللَّه.

أَخبرني عليُّ بنُ سُلَيْمان الأخفش قال: حَدَّثَني محمد بنُ الحَسن بنِ الحرُون قال: قال أبو عُبَيْدَة: أنْشد جَريرٌ الرّاعي هذِه القَصِيدة والفرزْدق حاضر ـ فلما بَلَغَ فيها قوْله:

بـهـا بَـرَصٌ بِـأَسْـفَـلِ إِسْـكَـتَـيْـهـا

غَطّى الفرزْدَق عَنْفقَتَه[1] بيَدهِ، فقال جرير: [الوافر]

كَـعَـنْـفَـقَـةِ الـفَـرَزْدقِ حِـيـنَ شَـابَـا

(١) العنفقة: شعيرات بين الشفة السفلى والذقن.

فقال الفرزدق: أَخزاكَ اللَّه، واللَّه لقد علمتُ أنّكَ لا تَقولُ غيرَها. قال: فسمع رجل كان حاضراً أَبَا عُبَيْدَة يُحدِّثُ بها، فحلفَ يميناً جزْماً أَنَّ الفرزْدق لَقَّن جريراً هذا المِصْراع بتغطية عَنْفقته، ولو لم يَفعلْ لما انتبه لذلك، وما كان هذا بيتاً قاله مُتقدِّماً، وإنما انتبه لذلك.

أخبرنا أبو خلِيفة قال: حدَّثنا محمدُ بنُ سَلاَّم قال: أخْبرَني أبو الغَرّاف قال: الذي هَاج التَّهاجِي بَيْنَ جرير والرّاعي أنَّ الرّاعي كان يُسْأَل عن جرِير والفَرَزْدق، فيقول: الفرزْدَق أكرمُهُما وأشعرُهما؛ فلقيه جرير فاسْتعْذره من نفسه.

ثم ذكر باقي الخبر مثل ما تقدم، وزاد فيه: أنَّ الرّاعي قال لابنه جَنْدل لمّا ضرب بغْلته: [الوافر]

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ كَـلْـبَ بَـنِـي كُـلَـيْـبٍ ... أَرَادَ حِـيَـاضَ دِجْـلَـةَ ثُـمَّ هَـابَـا

وَنَفَرَتِ البغلةُ فزَحمتْهُ حتى سقَطتْ قلنُسوة جرير، فقال الرّاعي لابنه: أما واللَّه لتكُونَنّ فعلةً مشؤومة عليك وَلَيهْجُوَنِّي وإيّاك، فليتهُ لا يُجاوزُنا ولا يذكر نِسْوتنا. وَعلِم الرّاعي أنهُ قدْ أساءَ وندم، فتزعم بنُو نمير أنه حَلفَ ألا يُجيب جريراً سنَة غضباً على ابنه، وأنه مات قبل أن تمضي سنة، ويقول غير بني نُمَير: إنهُ كَمِد لمَّا سمعها فمَات كمداً.

[جرير يتفوّق عليه في الهجاء]

أَخبرني محمد بن العباس اليزيديّ وأبو الحَسَن عَليّ بن سُليمان الأخفش، قالا: حدَّثنا أبو سعيد السّكريّ، عن محمد بن حبيب وإبراهيم بن سعْدان، عن أبي عُبيدة وسعدان والمفضل وعمارة بن عقيل، وأخبرنا به أبو خليفة، عن محمد بن سلام، عن أبي البيداء قالوا جميعاً: مَرَّ راكبٌ بِالرّاعي وهو يَتَغَنَّى:

وَعَـاوٍ عَـوَى مِـنْ غَـيْـرِ شَـيْءٍ رَمَـيْـتُـهُ ... بِـقَـافِـيَـةٍ أَنْـفَـاذُهـا تَـقْـطُـرُ الـدَّمَـا

خَـرُوجٍ بِـأَفْـواهِ الـرُّوَاةِ كَـأَنَّـهـا ... قَـرَا هُـنْـدُوَانِـيٍّ إذا هُـزَّ صَـمَّـمَـا[1]

فسمعها الرَّاعي فأتْبعهُ رسُولاً، وقال له: مَنْ يقول هذين البَيْتين؟

---

(١) الخَروج: الكثيرة التداول بين الناس. والهندواني: السيف المنسوب إلى الهند. وصَمّمَ السيف: مضى إلى العظم.

قال: جرير، فقال الرّاعي: أأُلاَمُ أَنْ يَغْلبني هذا؟ وَاللّه لو اجْتمع الجنُّ وَالإِنْسُ على صاحب هذين البَيْتَين ما أغنوا فيه شيئاً.

قال ابنُ سلام خاصَّة في خبره: وهذان البيتان لجرير في البَعيثِ، وكذلك كان خبره معه، اعترضه في غيْر شيء.

أخبرنا أبو خليفة قال: أخبرنا محمد بنُ سلاّم، قال: كان الرّاعي من رجال العَرب ووُجوه قومه، وكان يُقالُ له في شعره: كأنهُ يعتسِفُ الفلاةَ[1] بِغَير دليل، أي أنه لا يحتذي شعرَ شاعر، ولا يعارضُه، وكان مع ذلك بذِيّاً هجّاءً لعشيرته، فقال له جرير: [الوافر]

وَقَـرْضُـكَ فـي هَـوَازِنَ شَـرُّ قَـرْضٍ تُـهَـجِّـنُـهُـمْ وَتَـمْـتَـدِحُ الـوِطَـابَـا[2]

[غزله بامرأة من بني عبد شمس]

أخبرنا أبو خَليفَة، قال: أخْبرَنا محمدُ بنُ سَلاّم قال: قال أبو الغَرّاف: جاوَرَ راعي الإبل بَني سَعْد بن زَيْد مَناةَ بن تَميم، فنَسَب بامرأةٍ منهم من بَني عبد شَمْس، ثم أحد بني وابشيّ، فقال: [الطويل]

بَنِي وَابِشيٍّ قد هَوِينا جِوارَكُم وما جَمَعتْنا نِيَّةٌ قَبْلَها معا
خَلِيطَيْنِ مِنْ حَيَّيْنِ شتَّى تَجاورَا جَميعاً وكانا بالتَّفرّقِ أمتعَا
أَرَىَ أهلَ ليلَى لا يُبالي أميرُهم على حالَةِ المحزُونِ أن يَتَصدّعا

وقال فيها أيضاً:

صوت [الطويل]

تَذَكَّرَ هذا القَلْبُ هِندَ بني سَعْدِ سَفَاهاً وجَهْلاً ما تَذَكَّرَ منْ هِنْدِ
تَذَكَّرَ عَهْداً كان بَيْنِي وبَيْنَها قَدِيماً وهل أبْقَتْ لك الحَرْبُ مِنْ عَهدِ؟

في هذين البيتين لحنٌ من الثَّقِيل الأول بالوُسْطى، وذكر الهشاميُّ أنه لنَبيه، وذكر قمري وذُكاء وَجْه الرَّزَّة أنه لبُنان.

(١) اعتسف الفلاة: سار فيها على غير هُدًى.
(٢) الوِطاب: جمع الوَطْب: الرَّجل الجافي.

قال ابنُ سَلاّم: فلما بلغَهم شِعرهُ أزعجُوه وأصابوه بأذًى، فخرَج عنهم وقال فيهم: [الوافر]

أَرَى إِبِلي تَكالأُ رَاعِيَاهَا ... مَخَافَةَ جَارِها الدَّنِسِ الذَّمِيمِ
وَقَد جَاوَرْتُهم فَرَأَيْتُ سَعْداً ... شَعَاعَ الأَمْرِ عَازِبَةَ الحُلُومِ(١)
مَغَانِيمَ القرى سَرقاً إذا ما ... أَجَنَّتْ ظُلْمَةُ اللَّيْلِ البَهِيمِ
فَأُمِّي أَرْضَ قَوْمِكِ إنَّ سَعْداً ... تَحَمَّلَتِ المَخَازِيَ عَنْ تَمِيمِ

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سَلاَّم، عن عبدِ القاهر بنِ السَّريِّ، قال: وفَد الرّاعي إلى عبدِ الملك بنِ مرْوان، فقال لأهْل بيته: تَرَوَّحُوا إلى هذا الشيخ فإني أراهُ مُنجباً.

أخبرنا محمدُ بنُ الحسن بنِ دُريْد قال: حَدَّثنا أبو حاتم، عن أبي عُبيدة، عن يُونس قال: قدِم جَندَلُ بنُ الرَّاعي على بلالِ بن أبي بُرْدة، وقد مَدحهُ، وكان يُكثِر ذكرَ أبيه ووصفه، فقال له بلال: ألَيْس أبوكَ الذي يقُول في بِنْتِ عمِّه، وأُمُّها امرأةٌ من قوْمه: [الطويل]

فلمَّا قَضَتْ من ذِي الأَرَاكِ لُبَانَةً ... أَرَادَتْ إلينا حَاجَةً لا نُرِيدُها(٢)

وقد كان بعد هِجاء جرير إيّاه مُغَلَّباً؟ فقال له جندل: لئن كان جريرٌ غلبه لما أمسك عنه عَجزاً، ولكنَّهُ أقْسمَ غَضَباً عليَّ ألاَّ يُجيبه سَنةً، فأين أنت عن قوله في عديّ بنِ الرِّقاع العامليّ: [البسيط]

لو كُنْتَ مِنْ أَحَدٍ يُهْجَى هَجَوْتُكُمُ ... يابْنَ الرِّقَاعِ وَلَكِنْ لَسْتَ مِنْ أَحَدِ
تأْبى قُضاعَةُ لم تَعْرِفْ لكم نَسَباً ... وابنا نِزارٍ وأَنتم بَيْضَةُ البَلدِ(٣)

قال: فضَحِك بلالٌ وقال له: أمّا في هذا فقد صدقْت.

[ترفّعه عن طلب حاجة لنفسه]

أخبرني محمدُ بنُ عِمرانَ الصيرفيّ وعَمّي قالا: حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل

(١) الشَعَاع: المتفرّق. والعازب: البعيد.

(٢) اللّبانة: الحاجة.

(٣) بيضة البلد: إذا مدحوه ووصفوه بالتفرُّد، وإذا ذُمَّ الرجل فقيل هو بيضة البلد أرادوا هو منفردٌ لا ناصرَ له بمنزلة بيضة قام عنها الظليم وتركها لا خير فيها ولا منفعة (ضِدٌّ).

العَنزيّ، قال: حدّثنا محمدُ بنُ عبد الرّحمن، عن ابن عائِشَةَ قال: لَمّا أنشد عُبيدُ بنُ حُصيْن الرّاعي عبدَ الملك بنَ مرْوان قوله: [البسيط]

فإنْ رَفَعْتَ بهم رَأساً نَعَشْتَهُمُ وإنْ لَقَوْا مِثْلَها مِنْ قَابِلٍ فَسدُوا

قال له عبدُ الملك: فتريد ماذا؟ قال: تَرُدُّ عليهم صدقاتهم فتنعشَهُم، فقال عبد الملك: هذا كثِير، قال: أنت أكثر منهُ، قال: قد فعلتُ، فسلني حاجةً تَخُصُّكَ، قال: قد قَضيْتَ حاجتِي. قال: سَلْ حاجَتَكَ لِنَفْسِك؟ قال: ما كُنت لأُفسد هذه المكرُمَة.

حدَّثني أحمدُ بنُ محمد بن سَعِيد الهمذاني قال: حدثنا يحيى بنُ الحسن العلوي، قال: حدثنا إسماعيل بن يعقوب، عن عثمان بن نُمَيْر، عن أبيه قال: كُنتُ عند العَبَّاس بن محمد في يومٍ شاتٍ، فدخل عليه مُوسى بنُ عبد اللَّه بن حسن، فقال له العبَّاس بنُ محمد: يا أبا الحسن، ما لي أراكَ مُتَغيّراً؟ فقال له موسى: واللَّه إني لأغْرق ممّا كان اليوم، قال: وما كان يا أبا الحسن؟ فقال: ذاكَ أنَّ أمير المؤمنين أخرج لي وللعبَّاس بنِ الحسن خمسين ألفاً: للعبَّاس منها ثلاثون ألفاً، واللَّه ما أجد لي ولكُم مَثَلاً إلا ما قال أخو بني العنبَر، وجاوَر هو وَرَاعي الإبل في بني سعد بن زيْد مَناة، فكانوا إذا مدحهم الراعي أخذُوا مال العنْبَريّ فأعطوه الرّاعي، فقال العنْبرِيّ في ذلك: [الطويل]

أيُقطَعُ مَوْصولٌ ويُوصَلُ جانبٌ أَسَعْدَ بنَ زَيْدٍ عَمْرَكِ اللّه أجْمِلي

فإنَّا بِأرْضٍ ها هُنا غير طَائِلٍ متَى تَعلفوا بِالرَّغْمِ والخَسْفِ نَأكُلِ

قال: فقال له العبَّاس: إنكم نازعتُم القوم ثوبَهم، وكان عباس وأهلُه أعْواناً له على حذِيَّةٍ منكم، ومع ذلك فعباس الذي يقول لبنت حيدة المحاربية يرثيها: [الوافر]

أَتَتْ دُونَ الفِراشِ فأَبْشَرَتْنا مُصِيبتنا بِأُخْتِ بني حُدادِ

كأَنَّ المَوْتَ لا يَعْني سِوانا عَشِيَّة نحوها يحدُوهُ حادِي

فإنَّ خَلِيفةَ اللَّهِ المُرَجَّى وغَيْثَ النَّاسِ في الإِزَم الشِّدادِ

تَطاولَ لَيْلُهُ فَعداكَ حتَّى كأَنَّكَ لا تَثُوبُ إلى مَعادِ

يَظَلُّ - وحقَّ ذاك - كأَنَّ شَوْكاً عليه العَيْنُ تطْرِفُ من سُهادِ

فَلَيْتَ نُفوسَنا حَقّاً فَدَتْها وكُلَّ طَرِيفِ مالٍ أو تِلادِ

[جندل بن الراعي وشعره]

وجندل بن الراعي شاعر؛ وهو القائل، وفي شعره هذا صنعة:

صوت [الطويل]

طَلَبْتُ الهوَى الغَوْرِيَّ حتى بَلَغْتُهُ وَسَيَّرْتُ في نَجْدِيِّهِ ما كَفَانِيَا
وقُلْتُ لِحِلْمِي لا تَنْزَعَنِّي عَنِ الصِّبا ولِلشَّيْبِ لا تَذْعَرْ عَلَيَّ الغَوَانِيَا

الشعر لجَنْدل بن الرّاعي، والغِناء لإسحاق خَفيف ثقيل بالبِنْصَر؛ عن عمرو من جامع إسحاق وقال الهشامي: وله فيه أيضاً ثاني ثقِيل، وهو لحْن مشهور، وما وجدناه في جامعه، ولعله شذَّ عنه أو غلط الهشامي في نسبته إليه، وقال حبش: فيه أيضاً لإسحاق خفيف رمل.

أخبرني جَعفرُ بنُ قدامة قال: حَدَّثني أبو عبدِ اللَّه الهشاميّ قال: قال إسحاق: قال أبو عبَيْدة: كانت لجَنْدل بن الرّاعي امرأةٌ من بني عُقَيل، وكان بخيلاً، فنظر إليها يوماً وقد هُزِلَتْ وتَخَدَّدَ لحمها[1]، فأنشأ يقول: [الطويل]

عُقَيْلِيَّةٌ أمَّا أَعَالِي عِظَامِها فعُوجٌ وأمّا لَحْمُها فَقَلِيلُ

فقالت مُجيبة له عن ذلك: [الطويل]

عُقَيْلِيَّةٌ حَسْناءُ أَزْرَى بِلَحْمِها طَعَامُ لَدَيْكَ ابْنَ الرِّعَاءِ قَلِيلُ

فجعل جندل يَسبّها ويَضربُها وهي تقول: قلتَ فأجبتُ، وكذبتَ فصدقْتُ، فما غضَبُك؟

صوت [مجزوء الخفيف]

أَصْبَحَ الحَبْلُ مِنْ سَلا مَةَ رَثّاً مُجَذَّذَا[2]
حَبَّذا أنتِ يا سلا مةُ أَلْفَيْنِ حَبَّذَا
ثُمَّ أَلْفَيْنِ مُضْعَفَيْـ نِ وأَلْفَيْنِ هكَذا

---

(١) تخدَّد اللحم: اضطرب من الهزال وتشنّج.
(٢) مُجَذَّد: مقطّع.

في صَمِيمِ الأَحْشَاءِ مِنّي وفي القَلْبِ قد حَذا
حَذْوَةً مِنْ صَبابَةٍ تَرَكَتْهُ مُفَلَّذَا[1]

الشعر لعمَّار ذي كُبَار والغِناء لحكم الوادي هَزَج بالوسْطى عن الهشامي: قال الهشاميُّ وذكر يحيى المكّي أنه لسليم الوادِي لا لحكم.

(١) مُفَلَّذ: مقسَّم، مجزَّأ.

أخبار عَمّار ذي كُبَار ونسبه

[اسمه ونسبه وبعض صفاته]

هو عَمّار بن عَمْرو بن عبدِ الأكبر يُلَقَّب ذا كُبار، هَمْدانِيٌّ صَلِيبَةً، كُوفِيّ، وجدتُ ذلك في كتاب محمد بن عبد اللّه الحَزَنْبل. وكان لَيِّنَ الشِّعر مَاجِناً خِمِّيراً مُعاقِراً للشراب، وقد حُدَّ فيه مَرّات، وكان يَقُول شعراً ظريفاً يُضحَك من أكثره، شَدِيد التَّهافُت جَمّ السّخف، وله أشياء صالِحَةٌ نذكُرُ أجودَها في هذا الموضع من أخباره ومُنْتَخب أشعاره؛ وكان هو وحَمَّاد الراوية ومُطِيعُ بن إياس يَتَنَادَمُون ويَجْتَمِعُون على شأنهم لا يَفْتَرِقُون، وكلّهم كان مُتَّهَماً بالزَّنْدقَة.

وعَمَّار مِمَّن نشأ في دولة بني أُميَّة، ولم أسمعْ له بخبر في الدَّولة العباسية، ولا كان مع شَهْوة النّاس لشِعره واستطابتهم إيّاه يَنْتَجِع أحداً ولا يَبْرح الكُوفةَ لِعَشَاءِ بَصَره[1] وضَعْفِ نظره.

فأخبرني محمدُ بنُ مزيد قال: حَدَّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم بن عدِيّ عن حمّاد الرَّاوية، وأخبرني به محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال: حدَّثنا أحمد بن الهيثم الفراسيّ قال: حدّثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية، ولفْظ الرجلين كالمُتَقَارب قال: استَقْدَمَنِي هِشامُ بن عبد الملك في خِلافتِه، وأمر لي بصِلةٍ سَنيَّةٍ وحُمْلان[2] فلما دخلتُ عليه اسْتَنْشَدَني قصيدةَ الأفوهِ الأودِيّ: [البسيط]

لـنـا مَـعـاشِـرُ لـم يَـبْـنُـوا لِـقَـوْمِـهِـمُ ... وَإن بَـنَـى قَـوْمُـهُـم مـا أفـسَـدُوا عـادُوا

(١) عشاء البصر: ضعفه.
(٢) الحملان: ما يُحْمَل عليه من الدواب من الهبات والعطايا.

قال: فأنشدتُه إياها، ثم استَنْشَدَني قولَ أبي ذُؤَيْب الهُذليّ: [الكامل]

أَمِـنَ الـمَـنُـونِ ورَيْـبِـهـا تَـتَـوَجَّـعُ

فأنشدتُه إيَّاها، ثم استَنْشَدَني قَولَ عدِيّ بن زَيْد: [الخفيف]

أَرَوَاحٌ مُـــوَدِّعٌ أَمْ بُـــكُـــورُ

فأنشدتُه إياها، فأمر لي بمنْزل وجراية[١]، وأقمتُ عنده شَهْراً، فسألني عن أشعار العرب وأيامها ومآثرها ومحاسنِ أخلاقها، وأنا أُخبره وأنشده، ثم أمر لي بجائزة وخِلعة وحُملان، وردَّني إلى الكوفة، فعلِمْتُ أنَّ أمرَه مُقْبِل.

[الوليد بن يزيد يعجب بشعره ويجيزه عليه]

ثم استقْدمَني الوليد بن يزيد بعده، فما سألني عن شَيْء من الجِدِّ إلا مَرّة واحدة، ثم جعلتُ أُنشِده بعدها في ذلك النحو فلا يلتفت إليه، ولا يَهَشّ إلى شيء منه، حتى جَرى ذكر عمّار بن ذي كُبَار فَتشوَّقه وسأل عنه، وما ظننت أنّ شِعر عمّار شيء يُرادُ أو يُعبأُ به. ثم قال لي: هل عندكَ شيءٌ من شعْره؟ فقلتُ: نعم أنا أحفظ قصيدة له، وكنت لكثرة عَبَثي به قد حَفِظتُها، فأنشدتُه قَصِيدتَه التي يقول فيها:

[مجزوء الخفيف]

حَـبَّـذا أَنْـتِ يـا سـلا ... مـةُ أَلْـفَـيْـنِ حَـبَّـذَا
أَشْـتَـهِـي مِـنْـكِ مِـنْـ ... ـكِ مَـكـانـاً مُـجَـنْـبَـذَا[٢]
مُـفْـعَـمـاً فـي قُـبَـالَـةٍ ... بـيـن رُكْـنَـيْـنِ رَبَّـذَا[٣]
مُـدْغَـمـاً ذا مَـنَـاكِـبٍ ... حَـسَـنَ الـقَـدِّ مُـحْـتَـذَى[٤]
رَابِـيـاً ذا مَـجَـسَّـةٍ ... أَخْـنَـسـاً قـد تَـقَـنْـفَـذَا[٥]
لَـمْ تَـرَ الـعَـيْـنُ مِـثْـلَـهُ ... فـي مَـنـامٍ ولا كَـذَا

(١) الجراية: الراتب الجاري.
(٢) المجنبَذ: المرتفع المستدير.
(٣) الركنان: الناحيتان، يريد الفخذين.
(٤) المدغَم: الذي يغطيه الشعر الأسود.
(٥) الأخنس: المرتفع. وتقنفذ: تقبّض.

تَـــامِــكــاً كَـــالـــسَّـــنَـــام إذْ بُـــذَّ عَـــنْـــهُ مُـــقَـــذَّذا[١]
مِـلء كَـفَّـيْ ضَـجِـيـعِـهَـا نَـالَ مـنـهـا تـفَـخُّـذَا
لــو تــأمَّـلْـتَـهُ دُهِـشْـتَ وَعَـايَـنْـتَ جِـهْـبِـذَا[٢]
طَـيِّـبَ الـعَـرفِ والـمـجَـسَّـةِ والـلَّـمْـسِ هِـرْبِـذَا[٣]
فـأَجَـا فِـيـه فـيـه فـيـه بِـأَيْـرٍ كَـمِـثْـلِ ذَا[٤]
لَـيْـتَ أَيْـرِي ولَـيْـتَ حِـرْكِ جَـمِـيـعـاً تـآخَـذَا
فـأخـذَ ذَا بِـشـعْـرِ ذَا وأخـذ ذا بِـقَـعْـرِ ذَا

قال: فضحِكَ الوليد حتى سقط على قَفَاه، وصَفَّق بِيَدَيْه ورجْلَيه، وأَمَر بالشراب فأُحضِر، وأمرني بالإنشادِ، فجعلتُ أُنشِده هذه الأبيات وأُكرّرها عليه، وهو يَشرَب ويُصَفِّق حتى سَكِر، وأمر لي بحُلَّتين وثلاثين ألف درهم، فقبضتُها، ثم قال لي: ما فَعل عمّار؟ فقلتُ: حَيٌّ كميّت، قد عَشِيَ بَصَرُه، وضَعُف جِسمُه ولا حَراكَ به. فأمر له بعشرة آلاف دِرْهم، فقلت له: ألا أُخبر أميرَ المؤمنين بشيء يفعَلُه لا ضَررَ عليه فيه، وهو أحبُّ إلى عمَّار من الدُّنيا بحَذافيرها لو سِيقت إليه؟ فقال: وما ذاك؟ قلت: إنه لا يزال يَنْصَرِف من الحانات وهو سَكْران، فترفَعُه الشُّرَط، فيُضرَب الحَدّ، فقد قُطِّع بالسِّياط، وهو لا يَدَع الشَّرابَ، ولا يكفُّ عنه. فَتكتُب بألاّ يعرضَ له. فكتب إلى عامِلِه بالعِراقِ ألاّ يَرفع إليه أحدٌ من الحَرَس عمّاراً في سُكْر ولا غيْره إلاّ ضُرِبَ الرافعُ له حَدَّين وأطلقَ عمَّاراً.

فأخذتُ المالَ وجِئتُه به، وقُلتُ له: ما ظَنَنْتُ أنَّ اللّه يُكسِبُ أحداً بشعْرك نَقِيراً[٥] ولا يسأل عنه عاقل، حتى كَسبتُ بأوضع شيءٍ قُلتَه ثَلاثين ألفاً، قال: عَزَّ عليّ فذلِك لقلّة شُكْرك يابن الزانية، فهات نصيبي منها، فقُلت: لقد استغنيتَ عن ذلك بما خُصِصْتَ به، ودَفعت إليه العشرة آلاف درهم. فقال: وَصَلكَ اللّهُ يا أخي وجَزاكَ اللّه خيراً، ولكنها سَبَبُ هلاكي وقَتْلي، لأني أشرب بها ما دام مَعي منها دِرْهم، وأُضْرَبُ أبداً حتى أموت، فقلت له: لقد كفيتكَ ذلك، وهذا عهد أمير

(١) التامك: المرتفع الممتلىء. والمُقَذَّذ: المقصوص الشعر.
(٢) الجِهبذ: الخبير، يقصد الضخم.
(٣) الهِرْبِذ: الكاهن المجوسي، خادم بيت النار.
(٤) أجا من وجأ: دفع.
(٥) النقير: النكتة في ظهر النواة.

المؤمنين ألاّ تُضرَب، وأن يُضرَب كلُّ مَنْ يرْفعك حَدَّين، فقال: واللَّه لأنَا أشدُّ فَرحاً بهذا من فرحي بالمالِ، فجُزِيتَ خيْراً من أَخ وصَديقٍ، وقبض المال، فلم يزلْ يشربُ حتى ماتَ، وبَقِيَّتُه عنده.

[خبره مع زوجته وطلاقه لها]

نسختُ من كتابِ الحزَنْبل المُشتمِلِ على شعر عمّار وأخْبارِه، أنّ عمَّاراً ذا كبار كانت له امرأَة يقال لها دُومَة بنتُ ربَاح، وكان يُكَنِّيها أمَّ عَمَّار وكانت قد تخلّقت بِخُلُقه في شُربِ الشَّراب والمُجُون والسَّفه، حتى صارت تُدْخِلُ الرجالَ عليها وتَجْمعُهم على الفَواحِش، ثم حَجَّتْ في إمارة يوسف بن عُمر، فقال لها عَمّار: [الخفيف]

اتَّقِي اللَّهَ قد حَجَجْتِ وتُوبي ... لا يَكُونَنَّ ما صَنَعْتِ خَبالا
وَيْكِ يا دُومُ لا تَدُومِي على الخَمْـ ... ـرِ ولا تُدْخِلِي عليكِ الرِّجالا
إنَّ بالمِصْرِ يُوسُفاً فاحذَرِيهِ ... لا تَصِيري لِلعَالَمِينَ نَكالا
وَثَقِيفٌ إن تَثْقَفَنْكِ بِحَدٍّ ... لم يُسَاوِ الإهَابُ مِنْك قِبَالاً[١]
قد مضَى ما مَضَى وقد كانَ ما كا ... نَ وأوْدَى الشَّبابُ منكِ فَزَالا

قال: فضربته دُوْمَة وخرّقَتْ ثيابَه، ونتفت لحْيتَه، وقالت: أتجعلني غرضاً لشعْرِك؟ فطَلَّقها واشترى جاريةً حَسْناء، فزادت في أذاه وضرْبه غيرةً عليه، فشكاها إلى يوسفَ بن عمَر، فوجّه إليها بِخَدَم من خَدَمه، وأمرهم بضَرْبها وكسْر نبيذِها، وإغرامِها ثيابَ عمّار، فَفَعلوا ذلك، وبلغُوا منها الرِّضَا لعمَّار، فقال في ذلك عمَّار:

[مجزوء الرمل]

إنَّ عِرْسِي لا هَدَا ... ها اللَّه بِنْتٌ لِرَبَاحِ
كُلَّ يَوْمٍ تُفْزِعُ الجُـ ... ـلاّسَ منها بالصِّيَاحِ
وربُوخٌ حِينَ تُؤْتَى ... وتَهَيّا لِلنِّكَاحِ[٢]
كَلْبُ دَبَّاغٍ عَقُورٌ ... هَرَّ من بعد نُبَاحِ
ولها لَوْنٌ كدَاجِي اللَّيـ ... ـلِ مِنْ غَيْرِ صَبَاحِ

---

(١) الإهاب: الجلد. والقِبال: سير النعل بين الاصبع الوسطى والتي تليها.
(٢) الربوخ: المرأة التي يغشى عليها عند الجماع من النشوة.

ولِـسـانٌ صـارِمٌ كـالـسّـيـ ـفِ مَـشْـحـوذ الـنَّـواجِـي
يَـقْـطَـعُ الـصَّـخْـرَ ويَـفْـرِيـ ـهِ كـمـا تَـفْـرِي الـمَـسَـاحِـي(١)
عَـجَّـلَ الـلَّـهُ خَـلاصـي مِـنْ يَـدَيْـهـا وَسَـرَاحِـي
تُـتْـعِـبُ الـصَّـاحِـبَ والـجـا رَ وَتَـبْـغِـي مَـنْ تُـلاحِـي(٢)
زَعَـمَـتْ أَنِّـي بَـخـيـلٌ وقـدَ أَخْـنَـى بـي سَـمَـاحِـي
ورَأَتْ كَـفِّـيَ صِـفْـراً مـن تِـلادِي ولِـقَـاحِـي(٣)
كَـذَبَـتْ بِـنْـتُ رَبـاحِ حـيـن هَـمَّـتْ بِـاطِّـرَاحِـي
حَـاتِـمٌ لـو كَـانَ حَـيّـاً عَـاشَ فـي ظِـلِّ جَـنَـاحِـي
ولـقـد أَهْـلَـكْـتُ مـالِـي فـي ارْتِـيـاحِـي وسَـمَـاحِـي
ثُـمَّ مـا أَبْـقَـيْـتُ شَـيْـئـاً غَـيْـرَ زَادِي وسِـلاحِـي
وكُـمَـيْـتٍ بَـيْـنَ أَشْـطَـا نِ جَـوادٍ ذي مِـرَاحِ(٤)
يَـسْـبِـقُ الـخَـيْـلَ بـتَـقْـريـبٍ وشَـدٍّ كـالـرِّيـاحِ
ثُـمَّ غـارَتْ وَتَـجَـنَّـتْ وَأَجَـدَّتْ فـي الـصِّـيـاحِ
لابْـتِـيـاعـي أمـلَـحَ الـنِّـسـوانِ مِـنْ فَـيْءِ الـرِّمـاحِ
دُمْـيَـةُ الـمِـحْـرَابِ حُـسْـنـاً وَحَـكَـتْ بَـيْـضَ الأَدَاحِـي(٥)
هِـيَ أَشْـهَـى لِـصَـدَى الـظَّـمـآنِ مـن بَـرْدِ الـقَـرَاحِ(٦)
قُـلْـتُ: يـا دُومَـةُ بِـيـنِـي إِنَّ فـي الـبَـيْـنِ صَـلاحِـي
فـأنـا الـيـومَ طَـلِـيـقٌ مـن إسـارِي ذُو ارتِـيـاحِ
لـسـتُ عَـمَّـنْ ظَـفِـرَتْ كَـفِّـي بـهـا الـيـوم بِـصَـاحِ
أنـا مَـجْـنـونٌ بِـرِيـمٍ مُـخْـطَـفِ الـخَـصْـرِ رَدَاحِ(٧)

(١) يفريه: يشقّه. والمِسحاة: المجرفة.

(٢) تُلاحي: تُشَاجِر وتُقاتل.

(٣) التِّلاد: المال الموروث. واللِّقاح: جمع اللِّقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللّبن.

(٤) الأشطان: جمع الشطن: الحبل الطويل.

(٥) الأداحي: جمع الإدحيّ: مبيض النعام في الرمل، لأن النعامة تدحوه برِجلها ثم تبيض فيه وليس للنعام عش. ومَدْحَى النعام: موضع بيضها. وبيض النَّعَام تُشَبَّهُ به النساء في البياض والغضاضة والعذارى في الصّحّة والسلامة من الافتضاض.

(٦) القَرَاح: الماء الخالص النقي.

(٧) الرَّداح: المرأة الضخمة الأرداف السمينة الأوراك.

مُشبَعِ الدُّملُجِ والخَلْخالِ جَوَّالِ الوِشاحِ[١]
إنّ عَمّارَ بنَ عَمْرٍو ذا كُبارٍ ذو امْتِداحِ
وهِجاءٍ سارَ في النّاسِ لا يَمحُوه ماحي
أبداً ما عاشَ ذُو رُوحٍ ونُودِي بالفَلاحِ

قال: وكان لعمّار جارٌ يبيع الرّؤوس يقال له غُلامُ أبِي دَاود، فَطَرقَ عمّاراً قَومٌ كانوا يعاشرونه ويَدْعُونه فقالوا: أطْعِمْنا واسْقِنا، ولم يكن عِنْده شيءٌ يومئذ، فبعث إلى صاحب الرؤوس يسأله أن يُوجِّه إليه بثلاثة أرْؤُسٍ ليُعْطِيَه ثمنَها إذا جاءه شيء، فلم يفعل، فباع قمِيصاً له واشتَرى للقَومِ ما يُصلِحُهم وشَرِبُوا عنده، فلما أصبَحَ القوم خرج إلى المحلّة، وأهلُها مُجْتمِعون، فأنشأ يقول: [الهزج]

غُلامٌ لأبِي دَاوُدَ يُدْعَى سَالِقَ الرُّوسِ
وفي حُجْزَتِه قَمْلٌ كأمثالِ الجَوامِيسِ[٢]
فَمَنْ ذا يَشْتَري الرُّوسَ وقد عَشَّشَ في الرُّوسِ
رُؤوسٌ قد أراحَتْ كَرُؤوسٍ في النَّواوِيسِ[٣]
تُحاكِي أوْجُهَ المَوْتَى وريحاً كالكَرايِيسِ[٤]
يُنَقِّي القَمْلَ مِنهنَّ إذا باعَ بِتَدْلِيسِ[٥]

قال: فشاعت الأبياتُ في النّاس، فلم يقرُب أحدٌ ذلك الرجل، ولا اشترى منه شيئاً، فقام من مَوْضِعِه ذلك، وعَطَّلَ حانوتَه.

[إنفاقه المال في الخمور والفجور]

قال: وحَضرَ عمّار ذو كُبار مع هَمْدان لِقَبض عَطائِه، فقال له خالِدُ بنُ عَبْد اللّه: ما كُنتُ لأُعطِيك شيئاً. فقال: ولم أيُّها الأمير؟ قال: لأنك تُنفِقُ مالكَ في الخُمُور والفُجُور، فقال: هَيهاتَ ذَلِك، وهل بَقِيَ لي أرَبٌ في هَذَا وأنا الذي

(١) الدُّملُج: السّوار.
(٢) الحُجزة: موضع شدّ الإزار من الوسط.
(٣) النواويس: جمع الناموس: التابوت، والمقبرة.
(٤) الكرابيس: جمع الكرياس: الكنيف.
(٥) التدليس: الخداع.

أقول: [مجزوء الخفيف]

أَيْـرُ عَـمَّـارٍ أَصْـبَـحَ الـ ... ـيَـوْمَ رِخْـواً قَـدِ انْـكَـسَـرْ
أَلِـدَاءٍ يُـسْـرَى بـه ... أم مِـنَ الـهـمِّ والـضَّـجَـرْ؟
أم بـه أُخْـذَةٌ فَـقَـدْ ... تُـطْـلِـقُ الأُخْـذَةَ الـنُّـشَـرْ(١)
فَـلَـئِـنْ كـان قَـوَّسَ الـيَـ ... ـوْمَ أو عَـضَّـهُ الـكِـبَـرْ
فَـلَـقِـدْمـاً قَـضَـى ونـا ... لَ مِـنَ الـلَّـذَّةِ الـوَطَـرْ
ولـقـد كُـنْـتُ مُـنْـعِـظـاً ... وأبـداً قَـائِـمَ الـذَّكَـرْ
وأنـا الـيَـوْم لـو أرى ... الـحُـورَ عِـنْـدي لـمـا انْـتَـشَـرْ
سَـاقِـطٌ رأسُـهُ عَـلَـى ... خُـصْـيَـتَـيْـهِ بـه زَوَرْ(٢)
كُـلَّـمـا سُـمْـتُـهُ الـنُّـهـو ... ضَ إلـى كُـوَّةٍ عَـثَـرْ

قال: فضَحِكَ خالدٌ، وأمر له بعَطائه، فلمّا قَبضَه قَضَى منه دَيْنَه، وأَصلَح حالَه، وعاد لشَأنه، وقال: [مجزوء الخفيف]

أصْـبَـحَ الـيَـوْمَ أَيْـرُ عَـمّـ ... ـارَ قـد قـامَ واسْـبَـطَـرْ(٣)
أخَـذَ الـرِّزْقَ فـاسْـتَـشَـا ... طَ قِـيـامـاً مِـنَ الـبَـطَـرْ
فَـهُـو الـيَـوْمَ كَـالـشِّـظـا ... ظِ مِـنَ الـنَّـعْـظِ والأَشَـرْ(٤)
يَـتْـرُكُ الـقِـرْنَ فـي الـمَـكَـ ... ـرِّ صَـريـعـاً ومـا فَـتَـرْ
يُـشْـرِعُ الـعُـودَ لِـلـطِّـعـا ... نِ إذا انْـصـاعَ ذو الـخَـوَرْ
سَـلْـم نِـعْـمَ الـضَّـجِـيـعُ أَنـ ... ـتِ لـنـا لـيـلَـةَ الـخَـصَـرْ(٥)
لَـيـلَـةَ الـرَّعْـد والـبـرو ... قِ مـع الـغَـيْـم والـمَـطَـرْ
لـيـتَـنِـي قـد لَـقِـيـتُـكُـم ... فـي خَـلاءٍ مِـنَ الـبَـشَـرْ
فَـنَـشَـرْنَـا حَـدِيـثَـنـا ... عِـنْـدكـم كُـلَّ مُـنْـتَـشَـرْ
خـالـيـاً لَـيْـلَـةَ الـتَّـمـا ... مِ بِـسَـلْـمَـى إلـى الـسَّـحَـرْ
فـهـي كَـالـدُّرَّةِ الـنَّـقِـيَّـ ... ـةِ والـوَجْـهُ كـالـقَـمَـرْ

---

(١) الأُخْذَة: رقية كالسحر تأخذ العين أو نحوها.
(٢) الزَّوَر: المَيْل.
(٣) اسْبَطَرَّ: طال وامتدّ.
(٤) الشِّظاظ: خشبة عقفاء تُدخل في عروتَي الكيس. والأَشَر: البَطَر.
(٥) سلم: سلمى. والخَصَر: البرد.

قال: وخَرج عمّار في بَعض أسفارِه، ومعه رَجُلٌ يُعْرف بدَنْدان، فلما بلغا إلى الفرات نزلا على قرية يقال لها نَابَاذ، وأرادَا العُبور فلم يَجِدا مَعْبراً فقال له دَنْدان: أنا أَعبُرك، فنزل معه فَلمّا تَوَسّطا الفرات خلَّى عنه، فبعد جهدٍ ما نَجَا، فقال عمّار في ذلك: [الرمل]

كَادَ دَنْدَانُ بِأَنْ يَجْعَلَنِي يَوْمَ نَابَاذَ طَعاماً لِلسَّمَكْ
قُلْتُ دَنْدانُ أَغِثْنِي فمضى وأنا أعلُو وأهْوِي في الدَّرَكْ
ولقد أَوْقَعَنِي في وَرْطَةٍ شَيَّبَتْ رأسي وعَايَنْتُ المَلَكْ
لَيْتَ دَنْدَانَ بِكَفَّيْ أَسَدٍ أو قَتيلاً ثَاوِياً فيمَنْ هَلَكْ

[بينه وبين خالد القسري]

أخبرني أبو الحَسن الأسَديّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ صالح بن النطّاح، عن أبي اليَقظان قال: دَخَل عمّار ذُو كُبار على خَالِدٍ القَسْريِّ بالكُوفَة، فلمّا مَثَل بَين يَدَيْه صاح به: أيُّها الأمير: [الخفيف]

أَخْلَقتْ رَيْطَتِي وأَودَى القَمِيصُ وإزَارِي والبَطْنُ طَاوٍ خَمِيصُ[1]

قال خالد: فَنصنَع ماذا؟ ما كُلّ مَنْ أخلقت ثيابُه كسَوْناه! فقال:

وخَلا مَنْزِلِي فلا شَيْءَ فيهِ لَسْتُ مِمَّنْ يُخْشَى عليه اللُّصوصُ

فقال له خالد: ذلك من سُوء فعلِك وشُرْبِك الخمر بما تُعطاه، فقال:

واسْتَحَلَّ الأميرُ حَبْسَ عطائي خالدٌ إنَّ خالداً لَحَرِيصُ

فقال خالد وقد غضِب: على ماذا ثَكِلتك أُمُّك؟ قال:

ذو اجْتِهادٍ على العِبادةِ وَالخَيْـ ـرِ ولكن في رِزْقِنا تَعْوِيصُ[2]

فقال: على ماذا تقبض العطاءَ ولا غناءَ فيك عن المسلمين؟ فقال:

رَخَّصَ اللَّه في الكتابِ لِذِي العُذْ رِ وما عند خالدٍ تَرْخِيصُ

فقال: أولم نُرَخِّص لذي العُذْر أن يقيم ويبعث مكانه رسولاً؟ فقال:

كَلَّفَ البائِسَ الفقيرَ بديلاً هل له عنه مَعْدلٌ أو مَحيصُ!

---

(١) الرَّيْطة: الثوب الرقيق اللّيِّن. والطاوي: الجائع. وخميص: ضامر.
(٢) التعويص: الشدة.

العَليلَ الكبيرَ ذا العَرَجِ الظَّا ... لِعَ أَعْشى بِعَيْنِهِ تَلْحِيصُ[1]
يا أبا الهَيْثَمِ المباركَ جُدْ لي ... بعطاءٍ ما شَانَهُ تَنْغِيصُ
وبرزقي فإننا قد رزحْنا ... مِنْ ضَياعٍ ولِلْعِيَالِ بَصِيصُ
كَبصِيصِ الفَرْخَيْنِ ضَمَّهُما العُشُّ ... وغَاذِيهِما أَسِيرٌ قَنِيصُ

قال: فَدَمعتْ عَينا خالد، فأمر له بعطائِه.

وهذه الأبياتُ من قَصِيدة يقولُ فيها:

وتَرَى البَيْتَ مُقْشَعِرّاً قَوَاءً ... مِنْ نواحِيهِ دَوْرَقٌ وَأَصِيصُ[2]
وبِجَادٌ مُمَزَّقٌ وخِوَانٌ ... نَدَرَتْ رِجْلُهُ وأُخرى رَهِيصُ[3]
ولقد كان ذَا قَوَائِمَ مُلْسٍ ... تُؤْكَلُ اللَّحْمُ فَوْقَهُ والخَبِيصُ
شَطَنَتْ هكذا شَوَارِدُ بالمِصْـ ... ـرِ وعَنِّي لم يُلْهِهِ التَّرْبِيصُ[4]
وَتَوَلَّى في كُلِّ بَحْرٍ وبَرٍّ ... هَمُّهُ العَرْسُ فيه والتَّحْصِيصُ[5]
مُتَعَالٍ عَلَيَّ آخرُ مَخْبُو ... رٌ يُغَادِيهِ بَطَّةٌ ومَصُوصُ[6]
وشِوَاءٌ مُلَهْوَجٌ ورُؤُوسٌ ... وصُيودٌ قد حازَها التَّقْنيصُ[7]
ثم لا بُدَّ يَلْتَقِي الوَزْنُ بالقِسْـ ... ـطِ لدى الحَشْرِ فاحْذَروا أن يَبُوصُوا[8]
أَكْثِرُوا الملكَ جَانِباً واجْمَعُوه ... سَوفَ يُودِي بِذلكَ التَّنْقِيصُ

ونَسختُ من كتَاب الحَزنبَل، أنَّ عمَّاراً وقَف على عاصم بن عقِيل بن جعْدة بن هُبيرة المخزوميّ فقال له: [مجزوء الرمل]

عَاصِمٌ يَابْنَ عَقِيلٍ ... أَفْسَحُ العَالَمِ بَاعَا
وَارِثُ المَجْدِ قَدِيماً ... سَامِياً يَنْمِي ارْتِفَاعَا

---

(١) الظالع: الأعرج. والتلحيص: التصاق العين من الرَّمَص.
(٢) قواءً: خالياً لا أنيس فيه. والدورق: الجرّة ذات العروة، والأصيص: وعاء كالجرة يحمل فيها الطين.
(٣) البِجاد: الكساء المخطَّط. والخِوان: ما يوضع عليه الطعام. والرهيص: الواهن.
(٤) التربيص: الانتظار.
(٥) العَرْس: إقامة الفرح. والتّحصيص: الظهور.
(٦) المصوص: نوع من الطعام يطبخ بلحم الطير المنقوع بالخل.
(٧) الملهوج: غير الناضج.
(٨) يبوصون: يهربون ويختفون.

عَـنْ هُـبَـيْـرٍ وابْـنِـهِ جَـعْـ ـدَةَ فَـاحْـتَـلَّ الـتِّـلاعَـا

فقال له عاصم: أسمعتَ يا عمَّار فقُلْ فقد أبلغتَ في الثَّناء، فقال:

اكْـسُـنِـي أَصْـلَـحَـكَ الـلَّـ ـهُ قَـمِـيـصـاً وصِـقَـاعَـا[١]
وأَرِحْـنِـي مِـنْ ثِـيَـابٍ بَـالِـيَـاتٍ تَـتَـدَاعَـى
طَـالَ تَـرْقِـيـعِـي لـهـا حَـتَّـ ـى لَـقَـدْ صَـارَتْ رِقَـاعـا
كُـلُّـهـا لا شَـيءَ فـيـهـا غَـيْـر قَـمْـلٍ تَـتَـسَـاعَـى
لـم تَـزَلْ تُـولِـي الَّـذي يَـرْ جُـوكَ بِـرّاً واصْـطِـنَـاعـا

فنزع عاصمٌ جُبَّة كانت عليه، وأمر غلامهُ فجعل تحتها قميصاً ودَفعها إليه، وأمر لهُ بمائتي دِرْهم. فأمّا القصيدة الذّالِيّة، التي استَحْسنها الوليد، وسأل حمَّاداً الرَّاوية عنها فإنها كثيرةُ المرذُولِ، ولكنها مُضْحكة طَيِّبة من الشِّعر المرذُول وفيها يقول: [مجزوء الخفيف]

أَنْـتَ وَجْـداً بـهـا كَـمُـغْـضِـ ـي جُـفُـونٍ عـلـى الـقَـذَى
لـم يَـقُـلْ قَـائِـلٌ مِـنَ الـنَّـ ـاسِ قَـوْلاً كَـنَـحْـوِ ذَا
تـحـتَ حـرٍّ وَصَـلْـتُـهُ صَـارَ شـعـراً مُـهَـذَّذا
قَـوْل عَـمَّـارِ ذِي كُـبَـا رِ فـيـا حُـسْـنَ مـا احْـتَـذَى
عَـلِّـلانـي بِـذِكْـرِهـا واسْـقِـيَـانِـي مُـحَـذَّذا[٢]
تَـتْـرُكُ الأُذْنَ سُـخْـنَـةً أرجُـوانـاً بـهـا خَـذَا[٣]

[بعضٌ من غزله]

ومن صالح شِعره قولُه: [الهزج]

شَـجَـا قَـلْـبِـي غَـزَالٌ ذُو دَلاَلٍ وَاضِـحُ الـسُّـنَّـهْ
أَسِـيـلُ الـخَـدِّ مَـرْبُـوبٌ وفـي مَـنْـطِـقِـهِ غُـنَّـهْ[٤]
أَلاَ إِنَّ الـغَـوَانِـي قَـدْ بَـرَى جِـسْـمِـي هَـوَاهُـنَّـهْ
وَقَـالُـوا: شَـفَّـكَ الـحُـورُ هَـوًى قُـلْـتُ لَـهُـمْ: إِنَّـهْ

(١) الصِّقاع: هو كلّ ما يقي الرأس من عمامة أو خِمار.
(٢) الشرب المُحَذّذ: الشرب المتقطّع.
(٣) الخَذَا: استرخاء الأذن.
(٤) خَدٌّ أسيل: ناعم الملمس.

وَلَكِنِّي عَلَى ذَاكَ ... مُعَنًّى بِأَذَاهُنَّهْ
أَرَاحَ اللَّهُ عَمَّاراً ... مِنَ الدُّنْيَا وَمِنْهُنَّهْ
بَعِيدَاتٍ قَرِيبَاتٍ ... فَلا كَانَ ولا كُنَّهْ
فقد أذهلَ مِنِّي العَقْلَ ... وَالقَلْبَ شَجَاهُنَّهْ
يُمَنِّينَ الأَبَاطِيلَ ... وَيَجْحَدْنَ الَّذي قُلْنَهْ

وقوله أيضاً: [الكامل]

يَا دُومُ دَامَ صَلاحُكُمْ ... وَسَقَاكِ رَبِّي صَفْوَةَ الدِّيَمِ(١)
مِنْ كُلِّ دَانٍ مُسْبِلٍ هَطِلٍ ... مُتَتَابِعٍ سَحٍّ من الرِّهَمِ(٢)
تَرِدُ الوحُوشُ إليه سَارِعَةً ... وَالطَّيْرُ أفْواجاً مِنَ القُحُمِ(٣)
قَلْقَلْتِ مِنْ وَجْدٍ بكم كَبِدِي ... وصَدَعْتِ صَدْعاً غيرَ مُلتَئِمِ
وتَرَكْتِني لِعَواذلي غَرَضاً ... كَاللَّحم مُتَّرَكاً على الوَضَمِ(٤)
بَرِحَ الخَفاءُ وقد عَلِمْتِ به ... إنِّي لِحُبِّكِ غَيْرُ مُكْتَتِمِ
أَخْفَيْتُهُ حَتَّى وَهَى جَلَدي ... وبَرَى فؤادي واسْتَباحَ دَمِي
يَا أَحْسَنَ الثَّقَلَيْنِ كُلِّهِمُ ... وأَتَمّ مَنْ يَخْطُو على قَدَمِ
يَصْبُو الحَليمُ لِحُسْنِ بَهْجَتِها ... ويَزِيدُهُ أَلَماً إلى أَلَمِ
تَفْتَرُّ عن سِمْطَيْنِ من بَرَدٍ ... مُتَفَلِّجٍ عن حُسْنِ مُبْتَسِمِ(٥)
كالأُقحوانِ لِغِبِّ سَارِيَةٍ ... جُنْحَ العَشَاءِ يُنِيرُ في الظُّلَمِ
حُمّ اللِّثَاتِ يَرُوقُ نَاظِرُهُ ... ما عِيبَ مِنْ رَوَقٍ ولا قَصَمِ(٦)
تُومِي بِكَفٍّ رَطْبَةٍ خُضِبَتْ ... وَأَنَامِلٍ يَنْطُفْنَ كالعَنَمِ(٧)
وَبِمُقْلَةٍ حَوْرَاءَ سَاجِيَةٍ ... وَبِحَاجِبٍ كَالنُّونِ بِالقَلَمِ(٨)
والجِيدُ منها جِيدُ مُغْزِلَةٍ ... تَحْنُو إلى خِشْفٍ بِذِي سَلَمِ(٩)

---

(١) الدِّيَم: جمع الدِّيمة: مطر يتساقط في سكون بلا رعد ولا برق.
(٢) المسبِل: الممطر. والهَطِل: المتتابع المطر. والرِّهَم: جمع الرِّهمة: المطر الدائم.
(٣) القُحُم: جمع القحمة: القحط.
(٤) الوَضَم: خشبة الجزّار التي يقطّع عليها اللحم.
(٥) السِّمْط: الصفّ. والبَرَد: كناية عن الأسنان.
(٦) الرَّوَق: طول الأسنان. والقصم: انكسار الثنيّة من النصف.
(٧) العَنَم: نبات ثمره أحمر اللون يشبّه به البنان المخضوب.
(٨) ساجية: ساكنة.
(٩) المُغْزِلة: الظبية لها غزال تديم النظر إليه. والخِشْف: ولد الظبية حين يولد.

وَكَــدُمْـيَــةِ الـمِـحْـرَابِ مَـائِـلَــةٍ والـفَـرْعُ جَـثْـلُ الـنَّـبْـتِ كـالْـحـمَـمِ[١]
وَكَــأَنَّ رِيـقَــتَــهَــا إذا رَقَــدَتْ رَاحٌ يَـفُـوحُ بِـأَطْـيَـبِ الـنَّـسَـمِ[٢]

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء قال: حدّثنا الحسنُ بنُ أحمد بن طالب الدِّيناريّ قال: حدّثني إسحاقُ بنُ إبراهيم الموْصليّ، قال: قال حمَّاد الراوية: أرسلَ الوليدُ بنُ يزيد إليَّ بمائتي دينارٍ وأمر يُوسفَ بنَ عمر بحمْلي على البريد، فقلتُ: يسألني عن مآثر طَرفيْه قريْشٍ أو ثقيفٍ، فنظرتُ في كتابَيْ ثقيف وقريْش حتى حفِظتهما، فلما قدِمْتُ عليه سألني عن أشعار بليّ، فأنشدته منها ما حفظته، ثم قال لي: أنشدني في الشّراب، وعنده قومٌ من وُجوه أهل الشام. فأنشدتُه لعمّار ذي كُبار: [مجزوء الخفيف]

أَصْــبِــحِ الــقَــوْمَ قَــهْــوَةً فــي أَبَــارِيــقَ تُــحْــتَــذَى
مِــنْ كُــمَــيْــتٍ مُــدَامَــةٍ حَــبَّــذا تِــلْــكَ حَــبَّــذا
تَــتْــرُكُ الأُذْنَ شــربُــهــا أرجُــوانــاً بــهــا خَــذَا

فقال: أعدها، فأعدتُها، فقال لخدمه: خُدوا آذانَ القوم، قال: فأُتينا بالشراب فسُقِينا حتى ما درَيْنا متى نُقِلنا، ثم حُمِلنا فطُرِحنا في دار الضّيفان، فما أيقظنا إلا حرُّ الشَّمس وجعل شيخٌ من أهل الشَّام يشتمني ويقول: فعل اللَّهُ بك وفعَل، أنت صنعت بنا هذا.

صوت

[مجزوء الكامل]

شَــطَّــتْ ولــم تُــثِــبِ الــرَّبَــابْ ولَــعَــلَّ لِــلــكَــلِــفِ الــثَّــوَابْ
نَــعِــبَ الــغُــرَابُ فَــرَاعَــنِــي بِــالــبَــيْــنِ إذْ نَــعــب الــغُــرَابْ

عروضه من الضرْب الثالث من العروض الثالثة من الكامل.

والشعر لعبدِ اللَّه بن مُصعب الزّبيريّ، والغناءُ، لحكَم الوادي، ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، عن إسحاق.

(١) الفرع: الشعر. والجثل: الطويل الملتف.

(٢) الرَّاح: الخمر.

أخبار عبد اللّه بن مصعب ونسبه

[اسمه ونسبه، وإعجاب المهدي بشعره]

عبدُ اللّه بن مُصعَب بنِ ثابت بنِ عبد اللّه بنِ الزُّبير بنِ العوَّام بنِ خُوَيْلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيٍّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعْب بن لُؤَيّ بن غالب.

شاعِرٌ فصِيحٌ خطيبٌ ذو عارضَة[1] وبيان واعتبار بين الرجال وكلامٍ في المحافل، وقد نادم أوائلَ الخلفاء من بني العبَّاس، وتَولَّى لهم أعمالاً، وكان خرج مع محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالمدينة على أبي جعفر المنصور فيمَن خرج من آل الزبير، فلمَّا قُتِل محمد استتر عنه وقيل: بل كان استتارُه مُدَّة يسيرة إلى أن حجَّ أبو جعفر المنصور وآمن النَّاسَ جميعاً فظهر.

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء، قال: حدَّثنا الزُّبيرُ بنُ بكّار، قال: حدَّثنا عمّي وفُلَيْح بن إسماعيل، عن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة قال: دخلتُ على المهدي، وإذا هو يكتُبُ على الأرض بفَحمةٍ قولَ عبدِ اللّه بن مُصعَب: **[الطويل]**

فَإنْ يَحْجُبوها أو يَحُلْ دُونَ وَصْلِها ... مَقالَةُ وَاشٍ أو وَعِيدُ أمِيرِ
فلن يَمْنَعُوا عَيْنَيَّ مِنْ دَائِمِ البُكَا ... ولن يُخْرِجُوا ما قَدْ أجَنَّ ضَمِيري
وما بَرِحَ الوَاشُونَ حَتَّى بَدَتْ لنا ... بُطُونُ الهَوى مَقْلُوبَةً لِظُهُورِ
إلى اللّهِ أشْكُو ما أُلاقي مِنَ الجَوَى ... وَمِنْ نَفَسٍ يَعْتَادُنِي وزَفِيرِ

ويقول: أحْسنَ واللّه عبدُ اللّه بن مصعب ما شاء.

وهذه الأبياتُ تُنسب إلى المجنون أيضاً؛ وفيهما بَيْتان فيهما غناءٌ ليزيد حَوراء خفيف رَمَل بالوُسطى من رواية عَمْرو بن بانة، ويُقال إنه للزُّبيْر بن دَحْمان، وذكر

(١) العارِضة: الرأي الجيد والبديهة.

حَبَش أنّ فيهما لإِسْحاق خفيف ثقيل أوّل بالوُسْطى.

[حُبّه لجارية وشِعره فيها]

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريُّ قال: حدَّثَنا عُمرُ بنُ شبَّة قال: حدَّثني مُحمدُ بنُ الحسن بن زياد. ونسختُ هذا الخبر من كتاب أبي سعْد العَدوِيّ، عن أبي الطِّرمّاح مولى آل مُصْعب بن الزُّبيْر من أهْل ضَريّة، وروايتُه أتمّ، أنَّ عبد اللّه بن مُصعب لمَّا وَلِيَ اليمامة مَرَّ بالحوْأب يوماً - وهو ماءٌ لبني أبي بكْر بن كلاب، وهو الذي ذكره النبيُّ ﷺ لعائشةَ - فرأى على الماء جاريةً منهم، فهَويَها وهَويته، وقال: [البسيط]

يا جُمْلُ لِلوَالِهِ المُسْتَعْبِرِ الوَصِبِ ... ماذا تَضَمَّنَ من حُزْنٍ ومن نَصَبِ؟[١]

أنَّى أُتِيحَتْ له لِلحَيْنِ جَارِيَةٌ ... في غَيْرِ ما أَمَمٍ منها ولا صَقَبِ[٢]

جَارِيةٌ من أبي بكرٍ كَلِفْتُ بها ... مِمَّنْ يَحُلُّ مِنَ الحَصَّاءِ والحَوَبِ[٣]

من غيرِ معرفةٍ إلاَّ تَعَرُّضَها ... حَيناً لذلك إن الحَيْنَ مُجْتَلِبي

قامَتْ تَعَرَّضُ لِيَ عَمْداً فقلتُ لها: ... يا عَمْرَكِ اللّه، هل تَدْرِينَ ما حَسَبِي

بينَ الحَوارِيِّ والصِّدِّيقِ في نَسَبٍ ... يَنْهَى عَنِ الفُحْشِ مِثْلِي غَيْر مُؤْتَشَبِ[٤]

ولا أَدِبُّ إلى الجَارَاتِ مُنْسَرِباً ... تَاللّهِ إنِّي لَعِزْهَاةٌ عَنِ الرِّيَبِ[٥]

فخطبها، وكانت العرب لا تُنكِحُ الرجل امرأة شَبَّبَ بها قبل خِطبته، فلم يزوّجُوها إياه، فلما يَئِستْ منه قالت: [الطويل]

إذا خَدِرَتْ رِجْلِي ذَكَرْتُ ابْنَ مُصْعَبٍ ... فَإِنْ قِيلَ عَبْدُ اللّهِ، خَفَّ فُتُورُها

ألاَ لَيْتَنِي صَاحَبْتُ رَكْبَ ابْنِ مُصْعَبٍ ... إذا ما مَطَايَاهُ اتْلأَبَّتْ صُدُورُها[٦]

لقد كُنْتُ أَبكِي واليَمَامَةُ دُونَهُ ... فكيفَ إذا الْتَفَّتْ عليه قُصُورُها؟

---

(١) الوَصِب: المريض. والنَّصَب: التعب.

(٢) الأَمَم: القريب اليسير التناول. والصَّقَب: القريب المجاور.

(٣) الحصّاء: من مياه أبي بكر (معجم البلدان ٢: ٢٦٢) والحوأب: من مياه أبي بكر أيضاً (معجم البلدان ٢: ٣١٤).

(٤) المؤتشَب: المختلط.

(٥) المنسرب: المتسلّل. والعِزْهَاة: المبتعد.

(٦) اتلأَبّتْ: تلاقت.

قال أبو الطِّرِمّاح في خبره: وكان لها إخوةٌ شُرُش غُيُرٌ فقتلوها.

أخبرنا ببعْض هذه القصة ابنُ عمار، عن أحمد بن سُليمان بن أبي شيخ، عن أبيه، عن أبي عمر الزّهري، وذكر الشّعريْن جميعاً والألفاظُ قريبة.

[ملاحاته مع رجل من ولد عمر بن الخطّاب]

وأخبرني أحمدُ بنُ عبيد اللَّه بن عمَّار، قال: حدَّثني عليٌّ بن محمد النّوفلي عن أبي عمر الزّهْري، قال: حدّثني أبي أنّ عبد اللّه بن مُصعب خاصمَ رجلاً من ولد عُمَر بن الخطَّاب بحضْرة المهْديّ، فقال له عبدُ اللَّه بنُ مُصعَب: أنَا ابنُ صفيَّة، قال: هي أدنتك من الظّلّ ولولاها لكُنتَ ضاحياً وكُنتَ بين الفَرْث والحويَّة[1]. قال: أنا ابنُ الحواريّ. قال له العُمَريّ: بل أَنت ابنُ ورْدان المُكاريّ. قال: وكان يُقال: إنَّ أُمّه كانت تهْوى رَجلاً يكري الحمير يقال لهُ ورْدان، فكان مَنْ يَسُبّهُ ينسبه إليه، وقال فيه الشّاعر: [الطويل]

أَتُـدْعَـى حَـوَارِيَّ الـرَّسـولِ سَـفَـاهَـةً وأنـتَ لِـوَردانِ الـحـمـيـرِ سَـلِـيـلُ

فقال: واللّه لأنا بأبي أشبهُ من التمرة بالتمرة والغُرابِ بالغراب، قال له العمريّ: كذبت، وإلاّ فأخبرني ما بالُ آلِ الزُّبيْر ثُطّ اللّحى وأنت أَلْحَى[2] وما لهُم سُمراً جِعاداً وأنت أحمرُ سَبْط[3]؟ قال: أَلِي تقولُ هذا يابن قتيل أبي لؤلؤة؟ قال العُمريّ: يابن قتيل ابن جُرْمُوز على ضلالة، أَتُعيِّرني أنْ قتلَ أبي رجلٌ نصْرانيّ وهو أميرُ المؤمنين قائماً يُصَلّي في محرابه وقد قتل أباكَ رجلٌ مُسلم بيْن الصَّفَّين يدفعه عن باطل، ويدعوه إلى حق، فأنا أقول: رحم اللّه ابنَ جُرْموز، فقل أنت: رَحِم اللّه أبا لُؤلُؤة، ثم أقبل على المهديّ فقال: ألا تَسْمع يا أميرَ المؤمِنين ما يقولُ عائِدُ الكلبِ[4] في عمر بن الخطاب، وقد عَرفْت ما كان بَيْنَه وبين أبيك العبَّاس بن عبد المطلب وابنه عبد اللّه من المودَّة، وتَعْلَم ما بيْن جَدّه عبد اللّه بن الزُّبير، وبيْن جَدّك عبد اللّه بن العباس من العَداوة فأَعِنْ يا أَميرَ المؤمنين أولياءَك على أعدائك!

---

(١) الضَّاحي: البارز. والفرث: بقايا الطعام في الكرش. والحَوِيَّة: ما انقبض واستدار من الأمعاء.

(٢) الثُّطّ: جمع الأثط: هو الخفيف شعر اللحية، والألحى: الكثيف اللحية.

(٣) السَّبِط: الطويل.

(٤) عائد الكلب: لقب عبد اللّه بن مصعب لِشعرٍ قاله.

فوثب رجلٌ من آل طلحة، فقال له: يا أمير المؤمنين، ألا تَكُفُّ هذين السَّفِيهين عن تناول أعراض أصحاب رسول اللّهﷺ؟ وتَكلّم النّاسُ بينهما وتَوَسَّطُوا كلامَهُما وأكْثَروا، فأمر المهديّ بكَفِّهما والتّفْرِيق بَيْنَهُما.

[لقبه «عائد الكلب» وسببه]

قال النّوفليّ: وكان عبدُ اللّه بن مُصْعَب يُلقَّب عائِدَ الكلب لقوله: [الكامل]

ما لِي مَرِضْتُ فلم يَعُدْني عَائِدٌ ... مِنْكُمْ ويَمْرَضُ كَلْبُكُمْ فَأَعُودُ؟
وأَشَدُّ مِنْ مَرَضِي عَلَيَّ صُدُودُكُمْ ... وَصُدُودُ عَبْدِكُمُ عَلَيَّ شَدِيدُ

فلُقِّب عائدَ الكَلْب.

قال ابنُ عمَّار: هكذا حِفظي عن النوفليّ، وقد يزِيدُ القَولُ وينقص.

لحَكَم الوَادِي في هذين البَيتَيْن اللَّذين أولُهما:

مَا لِي مَرِضْتُ فلم يَعُدْني عَائِدٌ ... مِنْكُمْ ويمرضُ كَلْبُكُمْ فَأَعُودُ

لَحنَان خفيف ثقِيل بالوُسْطى، عن إبراهيم وَحَبَش، ورَمَل بالوُسْطى عن الهشامي.

أخبرنا أحمدُ بن عُبَيْد اللّه بن عمّار، قال: حَدَّثني أحمدُ بن سُلَيْمان بن أبي شيخ، قال: أنشدَ الأُحيْجِيُّ المهْديَّ قَصيدةً مدَحَه بها، وكان عبد اللّه بن مُصْعب حاضراً، فحسَدَه على إقبال المهْدِيّ عليه، وكان المهديّ يُحبّه، فجَعَل يخاطب المهدِيّ ويُحَدِّثُه، فقال له: أمسِك فما يَشْغَلني كلامُك عنه، فقَطَع الأُحَيْجِيُّ الإِنْشاد، ثم أقبل على المَهْدِيّ فقال له:

عَبْدُ مَنَافٍ أَبُو أُبُوَّتِنَا ... وعَبْدُ شَمْسٍ وهَاشِمٌ تَوَمُ[1]
بَحْرَانِ خَرَّ العَوَّامُ بَيْنَهُما ... فَالْتَطَما والبِحَارُ تَلْتَطِمُ

فقال له المهدي: كَذَاك هو، فدع هذا المَعْنَى وعُدْ إلى ما كنت فيه، وخَجِل عَبدُ اللّه فما انتفع بنفسه يَومئذ.

قال ابنُ عمّار: فحدّثني بعضُ شُيُوخنا قال: كُنتُ عند مُصْعب بن عبد اللّه

---

(١) تَوَم: تخفيف توأم.

الزُّبيْري يوماً وقد جَرَى ذكرُ الأُحَيْحي، فأنشدتُه هذين البَيتَين، فتغيَّر لونُه، ثم قال لي: نعم، قد كان خاطب أبي بهما فأمضَّه، فلمّا قمنا عنه قال لي: ويْحَك، أتنشد رجُلاً كنت تتعلّم منه وتأخذ عنه هِجاءً في أبيه؟ فقلتُ له: دعْني فإني أحببتُ أن أغُضَّ من كِبرِه! قال: وكان في مُصعب بعضُ ذلك.

صوت

زَارَتْ سُلَيْمَى وكان الحَيُّ قد رَقَدَا ولم تَخَفْ من عَدُوٍّ كاشِحٍ رَصَدَا
لقد وَفَتْ لك سَلمَى بِالَّذي وَعَدَتْ لَكِنَّ عُقْبَةَ لم يُوفِ الَّذِي وَعَدَا

عروضه من البسيط، الشعر لابن مُفرّغ الحمْيريّ، والغناء لابن سُرَيْج رمل بالوسطى عن أحمد بن المكيّ، وفيه لعواد لحن من كتاب إبراهيم غير مُجنّس.

وقد تقدّمت أخبار ابن مفرّغ مُسْتَقْصاة فيما قبل هذا من الكتاب، فاستغْني عن إعادتها ها هنا وإعادة شيء منها، إذْ كان قد مضى منها ما فيه كِفاية ولِلّه الحمد.

صوت

[الكامل]

ما شَأنُ عَيَنِكَ طَلَّةُ الأَجفانِ مِمَّا تَفِيضُ مَرِيضَةُ الإِنسانِ
مَطْروفَةٌ تَهْمِي الدُّمُوعَ كَأَنَّها وَشَلٌ تَشَلْشَلَ دَائِمُ التَّهْتَانِ[1]

الشعر لعُمارة بن عقيل، والغِناء لمتيّم ثاني ثقيل بالوسطى.

(١) الوَشَل: الماء القليل الذي لا يتّصل قطره. وتشلشلَ السّائل: انتشر متفرّقاً. ودائم التهتان: غير منقطع.

أخبار عمارة ونسبه

[توفي ٢٣٩ هـ/ ٨٥٣ م]

[اسمه ونسبه وفصاحته]

عُمارةُ هو ابنُ عقِيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخَطَفي، وقد تقدم نَسبُه ونَسبُ جدّه في أول الكتاب، ويُكْنَى عُمارة أبا عقيل، شاعرٌ مُقدم فَصِيح، وكان يسكن باديةَ البَصْرة، ويزور الخلفاء في الدولة العباسية فيُجزلون صلتَه، ويمدح قُوّادهم وكُتّابَهم فَيحْظَى منهم بكل فائدة، وكان النّحويُّون بالبصرة يأخذون عنه اللُّغة.

أخبرني عليُّ بن سُلَيمان الأخفش قال: سمعتُ محمد بن يزيد يقول: خُتِمت الفصاحَةُ في شعْر المُحْدَثين بعُمارةَ بنِ عَقيل.

أخبرني محمدُ بن عِمران الصّيرفِيّ، والحسنُ بن عليّ، والصُّوليّ قالوا: حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزِيّ قال: سمعتُ سَلْم بن خالد بن معاوية بن أبي عمرو بن العلاء يقول: كان جَدّي أبو عَمرو يقول: خُتِمَ الشِّعرُ بذي الرُّمَّة. ولو رأى جَدّي عُمارةَ بن عقيل لَعَلِمَ أنه أشعر في مذاهب الشعراء من ذي الرُّمَّة.

قال العنزيّ: ولَعَمْري لقد صَدَقِ.

وسمعتُ سَلْماً يقول: هو أشدُّ استواءً في شعره من جرير، لأنّ جريراً سَقط في شعره وضَعُفَ، وما وَجَدُوا لعمارة سَقْطةً واحدةً في شعره.

قال العنزيّ: وحدَّثني أحمدُ بن الحَكَم بنِ بشْر بن أبي عَمْرو بن العلاء قال: أتيتُ عُمارةَ أسأله عن شَيءٍ أكتبُه عنه، فقال لي: مَنْ أنت؟ فقلتُ: أنا ابنُ

الحكَم بن بِشْر بن أبي عمْرو بن العلاء. فقال لي: كان أبوك صَدِيقي، ثم أنشدني: [الوافر]

بَنَى لَكُمُ العَلاءُ بِنَاءَ صِدْقٍ ... وتَعْمُرُ ذَاكَ يَا حَكَمَ بْنَ بِشْرِ
فما مَدْحِي لَكُمْ لأُصِيبَ مَالاً ... وَلَكِنْ مَدْحُكُمْ زَيْنٌ لِشِعْرِي

[هجاؤه وخبث لسانه]

حدّثني محمدُ بن يَحْيى الصّوليّ قال: حدَّثنا أبو ذَكْوان قال: حَدَّثنا أبو مُحَلِّم قال: هَجَا عمارةُ بن عَقِيل امرأةً، ثم أتته في حاجة بعد ذلك، فجعل يعتذر إليها، فقالت له: خَفِّضْ عليك يا أخي، فلو ضَرَّ الهِجاءُ أحداً لقتَلك وقتل أباك وجدّك.

قال مُؤَلِّف هذا الكتاب: وكان عُمارةُ هجّاءً خَبِيثَ اللّسان، فهجا فروةَ بن حَمِيصَة الأسديّ وطال التّهاجي بينهما، فلم يغلبْ أحدُهما صاحبَه حتى قُتِلَ فَرْوة.

وأخبرني محمدُ بن يَحْيى قال: حدّثنا أبو ذَكْوان قال: قال لي عُمارة: ما هاجَيت شاعراً قَطّ إلا كُفِيتُ مؤونتَه في سنةٍ أو أَقلّ من سنةٍ، إمّا أن يموت، أو يُقْتل، أو أُفحِمه، حتى هَاجَاني أبو الرُّدَينِيّ العُكليّ، فَخَنَقني بالهِجاء، ثم هَجَا بني نُمَيْر فقال: [الوافر]

أَتُوعِدُنِي لِتَقْتُلَنِي نُمَيْرٌ ... مَتَى قَتَلَتْ نُمَيْرٌ مَنْ هجاها؟

فكفانِيهِ بنو نُمَيْر فقتلوه، فقَتَلت بنو عُكْل - وهم يَوْمَئِذٍ ثلاثمائة رَجل - أربعة آلاف رَجُل من بني نُمَيْر. وقتلت لهم شَاعِرَيْن: رأسَ الكلْبِ وشاعراً آخر.

أخبرني محمدُ بن يَحيى الصُّوليّ قال: حدّثني العنزي قال: حدّثني محمدُ بن عبد اللّه بن آدم العبْدِيّ قال: حدّثني عُمارة بنُ عَقِيل قال: كنتُ جالساً مع المأمون، فإذا أنا بهاتفٍ يهتِف من خَلفِي ويقول: [البسيط]

نَجَّى عُمَارةَ مِنَّا أنَّ مُدَّتَهُ ... فيها تَراخٍ ورَكْضُ السَّابحِ النَّقِلِ
ولو ثَقِفْنَاهُ أَوْهَيْنا جَوَانِحَه ... بِذَابلٍ مِنْ رِمَاحِ الخَطِّ مُعْتَدِلِ[1]
فَإنَّ أَعْنَاقَكُمْ لِلسَّيفِ مَحْلَبَةٌ ... وإنَّ مَالَكُمُ المَرْعِيَّ كَالهَمَلِ[2]

(١) ثقفناه: ظفرنا به. وأوهينا: أضعفنا. والذابل من الرِّماح: الدقيق. والخطّ: موضع ببلاد البحرين تنسب إليه الرماح الخطيّة.
(٢) محلبة: أي تحلب الدماء من الأعناق. والهَمَل: المهمل المتروك.

إذ لا يُوَطِّنُ عَبْدُ اللَّهِ مُهْجَتَهُ على النِّزَالِ ولا لِصّا بَنِي حَمَلِ

قال: وهذا الشِّعر لفَرْوة بن حميصة فيّ. قال: فدَخَلَني من ذلك ما اللَّه يَعْلَمه، وما ظَننتُ أنّ شعرَ فروَة وقع إلى مَنْ هُنالِك. ثم خَرج عليُّ بنُ هِشام من المجلس وهو يَضْحك، فقلتُ: يا أبا الحَسَن، أتفعل بي مِثْلَ هذا وأنا صديقُك؟ فقال: ليس عليك في هذا شَيْء، فقلت: من أين وقع إليك شعر فروة؟ قال: وهل بَقِيَ كِتاب إلاَّ وهو عِندي؟ فقلتُ: يا أمير المؤمنين، أُهْجَى في دارك وبحضرتك؟ فضحك، فقلت: يا أمير المؤمنين أنصِفْني، فقال: دَعْ هذا وأخبرني بخَبر هذا الرجل، وما كان بينك وبينه، فأنشدتُه قصيدتي فيه، فلما انتهيت إلى قولي:

ما فِي السَّوِيَّةِ أَنْ تَجُرَّ عليهم وتَكُونَ يومَ الرَّوعِ أَوَّلَ صَادِرِ

أعجب المأمونَ هذا البيتُ فقال لي المأمونُ: ألهذه القصيدة نقيضة؟ قلت: نعم، قال: فهاتها، فقلت له: أَؤُذِي سمعي بلساني؟ فقال: عليّ ذلك، فأنشدتُه إياها، فلما بلغتُ إلى قوله: [الكامل]

وابنُ المَرَاغَةِ جَاحِرٌ مِنْ خَوْفِنا بَادٍ بِمَنْزِلَةِ الذَّلِيلِ الصَّاغِرِ
يَخْشَى الرِّيَاحَ بِأَنْ تَكُونَ طَلِيعَةً أو أَنْ تَحُلَّ به عقوبةُ قادِرِ

فقال لي: أوجعكَ يا عُمارة، فقُلت: ما أوجعتُه به أكثر.

أخبرني محمد قال: حدثني الحَسَن قال: حدّثني محمدُ بنُ عبد اللَّه بن آدم قال: حدّثني عمارة قال: إنّما قَتل فروةَ قَولِي له: [الكامل]

ما فِي السَّوِيَّة أَنْ تَجُرَّ عليهم وتكونَ يومَ الرَّوعِ أَوَّلَ صَادِرِ

فلما أحاطت به طيّىء وقد كان في مَعاذٍ وموئل، وكان كَثِيرَ الظَّفر بهم كثير العَفْو عمّن قَدَر عليه منهم، فقالوا له: واللَّه لا عَرضْنا لك ولا أوصَلْنا إليك سُوءاً فامْضِ لِطِيَّتِك ولكِنَّ الوِترَ معك فإن لنا فيهم ثأراً، فقال فروة: فأنا إذاً كما قال ابنُ المراغة: [الكامل]

ما فِي السَّوِيَّة أن تَجُرَّ عليهمُ وتكُونَ يَومَ الرَّوعِ أَوَّلَ صادرِ

فلم يزَلْ يحمي أصحابه ويَنْكِي[1] في القوم حتى اضْطرّهم إلى قَتلِه، وكان

(١) ينكي: يقتل ويجرح.

جمعُهم أضعافَ جمعه.

أخبرني محمد قال: حدّثني الحسن قال: حدّثني محمد بن عبد اللَّه بن آدم قال: قِيل لعمارة: أقتَلْتَ فَرْوة؟ فقال: واللَّه ما قَتَلتُه ولكني أقتَلتُه. أي سَبّبت له سَبَباً قُتِلَ به.

[مبالغته في وصف كرمه ولوم المأمون له]

أخبرني محمد قال: حدثنا الحسن قال: حدّثني محمد بن عبد اللَّه قال: حدَّثني عُمارةُ قال: رُحْتُ إلى المأمون، فكان ربما قَرّب إليَّ الشيء من الشَّراب أشرَبُه بين يديه، وكانَ يأمر بكَتْبِ كَثِيرٍ مما أقولُه، فقال لي يوماً: كيف قُلت: قالت مُفَدّاة؟ ونظر إليَّ نظراً مُنكراً، فقلت: يا أمير المؤمنين، مفدّاة امرأتي، وكانت نظرت إليّ وقد افْتَقرت وساءت حالي، قال: فكيف قُلتَه؟ فأنشدته: [البسيط]

قَالَتْ مُفَدَّاةُ لَمَّا أنْ رَأت أرَقِي ... وَالهَمُّ يَعْتَادُني مِنْ طَيْفِهِ لَمَمُ
أنْهَبْتَ مَالَكَ في الأدْنَينَ آصِرَةً ... وفي الأباعِدِ حتى حَفَّكَ العَدَمُ
فاطلبْ إليهم تَجِدْ ما كُنْتَ مِنْ حَسَنٍ ... تُسْدِي إليهم فقد ثَابَتْ لهم صِرَمُ[1]
فَقُلْتُ عَاذِلَتي، أكْثَرْتِ لائِمَتي ... ولم يَمُتْ حَاتِمٌ هُزْلاً ولا هَرِمُ

قال: فنظر إليَّ المأمونُ مُغضَباً وقال: لقد عَلَتْ هِمَّتك أن ترقى بنفسك إلى هَرِم وقد خرج من ماله في إصلاح قومه.

[مدحه لعمرو بن مسعدة]

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال: حدّثني العنزيّ قال: حدّثني محمد بن عبد اللَّه قال: حدّثنا عمارة قال: اسْتَشْفَعْتُ بِعَليّ بن هشام في أن يُؤذَن لي في الانْصراف، فقال: ما أفعلُ ذلك لأنك تُنشِد أمير المؤمنين إذا خلوتَ به وتُخبره عن وَقَائعك وفِعالِك ثم تُخبره أنّك مَظْلوم، وقد أخذ هذا أميرُ المؤمنين عليك. ثم تذاكرنا فقال: أما تذْكُر أبا الرَّازي حين أوقَع بقومك وأوقَعُوا به، ثم تَدْخل على أمير المؤمنين مُغْضَباً فتقول: [الطويل]

---

(١) الصِّرَم: جمع الصِّرمة: القطعة من الإبل أو النخل.

عَلامَ نِزَارُ الخَيْلِ تَفْأَى رُؤُوسَنا ... وقد أَسْلَمَتْ مَعَ النَّبِيِّ نِزَارُ[١]

وهي أبياتٌ قالها حين قتلهم أبو الرّازي ـ وكان عُمارة قد خرج من عند المأمون فنظر إلى رؤوس أصحابه، فدخل فأنشد هذا البيْت ـ قال: وأكرهُ أن تتبعك نفسي أمير المؤمنين فيَجدُ على مَنْ كلمه فيك، فَعَلَيْك بعمرو بن مسعدَة وأبي عبّاد فإنّهما يكتُبان بين يدي أمير المؤمنين، ويخلوان معه ويُمازحانه، فأتيتُ أبا عبّاد فذكرتُ له التشوُّقَ إلى العيال، وسألتُه الاستئذان، فصاح في وجهي وقال: مُقامك أحبُّ إلى أمير المؤمنين من ظَعْنِكَ، وما أفعل ما يكْرهه! فذهبتُ من فوري إلى عَمْرو بن مسْعدة، فدخلتُ عليه وهو يَختَضِبُ، فشكوتُ إليه الأمر فقال: يا أبا عقيل، لقد أذنت لك في ساعة ما أظهر فيها لأحد، ولي حاجة، قلتُ: وما هي؟ قال: ألفُ دِرْهم تُجْعل لك في كيسٍ تَشْتري بها عبداً يؤنسك في طريقك، ولستُ أُقصِّر فيما تحبّ. فتلَعْثَمتُ ساعةً وتلكّأتُ، فقال: حقّاً، لئنْ لم تأخُذْها لا كلّمتكَ، فأخذتها وانْصرفْت وأنا أَقول: [الكامل]

عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ الكَرِيمُ فَعَالُهُ ... خَيْرٌ وأَمْجَدُ مِنْ أَبي عَبَّادِ
مَنْ لم يُزَمْزِمْ وَالِدَاهُ ولم يَكُنْ ... بِالرَّيِّ عِلْجَ بِطانَةٍ وحصَادِ[٢]
بَصَّرْتُه سُبُلَ الرَّشادِ فما اهْتَدى ... لِسَبِيلِ مَكْرُمَةٍ ولا لِرَشَادِ
وعَرفتُ إذ عَلِقَتْ يَدِي بِعِنَانِه ... أَنِّي عَلِقْتُ عِنَانَ غير جَوَادِ
لو كانَ يعلمُ إذ يُشيِّعُ تَحَرُّقِي ... في كُلِّ مَكْرُمَةٍ ولِينِ قِيادِي
عرفَ المُصَدَّقُ رَأْيُهُ أَنّي امْرُؤٌ ... يُفْنِي العَطاءُ طَرَائِفِي وتِلادِي
وأَصُونُ عِرْضِي بِالسَّخاءِ وإنْ غَدَتْ ... غُبْرَ المحاجِرِ شُعَّثاً أَولادِي

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثنا العنزي قال: حدثني سلْم بنُ خالد قال: أنشدَ عُمارة قَصِيدةً له، فقال فيها: الأرْياحُ والأمطار، فقال له أبو حَاتم السِّجِسْتاني: هذا لا يَجُوز، إنّما هو الأرواح، فقال: لقد جذَبَنِي إليها طبْعي، فقال له أبو حاتم: قد اعترضه علمي، فقال: أما تَسْمعُ قولَهم: رياحٌ؟ فقال له أبو حاتم: هذا خلافُ ذلك، قال: صدَقْت، ورَجع.

---

(١) تفأى: تفلق.
(٢) زمزم: من الزمزمة: وهي فعل المجوس، كانوا يصدرون أصواتاً من خياشيمهم أثناء الأكل. يقصد أن والديه عربيّان. والعلج: الكافر من العجم.

[مدحه الواثق]

حدَّثنا محمدُ بنُ يَحيى قال: حدَّثنا الحسنُ، قال: حدّثنا العنزيّ، قال: قَدِمَ عُمارةُ البصرةَ أيّام الواثق، فأتاهُ علماءُ البصْرة وأنا معهم وكُنتُ غلاماً فأنشدهم قَصيدةً يمدَحُ فيها الواثقَ فلمَّا بلغ إلى قوله: [الكامل]

وبَقِيتُ في السَّبعينَ أَنْهَضُ صَاعِداً ... فَمَضَى لِدَاتي كُلُّهُمْ فَتَشَعَّبُوا[1]

بكى على ما مَضى من عُمْره، فقالوا له: أملها علينا، قال: لا أفعلُ حتى أُنشِدها أميرَ المؤمنين، فإني مدَحتُ رجلاً مرّةً بقصيدة فكتبها مِنّي رجل ثم سبقني بها إليه، ثم خَرج إليَّ الواثق فلما قدم أتوه وأنا معَهمْ فأملاها عليهم.

ثم حدَّثهم فقال: أدخلَني إسحاقُ بنُ إبراهيم على الواثق، فأمَر لي بخلْعةٍ وجائزةٍ، فجاءَني بهما خادمٌ، فَقلتُ: قد بَقي من خِلْعَتي شيءٌ. قال: وما بقي؟ قلت: خلعَ عليّ المأمون خِلعةً وسيفاً. فرجع إلى الواثق فأخبره، فأمره بإدْخالي، فقال: يا عُمارة، ما تَصْنع بِسَيْف؟ أتريدُ أن تقْتل به بقيَّة الأعراب الذين قتلْتَهم بمَقالك؟ قلتُ: لا واللّه يا أميرَ المؤمنين ولكن لي شريك في نخيل لي باليمامة، ربما خانني فيه فلعلّي أُجَرِّبه عليه، فضحك وقال: نأمرُ لك به قاطعاً، فدفع إليّ سيفاً من سُيوفه.

أخبرَنا الصُّوليُّ قال: حدّثني يزِيدُ بن محمد المهلّبيّ قال: حدّثني النّخعيّ قال: لما قَدِمَ عُمارةُ إلى بَغدادَ قال لي: كَلِّمْ لي المأمون ـ وكان النَّخعيُّ من ندماءِ المأمون ـ قال: فما زِلْتُ أُكلِّمهُ حتى أوصلتُه إليه، فأنْشَده هذه القصيدة: [الكامل]

حَتَّام قَلْبُكَ بِالحِسَانِ مُوَكَّلُ ... كَلِفٌ بِهِنَّ وهُنَّ عَنْهُ ذُهَّلُ؟

فلما فرَغ قال لي: يا نَخعِيّ، ما أدري أكثر ما قال إلا أن أقيسَه، وقد أمرت له لكلامك فيه بعشرين ألف دِرْهم.

[عتب قومه عليه لتقديم خالد بن يزيد على تميم بن خزيمة]

حدّثني الصُّوليّ، قال: حدّثني الحسن، قال: حدّثني محمدُ بنُ عبد اللّه بن آدم العَبْديّ قال: كانت بنُو تميم اجْتَمَعَت ببَغْداد على عُمارة حين قال شِعْرَه الذي

(١) اللِّدَات: جمع اللِّدَة: هو مَنْ وُلِدَ معك في وقت واحد.

يُقدِّم فيه خالدَ بنَ يزيد على تميم بن خُزَيمة، فقالوا له: قطَع اللَّه رَحِمكَ وأهانَكَ وأذَلَّكَ، أتُقَدِّمُ غلاماً من ربيعة على شَيْخٍ من بني تَميم، تَميمِ بنِ خُزَيمة، وهو مع ذلك من بيت تَميم؟ ولامُوه، فقال: [الطويل]

صَـهُـوا يَـا تَـمِـيـمُ إنَّ شَـيْـبَـانَ وَائِـلٍ ... بِـطَـرْفِـهِـمُ عَـنْـكُـمْ أَضَـنُّ وأرْغَـبُ

أأن سُمْتُ بِرْذَوناً بِطَرْفٍ غَضِبْتُمُ ... عَلَيَّ وما في السُّوقِ والسَّوْمِ مَغْضَبُ

فـإنْ أكْـرَمَـتْ أو أنْـجَـبَـتْ أُمُّ خَـالِـدٍ ... فَـزِنْـدُ الـرِّيَـاحِـيِّـيـنِ أوْرَى وأثْـقَـبُ

قال: ثمّ حدَّثنا عُمارة قال: قال لي عليّ بنُ هِشام - وفي عصبيّة على العرب -: قد علمتَ مكانك منّي، وقيامي بأمْرك، حتى قرّبك أميرُ المؤمنين المأمون، والمائة الألف التي وصلتك أنا سببُها، وها هُنا من بَني عمِّك مَنْ هو أقربُ إليك، وأجدرُ أن يُعِينني على ما قَبَل[1] أميرُ المؤمنين لك، فقلت: ومن هو؟ قال: تَميمُ بنُ خُزَيْمة، قال: قلتُ: إيه، قال: وخالدُ بنُ يَزيد بن مزيد، قلت: سآتيهما، فبعث معي شاكريّاً[2]، من شاكريّته، حتى وقف بي على باب تميم، فلمّا نظر إليَّ غِلمانُه أنْكرُوا أمري فدَنا الشّاكريُّ فقال: أعلِموا الأمير أنّ على الباب ابنَ جرير الشّاعر جاء مُسلِّماً فتوانَوْا، وخرجَ غُلامٌ أعرِف أنه غُلامُ الأمير، فحَجبني، فدخلني من ذاك ما اللَّه به عالم، فقلتُ للشّاكريِّ: أين منزلُ خالد؟ فقال: اتْبعنِي فما كان إلا قليلاً حتى وقف بي على بابه، ودخل بعْضُ غلمانه يطلبُ الإذن، فما كان إلا قليلاً حتى خَرج في قميصِه وردائِه، يتْبعه حَشَمُه. فقال لي بعْضُ القوم: هذا خالد قد أقبل إليك، قال: فأردت أن أنزل إليه، فوثَب وثبةً فإذا هو معي آخِذٌ بِعَضدِي يُريد أن أتَّكِئَ عليه، فجعلت أقول: جعلني اللَّه فِدَاكَ، أنزِل، فيأبى حتى أخذ بعَضُدي، فأنزَلني وأدْخَلني، وقرّب إليّ الطعامَ والشراب، فأكلتُ وشربت، وأخرج إليَّ خمسة آلافِ دِرْهم وقال: يا أبا عقِيل، ما آكل إلا بالدَّين، وَأنا على جناح من ولاية أمير المؤمنين، فإن صحَّتْ لي، لم أَدَعْ أَن أُغنيك، وهَذِه خمسة أثوابِ خَزٍّ قد آثرتك بها، كنتُ قد ادَّخرتُها، قال عمارةُ، فخَرجت وأنا أقول: [الطويل]

أأَتْـرُكُ إنْ قَـلَّـتْ دَرَاهِـمُ خَـالِـدٍ ... زِيَـارَتَـهُ إنّـي إذاً لَـلَـئِـيـمُ

فَـلَـيـتَ بِـثَـوْبَـيْـهِ لـنـا كـانَ خَـالِـدٌ ... وكـان لِـبَـكْـرٍ بِـالـثَّـرَاءِ تَـمِـيـمُ

---

(١) قبل: كفل وضمن.

(٢) الشاكريّ: المستخدَم.

فَيصبِحُ فينا سَابقٌ مُتَمَهِّلٌ ويُصبِحُ في بَكرٍ أَغَمُّ بَهِيمُ
فقد يُسْلِعُ المَرءُ اللَّئِيمُ اصْطِنَاعُه ويَعْتَلُّ نَقْدُ المَرْءِ وهو كريمُ

قال اليزيديّ: يُسْلع: أي تكثر سِلعَته. والسِّلعة: المتاع.

أخبرَني الصُّوليُّ، قال: حدَّثني الحسَنُ قال: حدَّثني محمد بنُ عبد اللَّه قال: حدّثني عُمارة قال: لمّا بَلَغ خالدَ بن يزيد هذا الشِّعْرُ قال لي: يا أبا عَقيل، أبلغكَ أنَّ أهلي يرتضُون مِنِّي ببدِيل كما رَضِيت بنو تميم بتميم بنِ خُزَيمة؟ فقلتُ: إنما طلبتُ حظَّ نفسي وسُقْت مكرمةً إلى أهلي لو جاز ذلك، فما زال يُضاحكني.

أخبرني الصُّوليُّ قال: حدّثنا الحسن قال: سَمِعْتُ عبدَ اللَّه بن محمد النّباجيّ يقول: سَمعت عُمارةَ يقول: ما هُجيت بشيءٍ أشدَّ علي من بَيت فَرْوة: [الكامل]

وابنُ المراغَةِ جاحِرٌ مِنْ خَوْفِنا بِالوَشْمِ منزلةَ الذَّلِيلِ الصَّاغرِ

أخبرني محمدُ بنُ يحْيَى قال: حدثني الحسنُ بن عليل العنزيّ، قال: حدَّثني النَّباحيّ قال: لمّا قال عُمارةُ يمدَحُ خالداً: [الكامل]

تَأْبَى خَلائِقُ خَالدٍ وفَعَالُهُ إلاَّ تَجَنُّبَ كُلِّ أَمْرٍ عائبِ
فإذا حَضَرْتَ البابَ عِنْدَ غَدائِهِ أَذِنَ الغَداءُ لنا بِرَغْمِ الحاجِبِ

لقِيهُ خالدٌ فقال له: أوجبْتَ واللَّه عليّ حقّاً ما حييت.

[أفضل شِعره هجاء الأشراف]

قال العنزيُّ: وسمعتُ سلْم بن خالد يقول: قلتُ لعُمارة: ما أجودُ شِعْرك؟

قال: ما هجوْتُ بهِ الأشرافَ. فقلت: ومَنْ هُم؟ قال: بَنو أسد، وهل هاجاني أشرفُ من بَني أسد؟

قال العَنزيّ: وحدَّثني أبو الأشهب الأسديّ من ولد بِشْر بن أبي خازِم قال: لمَّا أُنشِد فَروةُ بنُ حميصةَ قولَ عُمارة فيه: [الكامل]

ما في السَّوِيّةِ أَنْ تَجُرَّ عليهمُ وتَكون يَوْمَ الرَّوعِ أَوَّلَ صادِرِ

قال: واللَّه ما قتلني إلاَّ هذا البيت.

فلمَّا تكاثَرت عليه الخَيْلُ يوم قُتِل قيل له: انجُ بنَفْسِك، قال: كلاَّ واللَّه، لا حقَّقتُ قولَ عُمارة، فصَبرَ حتى قُتِلَ.

وكان فَرْوةُ من أحسَنِ النّاس وجْهاً وشِعْراً وقَدّاً، لو كان امرأةً لانتَحَرت عليهِ بنو أسد.

أخبرني محمد بن يَحْيى الصُّوليّ، قال: حدَّثني العنزيّ، قال: حدَّثني عليّ بنُ مُسلم قال: أنشدتُ يعقوبَ بنَ السِّكيت قصيدة عمارة التي رَدَّ فيها على رَجاءِ بن هارون أخي بَنِي تيم الَّلات بن ثعلبة التي أوَّلُها: [الكامل]

حَـيِّ الـدِّيـارَ كـأَنَّـهـا أَسْـطـارُ ... بِـالـوَحْـيِ يَدْرُسُ صُحْفَها الأَحْبارُ[1]
لَعِبَ البِلَى بِجَدِيدِها وَتَنَفَّسَتْ ... عَـرَصَـاتِـهـا الأَرْوَاحُ والأمـطـارُ[2]

قال أبو عليّ: وهَذا البيت الذي أخطأ فيه عمارة فقال: الأرياح، فردَّه عليه أبو حاتم السِّجستانيّ وهو يتَغيّظ ـ فلما بلغ إلى قوله:

وجُـمـوعُ أَسْـعَـدَ إذْ تـعَـضُ رُؤُوسَـهُـمْ ... بِـيـضٌ يَـطِـيـرُ لِـوَقْـعِـهِـنَّ شَـرارُ
حَـتَّـى إذا عَـزَمُـوا الـفِـرَارَ وأَسْـلَـمـوا ... بِـيـضـاً حـواصِـنَ مـا بـهـنَّ قـرارُ
لـحِـقَـتْ حَـفـيـظـتُـنـا بـهـنّ ولـم نَـزَلْ ... دُونَ الـنِّـسَـاءِ إذا فَـزِعْـنَ نَـغـارُ

قال ابن السِّكِّيت: لِلَّهِ دَرُّه، ما سمعت هِجاءً قط أكرمَ من هذا.

أخبرني محمد بن يحيى قال: وفَدَ عُمارة على المتوكل، فعمل فيه شِعراً، فلم يأتِ بشيء، ولم يُقارب، وكان عُمارة قد اختلَّ وانقطعَ في آخر عُمْره، فصَار إلى إبْراهيم بن سَعدان المؤدِّب، وكان قد روى عنه شعْرَه القديم كله، فقال له: أُحِبُّ أن تخرج إليّ أشعاري كلها لأنقلَ ألفاظَها إلى مدح الخليفة، فقال: لا واللَّه أو تُقاسِمني جائزتك، فحلف له على ذلك، فأخرج إليه شِعرَه، وقلب قصِيدةً إلى المتوكل، وأخذ بها منه عشْرَة آلاف دِرْهم، وأعطى إبراهيم بنَ سعدان نصْفها، واللَّه أعلم.

صوت

[الطويل]

تَـفـرَّق أهـلـي مِـنْ مُـقـيـم وظـاعـنٍ ... فَـلِـلَّـهِ دَرّي أيّ أهْـلـيَ أتْـبَـعُ
أَقـام الّـذيـنَ لا أُبـالـي فِـرَاقَـهـم ... وَشَـطَّ الَّـذِيـنَ بَـيْـنَـهـم أتـوَقَّـعُ

الشعر لِلمُتلمّس، والغناء لمتيّم خفيف ثقيل بالوسطى.

(١) الأسطار: جمع السَّطر. والأحبار: جمع الحِبر: هو العالم.

(٢) العَرصات: جمع العَرصة: هي ساحة الدار الواسعة.

أخبار المتلمس ونسبه

[توفي نحو ٥٠ ق.هـ/ نحو ٥٦٩ م]

[لقبه واسمه ونسبه]

المتلمّس لقب غلب عليه ببيت قاله وهو: [الطويل]

فهذا أوانُ العِرْضِ جُنَّ ذُبَابُهُ زَنَابِيرُهُ والأَزْرَقُ المُتَلَمِّسُ(١)

واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبد اللّه بن دوفن بن حرب بن وهب بن جُلَيّ بن أحمَس بن ضُبَيْعة بن ربيعة بن نزار.

قال ابن حبيب فيما أخبرنا به عبد اللّه بن مالك النحوي عنه: ضُبيْعات العرب ثلاثٌ كُلُّها من ربيعة: ضُبيْعة بن ربيعَة وهم هؤلاء، ويقال: ضُبيْعة أضجم، وضُبيْعة بن قيس بن ثعلبة، وضُبيْعة بن عِجْل بن لُجَيْم.

قال: وكان العزّ والشَّرف والرئاسة على ربيعة في ضُبيْعة أضجم، وكان سَيّدها الحارث بن الأضجم، وبه سُمِّيَتْ ضُبيْعة أضجم، وكان يقال للحارث حارث الخَيْر بن عبد اللّه بن دَوْفَن بن حرب، وإنما لُقِّبَ بذلك لأنه أصابته لقوةٌ فصار أضجم(٢)، ولُقِّبَ بذلك، ولُقِّبَتْ به قبيلتُه.

ثم انتقلت الرئاسة عن بني ضُبيْعَة فصارت في عَنَزَة، وهو عامر بن أسد بن ربيعة بن نزار، وكان يَلِي ذلك فيهم القُدار أحد بني الحارث بن الدُّول بن

---

(١) جُنَّ ذبابه: كثر ونشط. والأزرق: ضرب من الذباب ضخم أخضر اللون.

(٢) الأضجم: المائل.

صُباح بن عَتِيك بن أسْلم بن يَذْكُر بن عَنَزَة.

ثم انتقلت الرئاسة عنهم، فصارت في عبد القيس فكان يليها فيهم الأفكَلُ وهو عمرو.

هنا انقطع ما ذكره الأصفهاني رحمه اللّه[١].

وروى أبو عبيدة، وغيرُه، هذا الخَبر على نَصّ ما مضى، عن ابن حبيب.

وقال: الأفكلُ، هو عَمرو بن الجُعيد بن صَبْرة بن الدِّيل بن شَنّ بن أَفْصَى بن دُعميّ بن جديلة بن أَسد بن ربيعة، ثم انتقل الأمرُ إلى النَّمر بن قاسط، فكان يلي ذلك منهم عامرُ الضَّحيان بن سعد بن الخَزرج بن تَيم اللّه بن النَّمر، وإنما سُمِّي: الضَّحْيان، لأنه كان يقعد بهم في الضُّحى فيقضي بينهم، ثم انتقل الأمر إلى بني يشْكُر بن بكر بن وائِل، فكان يلي ذلك منهم الحارثُ بنُ غُبَرَ بن غَنْم بن حبيبِ بن كَعب بن يَشْكر؛ ثم انْتقل الأمرُ إلى بني تغلب، فصار يليه ربيعةُ بن مُرّة بنِ الحارث بن زهير بن جُشم بن بكر بن حَبيب بن عَمرو بن غَنم بن تَغْلب؛ ثم وليه بعده ابنُه كُليب، فكان من أمره في البَسُوس ما كان، فاخْتلفت أُمُورهم؛ وذَهبت رِياستهم.

وكان المُتلمّس في أَخواله بني يَشْكُر، ويُقال إنَه ولد فيهم، ومَكث فيهم حتى كادُوا يَغْلبون على نَسبه، فسأل المَلكُ، وهو عمرو بنُ هند، مُضرِّط الحجارة، وهو مُحَرِّق، وإنما سُمِّي مُحَرِّقاً، لأنه حَرَّق باليَمامة مائةً من تميم، فسأل الملكُ يوماً، وهو عنده، الحارثَ بن التَّوْأَم اليشكريّ عن المُتلمّس وعن نَسبه، فأراد أَنْ يَدَّعيه؛ فقال المُتلمس في ذلك: [الطويل]

تُعَيِّرني أُمِّي رِجالٌ ولَنْ تَرَى ... أَخا كَرم إلاَّ بأَنْ يَتَكَرَّمَا

وَمَن كان ذا عِرْضٍ كريم وَلَمْ يَصُنْ ... له حَسَباً كانَ اللَّئيمَ المُذَمّما

أَحارِث إنّا لو تُسَاطُ دماؤنا ... تَزَايَلْنَ حتى لا يَمَسَّ دمٌ دَمَا[٢]

أَمُنْتَفِياً مِنْ نَصْرِ بُهْثَة خِلْتني ... أَلاَ إنَّني مِنْهُمْ وإنْ كُنْتُ أَيْنَما

بُهْثَة: ابن حرب بن وَهْب بن جُلَيّ بن أَحْمَس بن ضُبيْعة.

(١) وكل اوخبار التي تأتي أضافها أحد الأدباء إلى كتاب الأغاني.

(٢) تُساط تُخلَط.

وإنَّ نَصَابِي إنْ سَأَلْتَ وَأُسْرَتي مِنَ النَّاسِ قَوْمٌ يَقْتَنونَ المُزَنَّما[١]
لِذي الحِلْمِ قَبْلَ اليَوْمِ ما تُقْرَعُ العَصا وما عُلِّمَ الإنْسانُ إلاَّ لِيَعْلَمَا
فلو غَيْرُ أخوالي أَرادُوا نَقِيصَتِي جَعَلْتُ لهم فَوْقَ العَرانِينِ مِيسَمَا[٢]
وَهَلْ لِيَ أُمٌّ غَيْرُها إن ذَكَرْتُها أَبَى اللَّهُ إلا أَنْ أكونَ لها ابْنَما
وقد كُنتَ تَرْجُو أَنْ أكونَ لِعَقْبِكم زَنيماً فما أُجْرِرْتُ أَنْ أَتَكَلَّما[٣]

وقال محمدُ بنَ سَلاَم: المُتلَمِّس هو جريرُ بنُ عَبد المَسِيحِ بنِ عَبد اللَّه بن ربيعة بن دَوْفَن بن حَرب، وسائر النَّسب على ما تَقدَّم. قال: والمتلَمّسُ خالُ طَرفة بن العَبد، وكان طَرفة قد هجاه.

وقال ابنُ قتيبة: هو المُتَلَمِّس بن عبد العُزّى ـ ويُقال، ابن عَبد المَسيح ـ من بني ضُبيعة بن رَبيعة، ثم من بني دَوفن، وَأَخوالُه بَنو يشكر، واسمه جرير.

وقال أَبو حاتم، عن الأصمعيّ: اسمهُ جريرُ بن زَيد؛ ويُقال: اسمُه عَمرو بنُ الحارث؛ ويُقال: اسمه عَبدُ المَسيح بن جرير.

[طبقته من الشعراء]

والمُتلمِّس من شعراءِ الجاهلية المُقِلّين المُفْلقين[٤]، وجعله ابن سلام في الطَّبقة السابعة من شُعراءِ الجاهلية، وقَرن به سلامَة بن جندل، وحُصين بن الحُمَام، والمُسَيَّب بن عَلَس.

وقال ابن قُتيبة: قال أَبو عُبيدة: واتَّفقوا على أن أَشعر المُقلِّين في الجاهلية ثلاثة: المُتلمِّس، والمُسَّيب بن عَلس، وحُصين بن الحُمام المُرّيّ.

قال ابن قتيبة: وكان للمُتلمِّس ابنٌ، يُقال له عَبد المنان، أَدرك الإِسلام، وكان شاعراً، وهلك بِبُصْرى ولا عَقِبَ له.

وقال أَبو عُبيدة: كانت ضُبيعة بن ربيعة، رَهط المُتلمّس، حُلفاء لبني ذُهْل بن ثَعلبة بن عُكَابة، فوَقع بينهم نِزاعٌ ومُخاصمة، فقال المُتَلمِّس يُعاتب بني ذُهْل:

---

(١) المُزَنَّم من الإبل: هو المقطوع طرف أذنها، ويفعل ذلك للكرام منها.
(٢) المِيسَم: الأثر والعلامة.
(٣) الزَّنيم: المُلحَق بقوم ليس منهم. الدَّعيّ.
(٤) المفلِقين: المبدعين.

[الطويل]

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الـمَـرْءَ رَهْـنُ مَـنِـيَّـةٍ صَرِيعٌ لِعَافِي الطَّيرِ أو سَوفَ يُرْمَسُ (١)
فـلا تَـقْـبَـلَـنْ ضَـيْـماً مـخَـافَـةَ مـيتـةٍ ومُـوتَـنْ بـهـا حُـرّاً وجِـلْـدُكَ أَمْـلَـسُ
فَـمِـنْ حَـذَرِ الأيّـام مـا حَـزَّ أَنـفَـهُ قَصِيرٌ وخاضَ المَوْتَ بِالسَّيْفِ بَيْهَسُ (٢)
نَـعـامَـةُ لَـمَّـا صَـرَّعَ الـقَـوْمُ رَهْـطَـهُ تَـبَـيَّـنَ فـي أَثْـوابِـهِ كـيـفَ يَـلْـبَـسُ
ومـا الـنَّـاسُ إلاَّ مـا رَأَوْا وَتَـحَـدَّثـوا وما الـعَـجْـزُ إلا أن يُضَامُوا فَيَجْلِسُوا
أَلَـمْ تَـرَ أَنْ الـجَـوْنَ أَصْـبَـحَ راسـيـاً تُـطِـيـفُ بـه الأيّـامُ مـا يَـتَـأَيَّـسُ

الجون: جَبَلٌ، أو حصن، جَعله جَوْناً للَونه. ما يَتَأَيَّس، أي لا يُؤَثِّر فيه الدّهر؛ يقول: فليس الإنسان كالحجارة والجبال التي لا تُؤَثِر فيها الأيام، ولكنه غَرَضٌ للحوادث، فلا يَنْبغي له أَن يَقبل ضَيْماً رجاءَ الحياة.

وقال الرّياشي: الجونُ: حصْن اليمامة؛ ويُقال إنه أَعيَا تُبَّعاً.

عَـصَـى تُـبَّـعـاً أَيَّـام أُهْـلِـكَـتِ الـقُـرَى يُـطَـانُ عـلـيـه بِـالـصَّـفـيـح ويُـكْـلَـسُ
هَـلُـمَّ إلـيـهـا قـد أُثـيـرَتْ زُرُوعُـهـا وَدَارَتْ عليهَا المَنْجُونُ تَكَدَّسُ (٣)
وذاك أَوانُ الـعِـرْضِ جُـنَّ ذُبـابُـه زَنـابـيـرُهُ والأَزْرَقُ الـمُـتَـلَـمِّـسُ
فَـإِنْ تُـقْـبِـلـوا بِـالـوُدِّ نُـقْـبِـلْ بِـمِـثْـلِـهِ وَإِلاَّ فَـإِنَّـا نَـحْـنُ آبَـى وَأَشْـمَـسُ
يَـكُـونُ نَـذِيـرٌ مِـنْ وَرَائِـيَ جُـنَّـةٌ وَيَـمْـنَـعُـنِـي مـنـهـمْ جُلَـيٌّ وَأَحْـمَـسُ

نذير: ابن بُهثة بن حَرب بن وَهب بن جُلَيّ بن أَحمَس بن ضُبَيعة.

وقال أبو عمرو: نذيرٌ: ابن ضُبيعة بن نِزار.

وإن يَـكُ عـنـا فـي حُـبَـيْـبٍ تَـثَـاقُـلٌ فـقـد كـان مـنّـا مِـقْـنَـبٌ مـا يُـعَـرِّسُ

أَراد: حُبَيِّب، فخَفّف، وهو: حُبَيِّب بن كَعب بن يَشكر بن بَكر بن وائل؛ يقول: إن تثاقلوا عَنا وَقَطعوا الرَّحمَ فإن لِقومي غُزىً. ما يُعَرِّس: ما يُعرِّس في الغَزْو.

---

(١) العافي: طالب المعروف أو الرزق. ويُرْمَس: يُدْفَن.

(٢) قصير: هو قصير بن سعد بن عمرو اللّخميّ وهو صاحب جذيمة الأبرش وهو الذي جدع أنفه وذهب إلى الزبّاء للانتقام لجذيمة. وبيهس: رجل من بني غراب بن فزارة وهو يلقّب نعامة.

(٣) المنجنون: البَكَرة أو الدولاب يُستقى عليها.

[قصة بيهس والمَثَل]

فأما حديث بَيهس، الذي ضُرب به المثل، فإنّ أبا عُبيدة، قال: مُدْركو الأوتار[١] في الجاهلية ثلاثة: سَيف بنُ ذي يَزن الحِميريّ، وبَيهس الفَزاريّ، وقَصير، صاحب جَذِيمة الأزديّ، وقد مضى خبر قَصير، وسيف، في موضعهما من هذا الكتاب.

وروى أبو حاتم، عن الأصمعي، أن بَيهساً الفَزاريّ غَزَا رَبْعَهُ قومٌ، فأغاروا على إخوته وأهل بيته وقَتلوهم أجمعين، وأسروا بَيْهَساً، فلمَّا نَزلوا بعضَ المنازل راجعين، نَحروا جَزُوراً فأكلوا، وقالوا: ظَلِّلُوا البَقِيَّة؛ فقال بيهس: لكن بالأَثَلاتِ لَحْمٌ لا يُظَلَّل[٢]، يعني أجساد مَنْ أُصِيبَ من قَومه، فذَهبت مثلاً، فَلَطمه رجلٌ منهم، وجَعل يُدْخِل رِجليه في يَدَيْ سِرْباله، فقال له رجلٌ منهم: لِمَ تَلبس هذا اللِّبس؟ وَجَعل يُعَلِّمه كيف يَلبس، وكان يُقال: إنّ به طُرْقَةً، يعني جُنوناً، فقال: [الرجز]

البَسْ لِكُلِّ عِيشَةٍ لَبُوسَها ... إِمَّا نَعِيمَها وإمَّا بُوسَها

فلَطمه الرّجلُ، الذي كان لَطمه، مَرَّةً أُخرى؛ فقال له بيْهَسٌ: لو نُكِلْتَ عن الأُولى لم تَعُدْ إلى الثانية؛ فقال بعضُهم: إن مَجنونَ فزارة هذا ليتعرّض للقَتل، فخَلُّوا عنه، فخَلَّوه، فلما أَتَى أَهْلَه جَعل نساؤه يُتْحِفنه، فقال: يا حَبَّذا التراثُ[٣] لولا الذِّلَّة؛ فذَهبتْ مثلاً، فاجتمع عليه الغَم مع ما به من قلَّة العَقل؛ فجعلت أُمُّه تُعاتِبه، ويشتدُّ عليها ذلك منه، فقالت: لو كان فيك خَيرٌ لَقُتِلْتَ مع قَومك؛ فقال: لو خُيِّرْتُ لاخْتَرْت، فَذَهبت مَثلاً، ثم جَمع جَمْعاً وَغَزا القوم الذين وَتَروه، وَمعه خالٌ له، فوَجدوهم في وَهْدة من الأرض كَبيرة، فدَفعه خالُه عليهم، وكان جَسِيماً طويلاً، وإنَّما سُمِّيَ نَعامة لذلك، فقاتَل القوم، وهو يقول: مُكْرَهٌ أَخُوك لا بَطل، فذهبت مثلاً، وقتلَ القومَ وَأدرك بِثأْرِه.

وقال يَعقوبُ بنُ السُّكيت، في كتاب الأمثال: رُوِيَ مِثلُه عن أَبي عُبيدة، ورَوى هذا الخَبر أيضاً أبو عُبيد القاسم بنُ سَلاّم، واللفظ لِيعقوب وروايتُه أتم

---

(١) الوتر: الثأر.

(٢) الأثلات: جمع الأَثْل، وهو شجر يشبه الطَّرفاء إلا أنه أعظم منه وأكرم وورقه هَدَبٌ طوال وليس له شوك. (لسان العرب، أثل).

(٣) التراث: الإرث.

الروايات قال: كان بَيهس، وهو رجلٌ من بني غُراب بن فَزارة بن ذُبيان بن بَغيض، سابعَ سَبعة إخوة، فأغار عليهم ناسٌ من أَشجعَ بنِ ريث بن غطفان، وبينهم حرب، وهم في إبلِهم، فقَتلوا ستةَ نفر منهم، وبَقي بَيهس، وكان يُحمَّق، وكان أصْغرهم، فأرادُوا قَتْلَه، ثم قالوا: ما تُريدون مِنْ قَتل مثل هذا؟ أيُحسب عليكم برَجُل ولا خَيْرَ فيه؟ فتركوه؛ فقال: دَعوني أتوصَّل مَعكم إلى الحيّ، فإنَّكم إن تَركتُموني وحْدي أكلتني السباع وقتلني العَطش، ففَعلوا، فأقبل معهم، فنزل منزلاً، فَنَحروا جَزُوراً في يوم شديد الحَرّ، فقال بعضُهم: ظَلِّلوا لَحمكم لا يَفسُد؛ فقال بَيهس: لكن بالأَثلات لَحمٌ لا يُظَلَّل؛ فقالوا: إنه لمُنْكر، وَهَمّوا أن يَقتلوه، ثم تَركوه، ففارَقهم حين انْشعب طريقُ أهله، فأتى أُمّه، فقالت: ما جاء بك مِن بَين إخوتك؟ فقال: لو خَيَّرك القَومُ لاختَرت، فأَرْسلها مثلاً؛ ثم إن أُمّه تَعطَّفت عليه ورَقت له، فقال الناسُ: قد أحبَّت أُمُّ بَيْهس بيْهساً ورقَّت له؛ فقال بيْهسٌ: ثُكْلٌ أَرْأَمها ولداً، فَأَرسلها مثلاً، أي عطفها، ثم جعلت تُعطيه ثِياب إخوته ومَتاعهم فيَلْبسها، فقال: يا حبذا التراثُ لولا الذِّلَّة، فَذهبت مثلاً؛ ثم أَتى على ذلك ما شاءَ اللَّه، ثم إنَّه مَرَّ على نسوة من قَومه، وهُن يُصْلحن امرأة يُردن أن يُهدِينَها لِبعض القوم الذين قَتَلُوا إخْوَته، فَكَشَف عن استِهِ ثَوْبَه وغَطَّى رَأْسه به؛ فقُلن: وَيلكَ! ما تَصنع يا بيْهَس؟ فقال: [الرجز]

الْبَسْ لِكُلِّ عِيشَةٍ لَبُوسَها — إمَّا نَعِيمَها وإما بُوسَها

فأرسلها مثلاً؛ فلما أَتى على ذلك ما شاء اللَّه جَعَل يَتتبّعُ قَتَلة إخوته فَيقتلهم، وَيتقصَّاهم، حتى قَتل منهم ناساً كثيراً، فقال بَيْهسٌ:

يا لَها نَفْساً يا لَهَا أَنَّى — لها الطُّعمُ والسَّلامَهْ
فَقَدْ قَتَلَ القَوْمُ إخْوَتَها — بِكُلِّ وادٍ زُقَاءُ هَامَهْ[1]
فَلأَطْرقَنْ قَوْماً وَهُمْ نِيامٌ — وَأَبْرُكَنْ بِرْكَةَ النَّعَامَهْ

وبهذا البيت لُقِّبَ نَعامة.

قابِضَ رِجْلٍ باسِطَ أُخْرَى — والسَّيْفَ أَقْدمه أَمَامَهْ

ثم أُخبر أن ناساً من أَشجع في غارٍ يَشربون فيه، فانْطلق إلى خال له، يقال له

(١) زقاء: صياح: وكانت العرب تعتقد أن روح القتيل إذا لم يُدرَكْ ثأره تصير هامة فتزقو عند قبره.

أَبو حَشْر، فقال له: هَل لك في غارٍ فيه ظِباءٌ لعلّنا نُصيب منهن؟ فقال: نَعم، فانطَلق بيهسٌ بأَبي حَشْر، حتى إذا قام على فَم الغار دَفع أَبا حَشر في فَم الغار؛ فقال: ضَرْباً أَبا حَشْر؛ فقال بعضُ قومهم: إن أَبا حَشْر لَبَطَلٌ؛ فقال أَبو حَشر: مُكْره أَخوك لا بَطل، فكان بَيْهَسٌ مثلاً في العرب، فقال بعضُ شُعراء بني تَغلب:

[الكامل]

لـقـمـانُ مُـنْـتَـصـراً وقُـسٌّ نـاطِـقـاً ولأَنْـتَ أَجْـرأُ صَـوْلَـةً مِـنْ بَـيْـهـسِ

وقال الزُّبير بنُ بَكّار: قَتل إخوةَ بيهس نَصرُ بنُ دُهمان الأشجعيّ، وأَراد قَتْلَ بَيهس، فقِيل له: إنه أَحمق فأَعِده لأمّه تَسْكُن إليه؛ فلما بَلغوا، قال نَصر: ظَلِّلوا ذلك اللَّحم، فذاك حيثُ يقول نَعامة: لكن بالأثلات لَحم لا يُظلَّل، ففَزع مِنه نَصر، فقيل له: كَلمةٌ جاءَت من أَحمق.

قال الزُّبير: الأثلات: شَجر، وهو الطَّرفاء.

قال أَبو عُبيدة: الأثْلات: موضع.

[«مُكْرَهٌ أخوك لا بطل» وأوّل مَنْ قاله]

وقد رُوِيَ أَن هذا المثل: مُكره أَخوك لا بَطل، لغير نعَامة، أَو خاله أَبي حَشر.

رُوي أَن عُبيد بن شَرِيّة الجُرهمّي، وهو أَحد المُعَمَّرين، حدّث مُعاوِيَة بن أَبي سُفيان في حديث فيه طول، أَن مالكَ بن جُبير سأَل حارثَةَ بنَ عَبد العُزَّى في مَجلس عَلْقمة بن عُلاثَة الجَعفريّ، عن أَوَّل من قال: مُكْرَهٌ أَخُوك لا بَطل؟ فقال حارثة: أَوَّل مَن قال ذلك جَرول بن نَهشل بن دارم بن كَعب، وكان جَباناً هَيُوباً، قد عَرف الناسُ ذلك منه، غيرَ أَنَّه كان ذا خُلق كامل. وإن حَيّاً من أَحياء العرب أَغاروا على بَني دارم، وهم خُلُوفٌ[١]، فاستاقوا أَموالهم ونِساءَهم، وسيّدُهم يومئذ نَهشل بنُ دارم أَبو جَرْول. فَخَرج واجْتَمَع إليه قومُه، فنادى فيهم: أَيما رَجُلٍ لم يَأْتنا بِرَأْس أَو أَسِير أَو ظَعينة، فهو نَفِيٌّ منّا. ولحقتْهم بَنو دارم، فاقْتتلوا قِتالاً شديداً، حتى كثُرت القَتْلَى في الفريقَين جميعاً، وَأَصحابُه في ذلك يَأْتُونه بالرؤوس

(١) الخُلوف: الحيّ إذا خرج الرجال وبقي النساء.

والأَسْرى والظَّعائن. وكان لِنَهشل ستةُ إخْوة، وهو سابعهم: عبدُ اللّه، وَنَهشل، ومُجاشع، وأَبان، وجَرير، وَفُقيم، وَخيْبري هؤلاء بَنو دارم بن كَعب. فساد القومَ كُلَّهم يومئذ مُجاشع، وذلك لأنَّه أتاه بما فُرض على ثلاثين رجلاً: بِعَشرة رؤوس، وعَشرة أسارى، وعشرة ظَعائن، فقَسمها فيمن لم يكن قتَل ولا أَسَر ولا استنقذ، وإنّ جَرْولاً أتى عَمَّهُ مُجاشعاً، فقال: يا عَم، أَعْطِني منها رَأْساً، فقال له عَمه: يا جَرول، إنَّ الهمام يَصْدُق الحُسام؛ فسار جَرْول مُتذمِّراً، حتى حَمل على ناحية الجُمهور على رَجُل يَسُوق ظَعينة، فلما رآه الرجلُ خَشِيه لكَمال خَلْقه، وهو لا يَعرفه، وكان قد سَمِع بخَبر جَرول وجُبنه، فلمّا دنا منه جَرول هَمَّ الرجلُ بترك الظَّعينة؛ فقال: أَنا جَرْول بنُ نَهشل، في الحَسَب المُؤَثَّل[١]، فعَطفَ عليه الرّجلُ، فقال: يا جَرولَ بنَ نَهشل، إنّ الوَهَل[٢] فَشَل، وليس هَكذا البَطَل، والقولُ يرفَعه العَمل، ثم إنه طَعن فَرَمى جَرْولاً طعنةً، فكبا جواده فأَخذه وكَتفه، ثم ساقه، وهو يقول:

[المتقارب]

إذا مـا لَـقِـيـتَ امْـرأً فـي الـوَغَـى ... فَـذكِّـر بِـنَـفْـسِـكَ يـا جَـرْوَلُ

حتى انتهى به إلى قائد الجَيش وَرَئيس القوم، وكان قد عَرف جُبْنَ جَرول، فقال له: يا جَرول، ما عَهِدْنَاكَ تُقاتل الأبطال، ولا تُحبُّ النِّزال! فقال جَرْول: مُكْرَهٌ أخوكَ لا بَطل، فَأَعطاه رأسَ رَجُل من بَني دارم، ثم قال: انْطَلِقْ، فالجُبنُ شَرٌّ من الإسار، فَعَمد إليه الذي كان أَسَره فَجَرحه، وقال له: جِئْتَ تَسْتنقذ الظَّعائن، يا لها من ظعينة، ما كان أَضْيعَها ثم خَلَّى سَبِيله. وجَرْولٌ يَرى أَنَّ الرَّأس الذي أُعطِيَ من رُؤوس حِزْبه، فأَتى أباه فقال: يا أَبتِ! هكذا تُلْقى الأبطال! وتُسَلّم الأنفال، الجَذْعُ خيرٌ من النَّفي، ثم قال: هذا رأسُ رجُل قتلته، فنظر إلى الرأس فإذا رَأسُ رجُل مِن أصحابه فجاء إخوةُ المَقتول فقالوا: أَقِيدونا جَرْوَلاً بأَخينا، فإنه قتله، فلمّا رأى جرولٌ الشَّرّ وما وقع فيه أخبر أَباه والقومَ الخَبَر، فعَرفوا جُبنه وأنه لم يكن يَقْتل الرجال، فخَلَّوا عنه وقالت عَمرة، أُخت المقتول ترثي أخاها وتذكر جرولاً:

[الطويل]

أَلاَ يـا قَـتـيـلاً مـا قَـتـيـلاً مَـعـاشِـر ... ثَـوَى بَـيْـنَ أَحْـجَـارٍ صـريـعـاً وجَـنْـدلِ

---

(١) المُؤَثّل: الأصيل.

(٢) الوَهَل: الفزع والخوف.

وقد يُصْبِحُ الخَيْلَ المُغيرةَ فيهم ... ويُسْرِعُ كَرَّ المُهْرِ في كُلّ جَحْفَلِ(١)
وَيَهْدِي ضَلولَ القَوْمِ في لَيلةِ السُّرَى ... أَمينُ القُوَى في القَوْمِ لَيس بِزُمَّلِ(٢)
فَأَدَّى إليـنا رَأْسَهُ ثَمَّ جَرْوَلٌ ... فَلِلَّهِ ماذا كانَ مِنْ فِعْلِ جَرْوَلِ
فَشَلَّتْ يَداهُ يَوْمَ يَحْمِلُ رَأْسَهُ ... إلى نَهْشَلٍ والقَوْمُ حَضْرةَ نَهْشَلِ

❀ ❀ ❀

[حديث صحيفة المتلمِّس]

ورَوى أَبو محمد عبدُ اللَّه بنُ رُستم، عن يَعقوبَ بن السِّكّيت، قال: قَدِم المُتلمِّسُ، وطَرفةُ بنُ العَبد، على عَمرو بنِ هِند، فقال: [البسيط]

قُولاَ لِعَمرِو بنِ هِنْدٍ غَيْرَ مُتَّئِبٍ ... يا أَخْنَسَ الأنفِ والأضراسُ كالعَدَسِ(٣)

شَبَّه أَضراسه بالعَدَس، في صِغَرها وَسَوادها:

مَلْكُ النَّهارِ وَأَنْتَ اللَّيْلَ مُومِسَةٌ ... ماءُ الرِّجالِ على فَخْذَيك كالقَرِسِ
لو كُنْتَ كَلْبَ قَنِيصٍ كُنْتَ ذَا جُدَدٍ ... تكون أُرْبَتُه في آخِرِ المَرَسِ(٤)
لَعوا حَرِيصاً يَقُولُ القانِصانِ له ... قُبِّحْتَ ذا أَنْفِ وَجْهٍ ثَمَّ مُنْتَكِسِ(٥)

المُومِسة: الفاجرة. وأراد بالقَرس: القَريس، وهو الجامد. والقَنِيص: القانص، والقَنيص، أيضاً: الصيد. والأُرْبة: العُقدة. والمَرَس: الحَبل؛ أي: هو أَخسّ الكِلاَب، فقلادته أَخسّ القَلائِد.

وقال ابنُ الكَلْبي: هذا الشعر لعبد عَمرو بن عمّار، يهجو به الأُبَيردَ الغسّانيّ، وبِسَببه قتل عبدُ عمرو.

وكان طَرفة قد هَجا عَمرو بَن هِنْد أَيضاً بِعِدّة قَصائد، فلمّا قَدِما عليه كَتب لهما إلى عامله على البَحرين وَهَجَر، وكان عاملُه عليهما، فيما يزعمون، ربيعة بنُ الحارث العَبديّ، وقال لهما: انْطلقا فاقْبِضا جَوائزكما، فخرجا، فزعموا أنهما

(١) الجحفل: الجيش العظيم.
(٢) الزُّمَّل: الجبان.
(٣) المُتَّئب: المستحيي. والأخنس: الذي تأخّر أنفه عن وجهه مع ارتفاع في الأرنبة.
(٤) الجُدَدُ: جمع الجِدَة: العلامة أو القلادة.
(٥) اللّعو: اللّئيم.

هَبطا النَّجَف. قال المُتَلَمِّسُ: يا طَرفة، إنَّكَ غلامٌ حَديث السنِّ، والمَلِكُ مَنْ عَرفتَ حِقْدَهُ وَغَدْرَه، وكلانا قد هَجاه، فلستُ آمِناً أن يكون قد أَمَر بشَرٍّ، فهلُمَّ فَلْننظر في كتبنا هذه، فإن يكُن قد أمر لنا بخَير مَضَينا فيه، وإن تكُن الأُخرى لم نهلك أنْفسنا؛ فأَبى طرفةُ أَن يَفكَّ خَاتم المَلِك، وَحَرَّض المتلَمِّسُ طَرفة، فَأَبى، وَعَدل المتلمّسُ إلى غُلام من غِلمان الحِيرة عِباديّ، فأعطاه الصَّحيفة، ولا يَدْرِي ممن هي، فقرأها؛ فقال: ثَكِلت المُتلمِّس أُمُّه، فانْتزعَ المُتلمِّسُ الصَّحِيفَةَ من الغُلام، واكْتفى بذلَك من قَوله، واتَّبعَ طرفةَ فلم يَلْحَقه، وَأَلقى الصَّحيفة في نَهر الحِيرة، ثم خَرج هارباً إلى الشام؛ فقال المُتلمِّس في ذلك: [الطويل]

وَأَلْقَيْتُها بِالثِّنْي مِن جَنْبِ كَافرٍ ... كَذلكَ أَقْنُو كُلَّ قِطٍّ مُضَلَّلِ
رَضِيتُ لها بالماءِ لَمّا رَأَيتها ... يَجُولُ بها التَّيَّارُ في كُلِّ جَدْوَلِ

قال أبو عمرو: كافِرٌ نَهَر بالحِيرة؛ وقال غيره: كافِر: نَهر قد أَلبس الأرض وغطَّاها. وقال أبو عمرو: أقنو: أحفظُ؛ وقال غيرُه: أقنو: أجْزي؛ يُقال: لأقنونَّك قِنَاوتك؛ أي: لأَجْزينّك بفِعلِك. والقِطُّ: الصَّحيفة. فَيقول: حِفظي لهذا الكِتاب أن أَرْمي به في الماء.

وقال المُتلمِّس أيضاً: وقد كان فيما يُقال: قال لِطَرفة، حين قرأ كتابه: تَعْلَمَن أنَّ الذي في صَحيفتك مِثْل الذي في صَحيفتي؛ قال طرفةُ: إن كان اجْترأ عليك فلم يَكُن لِيَجترىءَ عليَّ ولا لِيَغُرّني، ولا لِيُقدِمَ عليَّ؛ فلما غلبه صار المُتلمس إلى الشام، وقال: [الكامل]

مَنْ مُبلِغٌ الشّعراءَ عَن أَخَوَيْهِم ... نَبَأً فَتَصْدُقَهمْ بِذاكَ الأَنْفُسُ
أَوْدَى الذي عَلِقَ الصَّحيفة منهما ... ونَبا جِذَارَ حِبَائِهِ المُتَلَمّسُ
أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَجَّتْ كُورَهُ ... وَجْناءُ مُجْمرةُ المَناسمِ عِرْمِسُ
عَيْرانَةٌ طَبَخَ الهَواجرُ لحمها ... فكأنَّ نُقْبَتَها أَدِيمٌ أَمْلَسُ
أُجُدٌ إذا ضَمَرَتْ تَعزَّزَ لحمُها ... وإذا تُشَدُّ بِنِسْعِها لا تَنْبِسُ
وَتَكادُ مِن جَزَعٍ يَطِيرُ فُؤادُها ... إنْ صاحَ مُكَّاءُ الضُّحا مُتَنَكِّسُ

الوَجناء: الضَّخمة الغَلِيظة الصُّلبة، كأنها لِصَلابتها ضُربت بمواجن القُصَّار، واحدتها، مِيجَنة، وهي مِدَقّته. ومُجمِرة المَناسم: مُجتمعة، لَطِيفة في صَلابة. وعِظَمُ الأخفافِ من الهُجنة، وليس من صِفة النَّجائب، والعِرْمِس: الناقةُ الصّلبة، شُبِّهت بالعِرمس، وهي الصَّخرة الصُّلبة. وتعزَّز: تَشدَّد. وَتَنْبِس: تَنْطِق وَتَصيح.

وطَبخ الهواجرُ لَحمها، أي: سافَرت عليها حتى انْجرد شَعرُها. ونُقْبتها: لونُها، والمُكّاء: طائر يَطير في الجَوّ ثم يَتنكّس.

وقال محمدُ بنُ موسى الكاتب: زعموا أن الكُتبَ لم تَزلْ في قَدِيم الدَّهرِ مَنْشورة غير مَختومة ولا مُعَنْوَنَة، فلما قَرأَ المُتلمِّس صَحِيفته التي كَتبها له عَمْرو بنُ هند إلى عامله بالبَحرين، واطَّلعَ على سِرِّه فيها، خُتِمَت الكُتب.

[قصة المتلمّس وطرفة مع عمرو بن هند]

ورُوِيَ عن الرياشيّ، عن عَمرو بن بُكير، عن الهَيثم بن عَديّ، عن حمّاد الراوية، عن سِماك بن عَمرو، قال: أخبرني عبيدٌ، راوية الأعشى، وَرَأيتُه بالحيرة زمنَ مُعاوية شيخاً كبيراً، قال: أخبرني الأعشى، قال: حدَّثني المتلمِّس، قال:

قدمتُ أنا وطرفة بنُ العبد على عَمرو بن هند، وكان غُلاماً مُعْجباً تائهاً، يتخلَّجُ[1] في مِشْيته بين يَديه، فنَظر إليه نَظرةً كادت تَقْتلعه من الأرض، وكان عَمْرو لا يَبتسم ولا يَضحك، وكانت العربُ تُسَمِّيه: مُضرّط الحجارة، ومَلك ثلاثاً وخَمسين سنة، وكانت العربُ تَهابه هَيبةً شديدة، وله يقول الذّهَّاب العِجليُّ:

[الطويل]

أَبَى القَلبُ أَنْ يَهْوَى السَّدِيرَ وَأَهْلَه ... وإِنْ قِيلَ عَيْشٌ بالسَّديرِ غَريرُ[2]

فلا أَنذرُوا الحَيَّ الذي نَزَلُوا به ... وإِنّي لِمَنْ لَمْ يَأْتِهِ لَنَذِيرُ

به البَقُّ والحُمَّى وَأُسْدُ خَفِيَّةٍ ... وَعَمْرُو بنُ هِندٍ يَعْتَدِي وَيَجورُ

قال المتلمّس: فقلتُ لطَرفة: إنِّي لأخافُ عليكَ من نَظرته إليك هذه مع ما قُلتُ؛ قال: كلاّ. فكتَب لنا كِتاباً إلى المُكَعْبر، كُتِبَ ولم نَره، وخُتِم ولم نَره، لي كِتابٌ وله كتابٌ، وكان المُكَعْبر عاملَه على عُمان والبَحرين، فخَرجنا حتى إذا هَبطنا بذي الرِّكاب من النَّجف، إذا أنا بِشَيخ على يَساري يتبرّز، ومَعه كِسرةٌ يَأْكلها، وهو يَقصع القمل[3]، فقلتُ: تاللّه ما رأيت شَيخاً أَحمق وأَضعف وأَقلّ عَقلاً منك!

(١) يتخلّج: يتبختر ويتثنّى.

(٢) السّدير: قصر قريب من الخورنق اتخذه النعمان الأكبر لبعض ملوك العجم (معجم البلدان ٣: ٢٠١).

(٣) يقصع القمل: يقتله.

قال: وما تُنكرُ؟ قلتُ: تَتبرّز وتأكل وتقصع القَمل؛ قال: أُدْخِلُ طَيِّباً، وَأُخْرِج خَبيثاً، وَأَقْتُل عَدوّاً. وأحمق مني الذي يَحمل حَتفه بيَمينه لا يدري ما فيه؛ قال: فَنَبَّهني وكأنما كنتُ نائماً، فإذا غلامٌ من أهل الحِيرة، فقلت: يا غُلام، تَقرأ؟ قال: نعم؛ قلتُ: اقرأه، فإذا فيه: مِن عَمرو بن هِند إلى المُكَعبر، إذا جاءك كتابي هذا مع المتلمِّس فاقطع يَدَيه ورجَليه وادْفنه حيّاً؛ فألقيتُ الصَّحيفة في النهر. فذلك حيث أَقول:

وأَلـقـيـتـهـا بـالـثِّـنـي مـن جـنـب كـافـر

البَيتين. وقلت: يا طَرفة، معك مِثْلها، قال: كلاًّ، ما كان لِيفعل ذلك في عُقْر داري؛ قال: فأتى المُكَعْبر فَقَطع يدَيه ورجْلَيه ودفنه حَيّاً، ففي ذلك يقول المتلمِّس: [الكامل]

مَنْ مُبْلِغُ الشُّعراءَ عَنْ أَخَوَيْهِمُ ... نَبَأً فَتصْدُقهم بذاك الأَنْفُسُ
أَوْدَى الذي عَلِقَ الصَّحيفةَ مِنهما ... وَنَجا حِذارَ حِبائِهِ المُتلمّسُ
أَلْقِ الصَّحيفةَ لا أَبا لك إِنَّهُ ... يُخْشَى عليك مِنَ الحِبَاءِ النِّقرسُ
أَلْقَى صَحِيفَتَه وَنَجَّتْ كُورَهُ ... وَجْناءُ مُجْمَرةُ الفَراسِنِ عِرْمِسُ
أُجُدٌ إذا ضَمرتْ تَعزَّز لحْمُها ... وإذا تُشَدُّ بِنسْعِها لا تَنْبَسُ

وقال ابنُ قتيبة: كان المتلمِّس يُنادم عَمرو بنَ هِند هو وطَرفة بن العَبد، فَهجواه، فَكتب لهما إلى عامله بالبحرين كتابَين، أوهمهما أنه أمر لهما بجائزة، وكتب إليه يأمره بقَتلهما، فخَرجا، حتى إذا كانا بالنَّجف؛ إذا بشَيخ عن يَسار الطريق يُحْدِث، ويَأكل من خُبز في يده، ويتناول القَمل من ثِيابه فَيَقْصعه؛ فقال المتلمِّسُ: ما رأيت كاليوم شيخاً أَحمق؛ فقال الشيخ: وما رأيتَ من حُمْقي؟ أُخْرِج خَبيثاً، وأُدخل طَيِّباً، وَأَقتل عَدوّاً، أَحمقُ واللَّهِ منّي مَن يَحمل حَتفه بيده! فاستراب المتلمِّس بقوله، وطَلع غلامٌ من الحيرة، فقال له المُتلمِّسُ: أَتقرأُ يا غلام؟ قال: نعم؛ ففكَّ صَحِيفته ودَفعها إليه، فإذا فيها: أما بعد، فإذا أَتاك المُتلمِّس فاقْطعْ يَدَيه ورجلَيه وادْفِنه حَيّاً فقال لطرفة: ادفعْ إليه صَحِيفتك يَقرأها، ففِيها واللَّهِ ما في صَحِيفتي، فقال طرفة: كلاَّ. لم يكن لِيَجترىءَ عليَّ؛ فقذف المُتلمّسُ صَحِيفته في نهر الحيرة، وقال:

قـذفـتُ بـهـا بـالـثِّـنـي مـن جَـنـب كـافـر

وَأَخَذ نحو الشام، وَأَخذ طرفةُ نحو البَحرين، فضُرب المَثل بصَحيفة المتلمِّس.

وحرَّم عمرو بن هند على المتلمِّس حَبَّ العراق فقال: [البسيط]

آلَيْتَ حَبَّ العِراقِ الدَّهْرَ آكُلُهُ ... وَالحَبُّ يَأْكُلُهُ في القَرْيَةِ السُّوسُ

وَأتى بُصْرَى، فهلك بها.

[صحيفة للفرزدق مثل صحيفة المتلمِّس]

ورَوى أَبو بَكر محمدُ بنُ عليْب الفارسيّ، عن أَبيه، عن الغَلابيّ، عن ابن بَكّار، أَن الفرزدق قَدم المدينَةَ على سَعِيد بن العاصي، وهو واليها لمُعاوية بن أبي سُفيان، عند هَربه من زياد، فَدخلها، وَسَعيد يُعشّي الناسَ، وهو جالس على مِنْبر، والناسُ على كراسي، وكان الحطيئة، وكعبُ بن جُعيل، حَاضريْن، فتقدَّم الفرزدقُ وَحَدَر اللِّثام عَن وجَهه، ثم قال: هذا مقام العائذ بك، من رَجل لم يُصِبْ دَماً ولا مالاً؛ فقال سَعيدُ: قد أَجرتُك، إن لم تكن أَصَبْت دَماً ولا مالاً، فمن أَنت؟ قال: أَنَا هَمَّامُ بنُ غالب بن صَعصعة، وقد أَثنيتُ على الأمير، فإن رَأى أَن يَأْذن لي لأُسْمِعه ثنائي فَعل. قال: هاتِ؛ فَأَنشده قصيدته التي يقول فيها: [الوافر]

عليك بَنِي أُميّة فَاسْتَجِرْهُمْ ... وَخُذْ مِنهمْ لِمَا تَخْشَى حِبَالاَ

فإنّ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ ... بَنَوْا لِبُيوتِهِم عَمَداً طِوالاَ

حتى انتهى إلى قوله:

تَرَى الغُرَّ الجحاجحَ من قُرَيْشٍ ... إذا ما الخَطْبُ في الحَدَثانِ عَالا[1]

بَنِي عَمِّ النَّبيِّ وَرَهْطَ عَمرٍو ... وعُثمانَ الأُلَى عَظُمُوا فَعَالاَ

قِياماً يَنْظُرونَ إلى سَعِيدٍ ... كَأَنَّهُمُ يَرَوْنَ بهِ هِلاَلا

قوله: ورهط عمرو، يريد: بني هاشم. واسمُ هاشِم: عَمرو بنُ عَبد مناف. فقال مَروان، وكان إلى جانب سَعيد: يا فرزدق، فَهَلاَّ قلتَ: قُعوداً؟ قال: لا واللَّه، إلا قائماً على رجلَيك يا أَبا عَبد الملك؛ فحَقدها مروانُ؛ وقال كعبُ بن جُعيل: هذه واللَّه الرُّؤْيا التي رأَيتُها البارحةَ؛ قال سعيدٌ: وما رأَيت؟ قال: رأَيتُ

(١) عال: عَظُمَ.

كَأَنِّي في سِكك المَدينة، فإذا أنا بابْن قِتْرَة[١] أراد أن يَتناولني، فاتَّقيتُه. وقام الحُطيئةُ فَشَقَّ ما بين رَجُلَين حتى تَجَاوزهما إلى الفرزدق، فقال له: قُل ما شِئْتَ، فقد أدركتَ مَن مَضى ولا يُدركك مَن بَقي، ثم قال لِسعيد: هذا واللَّه الشِّعْر لا ما كُنَّا نُعلِّل به أنفسنا منذُ اليوم.

وزاد الغَلابيّ في حِكايته هذه: قال: وقد ذَكر محمدُ بنُ سَلام، عن أَبي يَحيى الضَّبيّ، أن الحُطيئة، لما قال للفَرزدق هذه المقالة، قال كعبُ بنُ جُعيل: فَضّله على نَفسك ولا تُفضِّله على غَيرك؛ فقال الحُطيئة: واللَّه أُفضِّله على نفسي وغَيري، ثم قال له: يا غلام، أنجدَت أُمُّك؟ قال: بل أنجد أَبِي.

ثم أَقام الفرزدقُ بالمَدينة يختلف إلى بُيوت القِيان بها، فلما وَليها مروانُ بعد سَعيد، وفي قَلبه على الفَرزدق ما فيه، وقد كان مروانُ نَهاه في صَدر ولايته عن المَداخل التي كان يَدْخلها، وعَن قول الخَنَى في شِعره؛ فَبعث إليه: أَلم أَنْهَكَ عن الإفصاح بالخَنى والإقرار بالفِسق؟ اخْرُج عن المدينة، فإنِّي عاهدتُ اللَّه لئن أَصبْتُكَ بها بعد ثلاثة لأقطعنَّ لِسانَكَ.

وأَخبرنا أَبو بَكر بن دُريد، ها هنا، قال: فقال الفَرزدقُ:

تَوَعَّدَنِي وَأَجَّلَنِي ثَلاثاً ... كما وُعِدَتْ لِمَهْلِكها ثَمُودُ

قال الغَلابيُّ: فحدَّثني العباسُ بنُ بَكَّار، قال: بَعث إليه مروانُ بكتاب مَختوم، وقال: تُوصله إلى عامِلي، فقد كَتبتُ إليه أن يَدفع إليك ثلاثمائة دينار، فإذا أَصبحْتَ فاغْدُ حتى تُودِّعني. وكَتب إلى عامله أن يَضْربه مائةَ سَوْط وَيَحْبِسه، ثم نَدِم مروانُ فقال: يَعمد إلى الكِتاب فَيفتحه ويقرأ ما فيه فَيهْجوني وأَهل بيتي! فلما أَصبح غدا عليه الفرزدق، فقال له مروانُ: إني قد قلت في هذه الليلة أبياتاً فاقرأْها؛ فقال الفرزدقُ: وما قُلتَ؟ قال: قُلْت: [الكامل]

قُلْ لِلفَرَزدقِ والسَّفاهَةُ كَاسْمِها ... إن كُنْتَ تَارِكَ ما نَهَيْتُكَ فَاجْلِسِ
ودَعِ المَدينَةَ إنَّها مَذْمُومَةٌ ... واقْصِدْ لمكَّةَ أَو لِبَيتِ المَقْدِسِ
وَإنِ اجْتَنَبْتَ مِنَ الأمورِ عَظِيمَةً ... فاعْمِدْ لِنَفسِكَ بِالزَّمَاعِ الأَكْيَسِ[٢]

(١) ابن قِتْرَة: حيّة خبيثة لا يسلم من لدغته.

(٢) الزَّماع: المضاء في الأمر والعزم عليه. والأكيس: الأعقل.

فَفَطِنَ الفرزدق لما أَراد، فقال: [الكامل]

يـا مَـرْوُ إنَّ مَـطِـيَّـتِـي مَـحْـبُـوسـةٌ ... تَـرجـو الـحـبَـاءَ وربُّـهـا لـم يَـيْـأَسِ

وحَـبَـوْتَـنِـي بِـصَـحِـيـفَـةٍ مَـخْـتُـومَـةٍ ... يُـخْـشَـى عَـلَـيَّ بـهـا حَـبَـاءُ الـنِّـقْـرِسِ

أَلْـقِ الـصَّـحـيـفـةَ يـا فـرزدقُ لا تَـكُـنْ ... نَـكْـداءَ مَـثْـلَ صَـحِـيـفَـةِ الـمُـتَـلـمِّـسِ

ثم رمى بالصحيفة في وَجهه، وَخَرج حتى أتى سعيدَ بنَ العاصي، وعنده الحسن، والحُسين، وعبد اللّه بنُ جعفر ﷺ، فأَخبرهم الخَبَرَ، فأَمر له كُل واحد منهم بمائة دينار وراحلة، فأَخذ ذلك وَتَوَجّه إلى البَصرة.

وصار إلى مَروانَ جماعةٌ من أَهله، فنَدَّموه على فِعله، وقالوا له: تعرَّضت لشاعر مُضَر؛ فنَدم وبعث إليه رَسولاً، ومعه مائةُ دِينار وراحلة، فأَوصَل ذلك إليه، وصار حتى قَدِم البصرةَ.

❀ ❀ ❀

[عودة إلى خبر المتلمّس]

وقال أبو عُبيدة: لمَّا بَلغ النُعمان بن المنذر لُحوقُ المُتلمِّس بالشام، وكانت غسان قَتلت أَباه يوم عَين أُباغ[1]، شَقَّ عليه لُحوقُه بغَسّان، وَحَلف أَلاَّ يَدْخُل العراق ولا يَطْعم بها حتى يموت. وروى أبو محمد بن رُسْتم، عن ابن السِّكِّيت، أَن عَمرو بن هند كَتب إلى عُمّاله على الرِّيف لِيأْخذوا المتلمّسَ ويمنعوه من المِيرة، فقال المُتلمس: [البسيط]

يَـا آلَ بَـكْـرٍ أَلاَ لِـلَّـهِ أُمُّـكُـمُ ... طَـالَ الـثَّـوَاءُ وَثَـوْبُ الـعَـجْـزِ مَـلْـبُـوسُ

أَغْـنـيـتُ شَـأْنِـي فَأَغْـنـوا الـيَـوْمَ شَـأْنَـكُـم ... واسْتَحْمقُوا في مِرَاسِ الحَرْبِ أَوْ كِيسُوا

إنّ عَـلاَفـاً وَمَـنْ بِـالـلُّـوْذِ من حَـضَـنٍ ... لـمـا رَأَوْا أَنـه دِيـنٌ خَـلابـيـسُ

علاف، هو ربان بن حُلوان بنِ عمران بن الحافي بن قُضاعة، وحَضَن: جَبل مَعروف واللَّوذ: نواحيه. يقول: قد ثَويتم على العَجْز، لا تَطلبون يَوْمَ طَرفة، ويُقال: أَمرٌ خَلابيس، وهو الأمرُ فيه اختلاط، لا واحدَ لها. وقال ابن النحّاس: حَضَن: جبل مُنْجد، يقال: إن علافاً كانُوا بهذا الجَبل، فلمّا أُوذوا تَحوّلوا إلى

---

(١) عين أباغ: وادٍ وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام (معجم البلدان ١: ٦١).

عُمان. وقال: خَلابيس: أَمرٌ فيه عَوَرٌ واختلاطٌ وَفَساد؛ ويقال: أَمرٌ خَلابيس، إذا كان مُتفرقاً.

رُدُّوا عليهم جِمالَ الحَيِّ فارْتَحلوا والظُّلمُ يُنْكِرُهُ القَوْمُ الأكاييسُ

ويُروى:

شُدُّوا الجِمَالَ بِأَكْوَارٍ على عَجَلٍ والضَّيمُ يُنْكِرُهُ القَوْمُ المَكاييسُ

كانوا كَسَامَةَ إذ شَعْفٌ مَنازِلُهُ ثُمَّ اسْتمرَّتْ به البُزْلُ القَنَاعيسُ[1]

وروى يعقوب:

كونُوا كَسَامَةَ إذْ خَلَّى مَسَاكِنَه

يُريد: سامةَ بنَ لُؤيّ بن غالب.

قال ابنُ الكَلبيّ: وكان من سببه أنه جَلس هو وأخواه: كَعب، وعامر، ابنا لُؤيّ، يَشربون، فوَقع بينهم كلامٌ، ففقأ سامةُ عَينَ عامر، وخَرج إلى عُمان مغاضباً.

وقال أبو عُبيدة: بل فقأ عَين سَعد أخيه.

وقال أبو العباس الأحول: لما غاضب سامةُ بنُ لؤي قَومة خَرج إلى عُمان، فأَبى الضَّيم، وكان ينزل بكَبْكَب، وهو الجبل الأحمر وَراءَ عَرَفة، فَتَركه ومَضى.

والمكاييس: جَمع مِكياس، قال: وشِعاف الجَبل: أعاليه، وَأراد أنه كان منزله بمكة، وهي أعلى البلاد؛ وقال غيره: شَعْف موضع بالبحرين.

حَنَّت قَلُوصِي بها وَاللَّيلُ مُطَّرِقٌ بعْدَ الهُدُوءِ وَشَاقَتْها النَّواقِيسُ[2]

مُطَّرق، يقال: تطرّق؛ أي: رَكِب بَعْضُ ظُلمته بعضاً. يقول: حَنّت ناقتي إلى الشام، وشاقَتها النواقيس، لأن غسان كانوا نَصارى.

مَعقُولةٌ يَنْظُرُ التَّشْريقَ رَاكِبُها كَأَنّهُ مِنْ هَوىً لِلرَّمْلِ مَسْلُوسُ

وَيُروى:

كَأَنه طَرَفٌ للرمل مَسْلُوسُ

(١) القناعيس: الجمال الضخمة.

(٢) النواقيس: الأجراس.

يريد بالتَّشريق: أيام التَّشريق؛ أي: ينظرها لِرَمي الجِمار، ثم يذهب إلى الشام، وكان حَجَّ حين هَرب. والمسلوس، والمَألوس: الذاهبُ العَقل؛ وقال ابنُ النَّحاس: يُريد بالتَّشريق إشراقَ الشمس.

وَقَد أَضَاءَ سُهَيْلٌ بَعد ما هَجَعُوا ... كـأَنَّـهُ ضَـرَمٌ بِـالـكَـفِّ مَـقْـبُـوسُ[1]
أَنَّى طَرِبْتِ ولـم تُـلْحَيْ على طَربٍ ... ودونَ إلْـفِـكَ أَمْـراتٌ أَمَـالِـيـسُ
حَنَّتْ إلى نَخْلَةَ القُصْوَى فقُلتُ لها ... بَـسْـلٌ حَـرَامٌ أَلاَ تِـلْـكَ الـدَّهـارِيـسُ

الأمْرات، والأماليس: التي لا نَبات بها. وَنَخلة: مَعْرفة غير مَصْروف، وهو وادٍ مما يَلي نَجْداً. وَنَخلَةُ القُصْوى: طريقُ الشام. وبَسْلٌ: حَرَام. والدهاريس: الدواهي، ولا واحد لها؛ وحكى عليُّ بنُ سُليمان الأخفش، عن أَبي العبّاس الأحول، أن واحدها: دِهْرس.

أُمِّـي شَـآمِـيَّـةً إذ لا عِـرَاقَ لـنـا ... قَـوْمـاً نَـوَدُّهُـم إذ قَـوْمُـنـا شُـوسُ

أُمِّي؛ أَي: اقْصِدي. شآمية، أَي: ناحية شآمية، والأشوس: الذي يَنظُر إليك نَظَرَ البِغضة.

لـن تَـسْـلُـكي سُبُـل الـبَـوْبَـاةِ مُـنْـجِـدةً ... مـا عَـاشَ عَـمْـرٌو ولا مـا عَـاشَ قـابُـوسُ

وروى الأصمعي:

مـا عِـشْـتَ عَـمـرٌو ولا مـا عِـشْـتَ قـابـوسُ

على النِّداءِ. والبَوْباة: ثَنِيَّة في طَريق نَجد يُنحدر منها إلى العراق. وعمرُو، وقابوس: ابنا المُنذر.

آلَـيْـتَ حَـبَّ الـعِـراقِ الـدَّهْـر آكُـلُـهُ ... والـحَـبُّ يَـأْكُـلُـهُ في الـقَـريَـةِ الـسُّـوسُ
لَـمْ تَـدْرِ بُـصْـرَى بـمـا آلَـيْـتَ مِـن قَـسَـمٍ ... ولا دمَـشْـقَ إذا دِيـسَ الـكَـدَادِيـسُ

يَقول: لم تَدر بِلادُ الشّام بِيَمِينك فَتَبرّها وتَمنعني حَبَّها، كما مَنَعْتني حَب العِراق. والـكَداديسُ: جَمع كُدْس، على غير قياس؛ ويُرْوَى: «إذا ديس الفراديس». والفَرادِيس: دَرْب، يُقال له: دَرب الفَراديس. وقال ابنُ النّحاس: الفَراديس: مَوضعٌ بدمَشق؛ أي إذا دَرست الزُّروع التي عند الفراديس. وقال

(١) سهيل: اسم نجم بهيّ يطلع في آخر القيظ.

الأصمعيّ: الفَراديس: البَساتين؛ واحدها: فِرْدَوس؛ أي: لم تبلغ الشامَ يمينُك لِهوَانك عليها، يَهزأُ به. وقوله:

والـحَـبُّ يـأكـلـه فـي الـقـريـة الـسُّـوس

لكثرته عندهم.

فـإن تَـبـدَّلْـتُ مِـنْ قَـوْمِـي عَـديَّـكُـمُ إنِّـي إذاً لَـضـعـيـفُ الـعَـقْـلِ مَـأْلُـوسُ
كـم دُونَ مَـيَّـةَ مِـنْ مُـسْـتَـعْـمَـل قُـذُفٍ ومِـنْ فَـلاةٍ بـهـا تُـسْـتَـودَعُ الـعِـيـسُ
ومِـن ذُرَا عَـلَـم نـاءٍ مَـسَـافـتُـه كَـأنـه فـي حَـبَـابِ الـمـاءِ مَـغْـمُـوسُ
جَـاوَزْتُـه بـأَمُـونٍ ذات مَـعْـجَـمَـة تَـرْمِـي بـكَـلْـكَـلِـهـا والـرَّأْسُ مَـعْـكُـوسُ

ويُروى: «من دَوِّيَّة قُذُف». ويُروى: «تَنْجُو بكلكلها».

والمُستعْمَل: الطريقُ المُوَطَّأُ. والقُذُف: البعيد.

يَقول: إن العيس، لِبُعدِ هذا الطريق، تسقط فيه فيَتركونها؛ ويُريد: كأن العَلَم إذا انْغمسَ في السَّرابِ مَغموسٌ في الماءِ. والأَمُون: يُؤْمَنُ عِثَارُها وخَوَرُها، وَمَعْجَمتها: خُبْرُها؛ من عجمت العود، إذا عَضَضته لتَنْظر صلابته؛ ويقال، المَعْجَمة: الصلابة. وَمَعْكوس بالزّمام، لنشاطها.

ورُوِيَ أَنْ أَبا عمرو بن العلاءِ لَقِيَ الفرزدق فاستنشده بعضَ شِعره، فأَنشده:

[البسيط]

كـم دُونَ مَـيَّـةَ مِـنْ مُـسْـتَـعْـمَـلٍ قُـذُفٍ وَمِـن فَـلاةٍ بـهـا تُـسْـتَـودعُ الـعِـيـسُ

فقال له أَبو عَمرو: أَو هذا لك يا أَبا فِراس؟ فقال: اكْتُمها عليّ، واللّه لَضَوَالُّ الشعْرِ أَحب إليَّ من ضَوالِّ الإبل.

[هربه إلى الشام وشعره يحرِّض قوم طرفة لأخذ ثأره]

وقال أَبو عُبيدة: لمَّا لَحِقَ المُتلمِّس بالشام، هارباً من عمرو بنِ هند، وهندٌ أُمُّه، وهي بنتُ الحارث بن عَمرو بن حُجر آكل المُرار بن مُعاوية الكنديّ، وهو عَمرو بنُ المُنذر بن الأسود بن النُّعمان بن المنذر بن امرىءِ القَيس بن النُّعمان بن امرىء القَيس بن عَمرو بن عَدِيٍّ بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سُعود بن مالك بن عَمَم، وهو عَديّ بن نُمارة بن لَخم.

وقال ابنُ الكَلْبيّ: إنما سُمِّي عَمَماً، لأنه أول من تَعَمَّ - وذلك حين كتب له عَمرو بنُ هند ولطرفة، فقرَأَ المتلمّسُ كتابه، فلما رأى الداهية هَرَب، وسار طَرفةُ إلى عامل البحرين فقتَله، فقال المُتلمِّسُ يَذكر لحاقَه بالشام، ويُحَرِّضُ قومَ طرفة على الطَّلب بدَمه: [الكامل]

إنَّ العِراقَ وَأَهْلَهُ كانُوا الهَوَى ... فإذا نَأَى بي وُدُّهم فَلْيَبْعدِ
فَلَتَتْرُكَنَّهُمُ بِلَيْلٍ ناقَتي ... تدَعُ السِّمَاكَ وَتَهْتَدِي بالفَرْقَدِ

فإن السِّماك يمان، والفَرقد شآمي.

تَعْدُو إذا وَقَعَ المُمَرُّ بِدَفِّها ... عَدْوَ النَّحُوصِ تَخَافُ ضيقَ المَرْصَد
أُجُدٌ إذا اسْتَنْفَرْتَها مِنْ مَبْرَكٍ ... حُلِبَتْ مَغابِنُها بِرُبٍّ مُعْقَد

المُمَرّ: السَّوْط المفتول، والنَّحُوص: الحائلُ من الأُتن. والأُجُد: المُوثَّقة الخَلق. ومَغابنها: أَرفاغُها، شبَّه عَرق تِلك المَواضع بالرُّبِّ.

وإذا الرِّكَابُ تَوَاكَلَتْ بعد السُّرَى ... وَجَرَى السَّرَابُ على مُتُونِ الجَدْجَدِ
مَرِحَتْ وصاحَ المَرْوُ مِنْ أَخْفافِها ... جَذْبَ القَرينةِ بالنَّجَاءِ الأَجْرَدِ

الجَدْجَدُ: الصُّلب من الأرض؛ يقال: جَدَدٌ، وَجَدْجَد. والمَرْوُ: حجارة بيضٌ. والقَرينة: بَعيران في حَبل، فإذا أفلت أَحدهما لم يَأْلُ جَهداً. والأجرد: الحثيثُ السَّريع.

لِبلادِ قَوْمٍ لا يُرامُ هَدِيُّهُمْ ... وَهَدِيُّ قَوْمٍ آخَرِينَ هو الرَّدِي
كَطُرَيفَةَ بنِ العبدِ كان هَدِيَّهُمْ ... ضَرَبُوا صَمِيمَ قَذالِهِ بِمُهَنَّدِ

الهَدِيُّ: الجارُ هنا؛ والهَديّ أيضاً: الأسيرُ؛ يقول، إن جار غَسان لا يُضام ولا يُرام بسُوء.

إنَّ الخِيانةَ والمَغالةَ والخَنَى ... والغَدْرَ تَتْرُكُهُ بِبَأْدَةِ مُفْسد
مَلِكٌ يُلاعِبُ أُمَّهُ وَقَطِينَهُ ... رِخْوُ المَفَاصِلِ أَيرُهُ كالمِرْوَدِ[1]

يُريد: عمرو بنَ هِند. والقَطين: الحَشم، رماه بالمَجوسيّة ونكاح الأُمّهات؛ ويقال: بل أراد أنّ به تَأَسُّفاً.

(١) المِرود: الميل أو الوتد.

بِالبابِ يَرْصُدُ كُلَّ طالِبِ حاجةٍ فإذا خَلاَ فالمَرْءُ غَيْرُ مُسَدَّدِ
وإذا حَلَلْت ودُونَ بَيْتِيَ غاوَةٌ فَابْرُقْ بِأرْضِكَ ما بَدا لك وارْعُدِ

غاوة: موضعٌ بالشام. أو باليمامة؛ ويقال: هي أَرضٌ دُونَ بني حَنيفة؛ يَقول: تَهدَّدْني ما بَدا لك، فإني لا أُبالي بوَعيدك.

أَبَنِي قِلاَبَةَ لم تكُنْ عَادَاتُكُمْ أَخْذَ الدَّنِيَّةِ قَبلَ خُطَّةِ مِعْضَدِ
لم يَرْحَضِ السّوءاتِ عن أَحْسابِكُمْ نَعَمُ الحَواثِرِ إذ تُساقُ لِمَعْبَدِ
فالعَبْدُ دُونكُمُ اقْتُلوا بأَخِيكُمُ كالعَيْرِ أَبْرَزَ، جَنْبَه لِلمطْرَدِ

قال يَعقوبُ: قال ابنُ الكَلْبيّ: قِلابة: بِنْت الحارث بن قَيْس بن الحارث بن ذُهل، من بني يَشْكر، تزوجها سعدُ بن مالك بن ضبيعة بن قَيس بن ثَعلبة، فولَدت له مَرْثداً، وَكَهْفاً، وقميئة، ومُرَقِّشاً، الشاعرَ الأكبر.

وقال غيرُ ابن الكَلبيّ: قلاَبة: امرأةٌ من بني يَشكر، وهي بعض جدَّات طَرفة، وهي بنت عَوف بن الحارث اليَشكريّ؛ ويُقال هي قِلابة بنت رُهْم.

ومِعْضد بن عمرٍو، الذي وَلِيَ قَتْل طَرفة، وهو ابنُ الحواثر، من عبد القَيس.

وقال غيرُه: مِعْضد: الذي جاءَ بالإبل لديَة طَرفة، فدفَعها إلى قَومه.

وقال يَعقوب: إن الذي قَتل طَرفة رجلٌ من عبد القَيس، ثم من الحواثر، يقال له أَبو ريشة، وإنَّ الحَواثر وَدَتْه إلى أَبيه وقومه، لما كان من قتل صاحبهم إياه.

وقال ابنُ الكَلبيّ: الحواثر، هم: رَبيعة، وجُبيل، ابنا عَمرو بن عوف بن وَديعة ابن لُكيز بن أَفْصى بن عَبد القَيْس، وعمرو بنُ عوف بن عَمرو بن عوف بن بَكر بن عَوف بن أنمار. وحَوثرة، هو: ربيعةُ بنُ عمرو؛ وإنما حَضر هؤلاءِ معه فسُمّوا الحَواثر؛ والحَوثرة: حَشفة الرَّجُل، وإنما سُمِّيَ: حَوْثرة، لأنه ساوَم بِقَدح بعُكاظ، أو بمكَّة، فاسْتصغره، فقال لصاحبه: لو وَضعتُ فيه حَوثرتي لملأْتهُ، فبذلك سُميّ حَوْثرة.

وَمَعبد بن العَبد، أخو طَرفة.

وقال ابنُ الكَلبيّ: كان عمرو بنَ هند وَدَى طرفَةَ من نَعَمٍ كان أصابه من الحواثر.

يقول: لن يَغْسِلَ عنكم العارَ أَخْذُكم الدِّية دون أن تَثأروا به، وتَقتلوا

عمرو بنَ هِند، الذي هو كالحِمار؛ أعرض جَنبه للرُّمح؛ أي: أمكن.

ورَوى أبو عُبيدة: «قبل خطة مِعْصد»، بالصَّاد غير معجمة؛ أي: يُفعَل به، من العَصد، وهو النِّكاح؛ يُريد به: عمرو بن هند.

وقال غيرُهم: إن عمرو بن هند انْتفَى من قَتل طَرفة، وزَعم أنه لم يَأمر الحَوثريّ بقَتله، فأخذت ديَتُه من الحَوثريّ، لأنه قُتِلَ بيَده، فدفعت إلى مَعبد بن العَبد، أخي طرفة.

[آراء في المتلمّس]

وروى ابنُ الكَلْبيّ، عن مِحراش بن إسماعيل العِجْليّ، ورَواه المفضّل الضّبيّ، قالا: كان المُتلمِّس شاعرَ رَبيعة في زَمانه، وإنَّه وَقف على مَجلس لبني ضبيعة بنِ قَيس بن ثَعلبة، فاسْتَنشدوه، فأنشدهم شِعراً، فقال فيه:

وقد أَتَنَاسَى الهَمَّ عِند احْتِضَارِهِ ... بِنَاجٍ عَليه الصَّيْعرِيَّةُ مُكْدَمِ

والصّيعريّة: سِمَةٌ تكون للإناث خاصة.

فقال له طَرفة، وهو غلام: اسْتَنوقَ الجَملُ، أي: وصفت الجمل بوَصف الناقة، وَخَلطْت، فذهبت كلمته مثلاً؛ وقال الكُميتُ بنُ زَيد: [الطويل]

هَزَزْتُكُمُ لو أَنَّ فيكُمْ مَهَزَّةً ... وذكَّرْتُ ذا التأْنيثِ فاسْتَنْوَقَ الجَمَلْ

وقال ابنُ السّكيت، في كتاب الأمثال: زَعموا أنَّ المُتلمّس، صاحبَ الصَّحيفة، كان أشعرَ أَهل زمانه، وهو أَحدُ بني ضبيعة بن رَبيعة بن نِزار، وأنه وَقف ذاتَ يوم على مَجلِس لبني قَيس بن ثعلبة، وطرفة بنُ العبد يَلعب مع الغِلمان يَسْتمعون، فزعموا أن المُتلمّس أنشد هذا البَيت: [الطويل]

وقد أَتَناسى الهَمَّ عند احْتِضَارِهِ ... بِنَاجٍ عليه الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ

والصَّيعريّة، فيما يزعمون: سِمَة توسم بها النُّوق باليَمن دون الجمال؛ فقال طرفة: استنوق الجمل، فأرسلها مثلاً، فضحك القومُ، فغَضِب المتلمِّسُ ونظر إلى لسان طرفة، وقال: ويلٌ لهذا مِن هذا، يعني رَأْسَه من لِسانه.

وقال أَبو محمد بنُ رُسْتُم: حدَّثني أَبو يعقوبُ بنُ السِّكّيت، قال:

عاب طرفة، وهو غُلامٌ، على المُسَيَّب بن عَلَس بَيتاً قاله في قَصيدته، وهو قوله: [الطويل]

وقد أَتناسى الهَمَّ عِند احْتِضَارِهِ بناجٍ عليه الصّيعريَّةُ مُكْدَمِ

الصّيعرية: سِمَةٌ تكون على الإناث خاصة. مُكْدَم: غليظ.

كُمَيْت كِنَازِ اللَّحْمِ أو حِمْيرِيَّة مُوَاشِكة تَنْفي الحَصَى بِمُثلَّمِ

كِناز: مُكتنز اللَّحم. مُواشِكة: سريعة. ومُلثَّم: خُفٌّ قد لَثمته الحجارة.

كأنْ على أَنْسائِهِ عِذْقَ خَصْبَةٍ تَدَلَّى مِنَ الكافُورِ غَيْرَ مُكَمَّمِ

شَبَّه هُلْبَ ذَنبه بكباسة الخَصْبة، وهي الدَّقَلة؛ والجمع الخِصاب. وغير مُكمّم: غير مُغَطَّى.

فقال طرفة، وهو لا يَعرفه: اسْتنوقَ الجَملُ؛ أَي: إنَّ هذه السّمة لا تكون إلاَّ على الناقة؛ فقال له المُسَيّب: ارْجع إلى أَهلك بوامئة؛ وهي الدّاهية؛ فقال له طَرفة: لو عَاينْت هنَ أُمِّك هناك؛ فقال له المُسيِّب: مَن أنت؟ قال: طَرفةُ بنُ العَبد. فأعرض عنه المُسيّب.

وقال ابن النَّحاس: قال الأصمعيّ: المُتلمّس من الفُحول.

وقال أَبو عُبيدة: لم يُسْبق المُتلمِّس إلى قوله:

لِذِي الحِلْم قَبلَ اليَوم ما تُقْرَعُ العَصا وما عُلِّمَ الإنسانُ إلاَّ لِيعْلَما

وما كُنْتَ إلاَّ مِثْلَ قاطِعِ كَفِّهِ بِكَفٍّ لهُ أُخْرَى فأَصْبحَ أَجْذَما

يَداه أَصابَتْ هَذه حَتْفَ هَذه لم تَجِدِ الأُخْرَى عَليها تَقَدُّما

فلما اسْتَقادَ الكَفُّ بالكَفِّ لم يَجِدْ له دَرَكاً في أنْ تَبِينَا فَأَحْجَما

فَأَطْرَقَ إطْرَاقَ الشُّجاعِ ولو يَرَى مَسَاغاً لنابَيْهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّما

قال: وذو الحِلْم عامرُ بنُ الظَّرب العَدوانيّ، لَمَّا كَبِرَ قال لأهله: إن جُرْت في حكومتي فاقْرَعوني بعصاً.

وقال أَبو ريَاش: قَرْعُ العصا، مَثَلٌ تَدَّعيه دَوْسٌ، وهم مِن أزد السَّراة، لِعَمرِو بنِ حُمَمَة؛ وَتَدَّعيه قيسٌ لعامِر بنِ الظَّرب العَدْوانيّ؛ وَتَدّعيه بَنو قيس بن ثعلبة لِسَعد بنِ مالك بن ضُبيعة.

فأما ما تَدّعيه دوسٌ لِعمرو بن حُمَمة، فالخَبر فيه، وفي عامر بنِ الظَّرب

واحد، وهو أنه كان كُلُّ واحدٍ منهما حَكماً للعَرب يَتحاكمون إليه في كُل مُعضلة، وعَمرو بنُ حُمَمَة في هذا الحديث أشهر، وذلك أن العَرب أتَوْه يَتحاكمون إليه، فَغَلِطَ في بَعض حُكومته، وكان الشَّيخُ قد أَسنّ وَتَغَيَّر، فقالت له بِنْتُه: إنَّكَ قد صِرْتَ تَهِمُ في حكمك ـ يُقال: وَهَم الرَّجُلُ إذا غَلِطَ؛ وَذَهب وَهْمي إلى كذا؛ أي: ظَنّي، وَأَوْهَم، إذا أُسقط ـ فقال لابْنته: إذا رَأيتِ ذلك فاقْرَعي لي العَصا، وكانت إذا قَرعت له بالعَصَا ثابَ إليه حِلْمُه فَأصاب في حُكمه.

وأمَّا ما تَدَّعِيه بَنو قَيس بنِ ثعلبَة فَيزعمون أنَّ سَعد بنَ مالك بن ضبيعة بنِ قَيس أَتَى النُّعمان الأكبر، ومعه خَيْل، بعضها يُقادُ وَبعضُها أعراءٌ مُهملة، فلمّا انْتهى إلى النُّعمان سأله عنها؛ فقال له سَعد: إنِّي لم أَقُدْ هَذه لأمنعها، ولم أُعَرِّ هَذه لأهبها؛ فسأله النُّعمان عن أرضه: هل أَصابها غَيثٌ يُحمد أَثَره، أو روى شَجره؟ فقال سَعد: أَمَّا المَطر فغزيرٌ، وأَما الوَرق فَشَكير، وأما النَّافذة فَسَاهرة، وأما الحازِرة فَشَبْعَى نائمة، وأَمَّا الرِّمثاء فقد امتلأت مَسارِبُها، وابْتلَّت جَنائبها ـ وُيروى: الدَّهناء بدل الرمثاء ـ وَأما النَّبائث فَغُدُر لا تَطْلُع، وَأما الحذَف فَعِراب لا تَنْكع، تَقْتَرّ إذا تَرْتع. ـ الشَّكير: ساعةَ نَبْته. والنَّافذة: ضَرْبٌ من الْغَنم، وكذلك الحازرة أيضاً، والرِّمثاء: أرضٌ. والنَّبائث: تُراب. والحَذَف: غَنَمٌ صِغار. وتَنْكع: تمنع. وتَقْتر: تَطْلُب القرارة، وهي بقيّة القِدرِ؛ ويقال: تَقترُ: تطلبُ القَرارَ، وهي صِغار الغَنم ـ فقال النعمانُ، وحَسده على ما رَأَى مِن ذَرابة لِسانه: وأبيك إنَّك لمُفَوّه، فإنْ شِئْت آتيك بما تَعْيَا عن جَوابه؟ فقال سعدٌ: شِئْتُ إن لم يكن مِنك إفراطٌ ولا إبْعاط ـ والإبْعاط: مُجاوزةُ القَدْر ـ فأمر النُّعمان وَصيفاً له فَلَطمه، وإنما أراد أن يَتعدَّى في القَول فَيَقْتُلُه؛ فقال له: ما جَوابُ هذه؟ قال سَعْدٌ: سفيهٌ مَأْمُورٌ؛ فَأَرسلها مَثَلاً؛ فقال النّعمانُ للوصيف: الْطُمه أُخْرى، فَلَطمه؛ فقال: ما جوابُ هذه؟ قال: لو نُهِي عن الأُولى لم يَعد للأُخرى؛ فأَرسلها مَثَلاً؛ فقال النُّعمانُ للوَصيف: الْطُمه أُخرى، فَفَعل؛ فقال له: ما جَواب هذه؟ قال: مَلِكٌ يُؤَدِّب عَبْدَه؛ فقال: الْطُمه أُخرى، ففعل؛ فقال: ما جَوابُ هذه؟ قال: مَلكتَ فَأَسْجِحْ، فأَرسلها مَثلاً؛ فقال له النُّعمانُ: أَجَبْتَ فاقعُدْ. فَمَكث عنده ما مَكث.

ثم بَدا للنُّعمان أن يَبعث رائداً يَرْتاد له الكَلأَ، فَبعث عَمرو بنَ مالك، أخا سعد بنِ مالك، فَأَبطأ عليه، فأغضبه ذَلك، فأقسم إن جاءَ حامِداً أو ذامّاً لَيقتُلَنَّه؛ فلما قَدِم عَمْرو على النُّعمان دخل عليه، والناسُ عِنده، وسَعدٌ قاعدٌ لَدَيه مع

الناس، وقد كان سعدٌ عَرف بما أَقسم به النعمانُ من يَمينه، فقال سعدٌ: أَتَأْذن لي أَيها الملك فأُكلِّمه؟ قال: إنْ كَلَّمتَه قطعتُ لِسانَك؛ قال: فأُشير إليه؟ قال: إن أَشْرت إليه قَطعتُ يَدك؛ قال: فأُومىء إليه؟ قال: إذا أَنزع حَدَقتك؛ قال: فأَقرع له العَصا؟ قال: وما يُدريه ما تَقول العَصا؟ فاقْرعْ له؛ فتنَاول عصاً مِن بعض جُلسائه، فوَضعها بين يَديه، وأَخذ عَصاه التي كانت معه، وأَخُوه قائمٌ، فقَرع بعَصاه العصا قرعةً واحدة، فنظَر إليه أَخوه، ثم أَومأ بالعَصا نَحوه، فَعرف أَنه يقول له: مكانَك؛ ثم قَرع العصا قَرعةً واحدةً، ثم رَفعها إلى السماء، ومَسح عَصاه بالأُخرى، فعَرف أَنه يَقول له: لم أَجد جَدْباً؛ ثم قَرع العَصا مِراراً بِطَرف عصاه، ثم رَفعها شيئاً، فعَرف أَنه يقول: ولا نَباتاً؛ ثم قَرع العصا قرعةً، وأَقبل بها نحو النُّعمان، فَعرف أَنه يقول له: كَلّمه؛ فأَقبل عمرو بنُ مالك حتى قام بين يَدي النُّعمان؛ فقال له النُّعمانُ: هل حَمدت خِصْباً أَو ذَممت جَدْباً؟ فقال عمرٌو: لم أَذْمُمْ جَدْباً، ولم أَحمد خِصْباً، الأَرض مُشكلة، لا خِصبها يُعرف، ولا جَدبها يُوصف، رائدُها واقِف، ومُنكرها عارف، وآمنها خائف؛ فقال له النُّعمانُ: أَولى لك! بذلك نَجَوْتَ! فَنَجا، وهو أَوّل مَن قرِعت له العَصا.

وَعَمرٌو هذا، هو الحُشام، أَخو سعد؛ فقال سعدٌ لِقَرْعه العَصا: [الطويل]

قَرَعْتُ العَصا حَتَّى تَبَيَّنَ صَاحِبي ... ولم تَكُ لَولا ذاك لِلقَوْمِ تُقْرَعُ
فقالَ رَأَيْتُ الأَرْضَ ليس بِمُمْحِلٍ ... ولا سَارِحٍ فيها على الرَّعْيِ يَشْبَعُ
سَوَاءٌ فلا جَدْبٌ فَيُعْرَفُ جَدْبُها ... ولا صَابَها غَيْثٌ غَزِيرٌ فَتُمْرِعُ
فَنَجّى بها حَوْباءَ نَفْسٍ كَرِيمةٍ ... وقد كَادَ لولا ذاكَ فيهم يُقَطَّعُ

وقد رَوى عُبيد بنُ شَرِيّة الجُرهميّ أَن حارثَة بن عبد العُزى سأَل مالكَ بن جُبير، عن أَوّل مَن قَرع العصا وقُرعت له، وعن قول الشاعر: [الكامل]

وَزَعَمْتُمُ أَنْ لا حُلُومَ لَنَا ... إنَّ العَصَا قُرِعَتْ لِذِي الحِلْمِ

فقال مالك: على الخَبير سَقَطْتَ، وبالعَليم أَحَطْت، إنَّ أَوَّلَ مَن قَرع العَصا سعدُ بنُ مالك، أخو بَني كِنانة، حين أَتَى المَلِكَ المُنذرَ بنَ النُّعمان، ومعه خَيْلٌ، بَعضها تُقَاد مُهيَّأة، والأُخرى مُهْمَلة.

وذَكر الخَبر نحوَ ما ذَكره أَبو رِياش، وفي الأَلفاظ زيادة ونُقصان، والمَعنى واحد.

وذَكر الجاحظ أَنَّ عامَر بنَ الظَّرب العَدْواني، حَكَمَ العرب في الجاهليّة، لمّا أسنَّ واعْتراه النسيان أمر بِنته أن تَقْرع بالعَصا إذا هو فَهِهَ[1] عن الحُكم، وجار عن القَصْد، وكانت من حَكيمات بَنات العَرب، حتى جاوَزت في ذلك مِقدار صُحْر، بنت لُقْمان، وهِند بنت الخُسّ، وجمعة بنت حابس بن مُليل الإيادِيَّيْن؛ وكان يُقال لعامر: ذو الحِلْم، ولذلك قال الحارث بنُ وَعلة: [الكامل]

وزَعَمْتُمُ أَنْ لا حُلُومَ لَنَا ... إنَّ العَصا قُرِعَتْ لِذِي الحِلْمِ

وقال المُتَلمّس:

لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ اليَومِ ما تُقْرَع العَصَا ... وما عُلِّمَ الإنسانُ إلاَّ لِيَعْلَمَا

وقال الفَرزدقُ بنُ غالب: [الطويل]

فإنْ كُنْتُ أَسْتَأْنِي حُلُومَ مُجاشِعٍ ... فإنَّ العَصا كانت لِذِي الحِلْمِ تُقْرَعُ

ومن ذلك حديثُ سَعد بن مالك بن ضبيعة بنِ قَيس بن ثَعلبة، واعْتزام المَلك على قَتل أَخيه، إن هو لم يُصِب ضَمِيرَه، فقال له سَعْدٌ: أبيت اللعن؛ أَتَدَعني حتى أَقْرَعَ العَصا له بهذه العَصا أُختها؟ فقال له المَلك: وما علْمُه بذلك؟ أي مما تَقُول العَصا، فَقرع بها مرَّةً، وأشار بها مَرَّةً، ثم رَفعها، ثم وَضَعها، فَفَهِم المَعنى، فأخبره ونَجا من القَتل.

رجع الحديث إلى خبر المتلمس.

ورَوى أبو حاتم، عن الأصمعيّ، أن المُتلمّس هَجا عَمرو بنَ هِنْد بعد لحَاقه بالشام، فقال: [الكامل]

أَطَرَدْتَني حَذَرَ الهِجَاءِ ولا ... واللاَّتِ والأَنصابِ ما تَئِلُ[2]
وَرَهَنْتَنِي هِنْداً وعِرْضَكَ في ... صُحُفٍ تَلُوحُ كأَنها خِلَلُ[3]
شَرُّ المُلوكِ وشَرُّهَا حَسَباً ... في النَّاسِ مَنْ عَلِمُوا وَمَنْ جَهلوا
بِئْسَ الفُحولةُ حِينَ جَدَّ بِهِمْ ... عَرْكُ الرِّهانِ وبِئْسَ مَا نَجَلُوا

(١) فَهِهَ: نَسِيَ.
(٢) تئل: تنجو.
(٣) الخِلَل: جمع خلّة: النقش في بطانة السيف.

أَعـنـي الـخُـؤولـةَ والـعُـمُـومَ فـهُـمْ كـالـطَّـبْـنِ لَـيْـس لِـبَـيْـتِـهِ حِـوَلُ

قال: والطَّبْن، بكسر الطاء وفتحها: لُعبة يَلعب بها الصِّبيان في الأعراب، وهي بالفارسية السَّدَّر، وإنما يَصفه بالضَّعف؛ قال أَبو النَّجم: [الرجز]

مِـنْ ذِكْـرِ آيـاتٍ ورَسْـمٍ لاحـي كـالـطَّـبْـنِ فـي مُـخـتـلِـفِ الـرِّيـاحِ

ويُروى أيضا: الطُّبْن.

وروي أنَّ عُمر بن عبد العزيز، رحمه اللَّه، جَلس يَعترض الناسَ ويَكْتُب الزَّمْنى، فَوَقف عليه أعرابيٌّ فأنشأ يقول: [الرجز]

إنْ تَـكْـتُـبـوا الـزَّمْـنَـى فـإنِّـي لَـزمِـنْ مِـنْ ظـاهـرِ الـدَّاءِ وداءٍ مُـسـتـكِـنّ
أَبِـيـتُ أَهْـوِي فـي شَـيـاطِـيـنَ تُـرِنّ مُـخـتـلـفٍ نَـجْـواهُـم جِـنّ وجِـنّ
فَـبِـتْـنَ يَـلـعَـبـن حَـوَالَـيَّ الـطَّـبَـنْ

فقال: زَمّنوا هذا؛ ثم وَقف عليه شَيْخٌ منهم، فقال له: ما زَمَانتُك؟ فقال الأعرابيّ: [الطويل]

فـوالـلَّـهِ مـا أَدري أَأَدْرَكْـتُ أُمَّـةً على عَهْدِ ذي القَرْنينِ أَمْ كُنتُ أَقدَمَا
مـتـى تَـنْـزِعـا عَـنـي الـقَـمِـيـصَ تَـبَـيَّـنـا جَـنَـاجِـنَ لـم يُـكْـسَـيْـنَ لَـحْـمـاً ولا دَمـا

فقال عُمر: زَمّنوا هذا، فإنه لا يَدري مَتى وُلد.

وقوله: جِنّ، وجنّ، فإن الجِنّ: سِفْلة الجِنِّ؛ وقال الجاحظ: الجِنّ ضَربان: جِنّ وجِنّ، كما يقال: ناس ونَسناس.

والشِّعر الذي فيه الغناءُ المذكور بسَببه خبر المتلَمّس، يقوله المتلمِّس، حين فارق أخواله من بني يَشكر.

وروى أبو حاتم عن الأصمعي أن المُتلمّس وُلد في أخواله من بَني يَشْكر، ونَشأ فيهم، حتى كادُوا يَغْلِبون عليه، فسأل الملكُ عنه الحارثَ بنَ التَّوأَم اليَشْكريّ، والحارثَ بن جلدة، فقال: ممّن المتلمّس؟ فقالا: هو مَنُوط في بَني عمرو بن مُرّة؛ أي: إنه من ضُبيعةِ مُرّة، ومُرّة منّا، وهو ساقطٌ بين الحَيّين.

فقارق أخوالَه، ولَحق بقومه بني ضُبيعة، وقال في ذلك: [الطويل]

تَـفَـرَّقَ أَهْـلـي مِـنْ مُـقـيـم وظـاعِـنٍ فَـلِـلَّـهِ دَرِّي أَيّ أَهْـلِـيَ أَتْـبَـعُ
أَقـامَ الَّـذِيـن لا أُحِـبُّ جِـوَارَهُـمْ وبـانَ الَّـذيـنَ بَـيْـنَـهُـمْ أَتَـوقَّـعُ

قال الرّياشي: الذي أعرف:

أَقَامَ الَّذِينَ لا أُبَالِي فِرَاقَهُمْ
على كُلِّهِم آسَى ولِلأَصْلِ زُلْفَةٌ فَزَحْزِحْ عَنِ الأَدْنَيْنَ أن يَتصدّعُوا[1]

يقول: لا تَتباعد عن الأدنين فيَصدعوا عنك ويُفَارقوك؛ وإنما عَنى أخوالَه من بني يشكر وقومه من بني ضبيعة.

أَلِكْنِي إلى قَوْمي ضُبَيْعَةَ إنَّهُمْ أُنَاسِي فلُومُوا بَعد ذلك أو دَعُوا
وقد كان أخوالي كريماً جوَارُهمْ ولكنَّ أَصْلَ العُودِ مِن حَيْثُ يُنْزَعُ

يقول: أخوالي كانوا كراماً، ولكني أذهب إلى أعمامي، كما يَنْزع العِرقُ إلى أَصْله.

ولا تَحْسِبنِّي خَاذِلاً مُتَخَلِّفاً ولا عَيْنُ صَيْدٍ مِنْ هَوَاي ولعلعُ

عين صَيْد، ولَعلع: من آخر السَّواد إلى البَرّ، فيما بين البصرة والكوفة، ولعلع: كان سِجْن الحجّاج بن يوسف.

وقال المتلمّس في ذلك أيضاً: [الطويل]

لَعَلَّكَ يَوْماً أن يَسُرَّكَ أنَّنِي شَهِدْتُ وقد رَمَّتْ عِظَامِيَ في قَبرِي
وتُصْبِحُ مَظْلوماً تُسَامُ دَنِيَّةً حَرِيصاً على مِثْلي فَقِيراً إلى نَصْرِي
وَيَهْجُرك الإخْوانُ بعدي وتُبْتَلى وَيَنْصُرنِي مِنك الإِلهُ ولا تَدْرِي
ولو كُنْتُ حَيّاً يَوْمَ ذلِك لم تُسَمْ له خطَّةٌ خَسْفاً وشُووِرْتُ في الأمرِ

قال: وفي ذلك يَقول: [الطويل]

ولو غَيْرُ أَخْوالي أَرادوا نَقِيصتي جَعَلْتُ لهم فَوْقَ العَرَانِينِ مِيسَمَا
أَحارِثُ إنَّا لو تُسَاطُ دِماؤُنا تَزَايَلْنَ حتى لا يَمَسَّ دمٌ دَما

يقول: لو خُلطت دماؤُنا ودماؤُكم لَتَزايلت، وتميزت، من بُعْد ما بينَنا، وهذا كما قال الآخر: [الوافر]

لَعَمْرُك إنَّنِي وأبا رِياحٍ على طُولِ التَّهَاجُرِ مُنْذُ حِينِ
لَيُبْغِضُني وأُبْغِضُهُ وَأَيضاً يَرَانِي دُونَهُ وأراه دُونِي

---

(١) الزُّلْفَة: المنزلة.

فلو أنّا على حَجَرٍ ذُبِحْنا جَرَى الدَّمَيانِ بِالخَبَرِ اليَقِينِ

[ما عِيبَ في شعره]

قال ابنُ قُتيبة:

وما يُعاب من قَول المُتلمّس قولُه: [الطويل]

أَحَارِثُ إِنَّا لو تُسَاطُ دماؤُنا تَزَايَلْنَ حتى لا يَمَسَّ دمٌ دَمَا

وهذا من الكَذب والإفراط ومثلُه قولُ رجُل من بني شَيبان: كنت أَسيراً مع بني عَمٍّ لي، وفينا جماعةٌ مِن موالينا، في أَيدي التغالبة، فَضَربوا أعناق بني عَمّي، وأَعناق الموالي، على وَهْدَة من الأَرضِ، فكُنت واللّه أَرى دَم العربي يَنْماز مِن دَم المَولى، حتى أَرى بَياض الأَرض من بَينهما، فإذا كانَ هجيناً قام فوقه ولم يَعتزلْ عنه.

وقال ابنُ قُتيبة: ويُتَمَثَّلُ من شِعر المتلمّس بقَوله: [الوافر]

وأَعْلَمُ عِلْمَ حَقٍّ غَيْرَ ظَنٍّ وَتَقوى اللّه مِن خَيْرِ العَتَادِ

لَحِفْظُ المالِ أَيْسَرُ مِنْ بُغَاهُ وضَرْبٍ في البِلادِ بِغَيرِ زَادِ

وإِصْلاحُ القَليلِ يَزِيدُ فيه ولا يَبقى الكثيرُ على الفسادِ

وقال أَبو علي الحاتميُّ: أَشْرَد مَثَل قِيلَ في البُغضِ قولُ المُتلمِّس: [الطويل]

أَحارِثُ إِنَّا لو تُساطُ دماؤُنا تَزَايَلْنَ حتى لا يَمَسَّ دمٌ دَمَا

حَكَى ذلك أَبو عُبيدة، وزَعم أَنه أَسْيَرُ مَثَلٍ في البُغض.

قال: وأَشردُ مَثَل قيل في الفَخر بالأُمهات قولُه أَيضاً: [الطويل]

يُعَيِّرُني أُمِّي رِجَالٌ وَلَنْ تَرَى أَخَا كَرَم إِلاَّ بِأَنْ يَتَكَرَّمَا

وهل لِيَ أُمٌّ غَيْرَها إِنْ تَرَكْتُها أَبَى اللّهُ إِلا أَن أَكُونَ لها ابْنَما

قال: وأَشردُ مَثَل قيل في اعتداد بَني العَم، والكَفّ عن مُقاتلتهم بفعلهم، قولُه: [الطويل]

وَمَا كُنْتُ إِلاَّ مِثْلَ قاطِعِ كَفِّهِ بِكَفٍّ له أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْذَمَا

يَداهُ أَصابَتْ هذه حَتْفَ هذه فلم تَجِدِ الأُخْرَى عليها تَقَدُّما

فلمَّا اسْتَقادَ الكَفَّ بالكَفّ لم يَجِدْ له دَرَكاً في أَن تَبِينا فَأَحْجَما

فَـأَطْـرقَ إِطْـرَاقَ الـشُّـجـاعِ ولَـوْ يَـرَى　　مَـسَـاغـاً لـنـابَـيْـهِ الـشُّـجـاعُ لـصَـمَّـمـا

قال أَبو عبيدة: يريد أَنه فيما صنع به أَخوالُه بمنزلَة مَن قَطع إحدى يديه بالأُخرى، فلو هَجاهم وكافأَهم كان بمنزلة مَن قطع يده الأُخرى، فبَقي أَجذم، فأَمسك عنهم.

قال أَبو علي: والبيتُ الأَخير يُضرب مثلاً للرجُل يُقصر إِلى أَن تُمْكنه الفُرصة.

قال أَبو عبيدة: ولم أَسمعْ لأَحد بمثل هذه الأبيات حِكْمةً وأَمثالاً، من أَوَّلها إِلى آخرها، وفيها من الأَمثال السّائرة ما يُضرب مَثلاً للحكيم يُذكَّر به عند نِسْيانه:

لِذِي الْحِلْمِ قَبل اليَوْمِ ما تُقْرعُ العصا　　ومـا عُـلِّـمَ الإنـسـانُ إِلاَّ لِـيَـعْـلـمـا

وفيها من شارد الأَمثال:

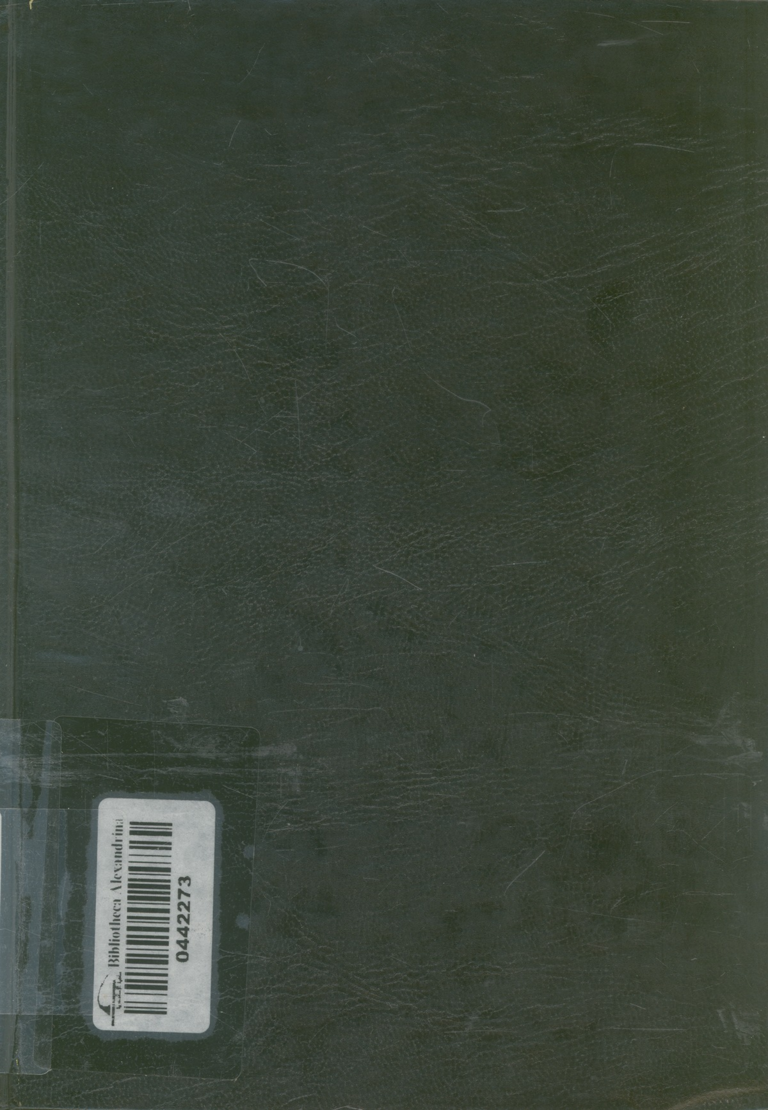
إذا لـم يَـزَلْ حَـبْـلُ الـقَـرِيـنَـيْـنِ يَـلْـتَـوي　　فـلا بُـدَّ يَـوْمـاً مِـنْ قُـوَى أَن تَـجَـذَّمَـا

قال أَبو علي:

وَأَشردُ مَثل قيل في حِفظ المال وتَثميره قولُه: [الوافر]

قَـلـيـلُ الـمـالِ تُـصْـلِـحُـهُ فَـيَـبْـقـى　　ولا يَـبْـقَـى الـكَـثِـيـرُ مـع الـفَـسـادِ
وحِـفْـظُ الـمـالِ أَيْـسَـرُ مِـنْ بُـغـاهُ　　وسَـيْـرٍ فـي الـبِـلادِ بِـغَـيـرِ زادِ

فهرست تراجم


Bibliotheca Alexandrina
04442273